

الجوكر والأسطورة

2021

صراع الشياطين

رواية

آية محمد رفعت - ملكة الإبداع

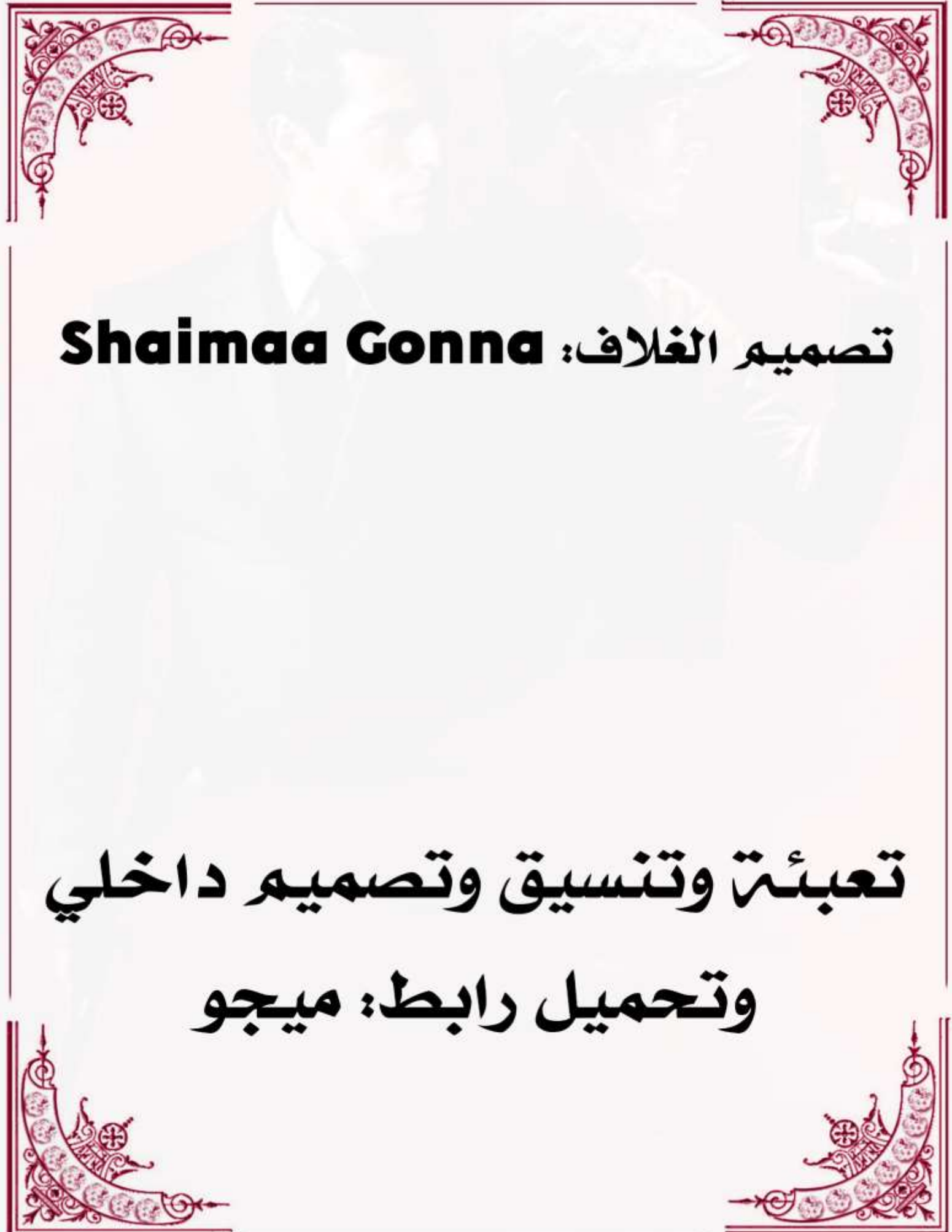


صراع الشياطين

الجزء الثالث والرابع

آية محمد رفعت





تصميم الغلاف: Shaimaa Gonna

**تعبئة وتنسيق وتصميم داخلي
وتحميل رابط: ميجو**



الفصل الأول.... همسات بقلم العشاق.....

الهدوء يغطي المكان بأكمله، صوت أنفاسها المتقطعة
المصاحب بنظراتٍ متوترة يخفق من عينيها، الحيرة تسيطر
عليها وكأنها وحشٍ مفترس ينهش آخر ما تبقى بقلبها
الهزيل، صفعات تجلد روحها ما بين التباعد عن قتله وما بين
الإضرار للقصاص من قاتل أخيها، خطواتٍ خافتة تقترب منها
بحذر، ليقدم لها يديه قائلاً بلهجة سعى لجعلها أكثر حذراً
بإنتقاء الكلمات المناسبة لتخضع له:

"سارة" نزلي السلاح دا عشان خاطري...
لم تتصاع لكلمات "ريان" المتوسلة، فاستطرد كلامه بعصبية
شديدة:

__بلاش تضيعي نفسك عشان شخص ميستأهلش...
الخوف من الموت هو أمراً محتوم، ورغم ذلك لم يشعر به
من يقف أمام فوه السلاح بنظراتٍ غير عابئة بترحاب الموت،
سئم من الحياة المرهقة بذكريات رفيق دربه الذي خسره
نتيجة غروره الزائد وعناده المتسلط، ترقب تحرر أصابعها
على زناد السلاح ليتخلص من حياته الذي أصابها اليأس

وتأنيب الضمير المهلك، وكأنه كان يعبر طريق طويل بنفس راضية، فتوقف بمنتصفه ليفق على أكبر عقبة بحياته، لم تكن بالحسبان، تسلل صوت بكائها لمسماعه وكأنها تطالبه بوعوده بالبقاء لجوارها، تطالبه بتنفيذ كل وعد قطعه لها بعد رحلة معاناتها هي الأخرى، استدار "جان" تجاه الصوت المرهف الذي إلتقطه آذنيها، ليجدها تكبت شهقاتها بيدها، باكية بدمعات إستحوذت على تفكيره، وكأنه وجد سبب لتمسكه بالحياة!، وكأنه وجد ما يطالبه بالبقاء... "سلمى" محبوبة القلب وسكنان الروح، أكسير حياته التي إختبرها الصبر مراراً وتكراراً، لوهلة إرتجف قلبه خشية من الموت بعدما كان يرحب به بصدرًا رحب، فطلت من أمامه لتدفعه بعيداً عن طريقه المختار، تركزت نظرات "جان" عليها غير عابئ بمن تقف أمامه بسلاح يكاد يخترق قلبه النابض بعشق من تقف على بعد خطوات منه، تتراقب ما يحدث بصراخ عصف ببكائها وتواسلاتها لها بالاتفعل ذلك، دموعها الصادقة إخترقت قلوب الفتيات جميعاً، حتى "سليم" حاول بقدر المستطاع أن يبعد "جان" عن الدرج حتى يتفادى الطلق الناري؛ ولكنها لم تسمح له بذلك، فكانت تصوب تجاهه بتصميم من قتله، نهض "مراد" عن طاولة الطعام بعد أن دفع

مقعدة بعصبية شديدة ليقترب من الدرج في محاولات
مستميتة للسيطرة على حركات جسده التي تحكمه على
التعامل مع هذا الوضع حينما يكون عرضة لصوب السلاح،
أحكم على تفكيره بأنها امرأة وأخلاقه تضع النساء والأطفال
بخطوط لا يتعداها أبداً فلا يرفع يديه عليهن، وقف على مسافة
معقولة منها قائلاً بثبات يخترق صوته الرجولي:

_الي بتعملية دا غلط، ياريت تنزلي السلاح ونتكلم بالعقل...
نقلت نظراتها العدوانية بالكد لتتقلها إليه، فأبتسمت بسخرية
رغم تلاًل الدمعات بعينيها:

_الغلط دا هو الي إرتكبه لما حرمني من أخويا الوحيد، أنا لو
مقتلتوش الوقتي هعيش عمري كله في تأنيب ضمير...
_ومستانية أيه؟، إضغطي على الزناد وإقتليه...

كلماتٍ تحررت لتخترق القاعة، فتعلقت العيون بالدرج ليطل
صاحبها من خلفها، هبط "رحيم" للأسفل بخطواتٍ راسخة،
تعج بالثقة عن كلماته التي تفوه بها متجاهلاً صدمات الجميع
بما قاله، هبط ليقف على مقربة منها ليسترسل حديثه الغير
مكتمل بلهجة حادة بعض الشيء:

_إضغطي...

صرخ به "ريان" بصدمة:

"رحيم...!"

أشار له بيديه ليصمت فتراجع للخلف قليلاً بعد أن أبعدته "مراد" بنفسه بعد أن فهم ما يود أخيه فعله ليحسم الأمر، تركزت نظرات الجميع عليه بخوفٍ، وبالأخص "شجن" التي بدت تزيل الأقفال العالقة بينهما، إرتجفت اصابعها بأرتباكٍ ملحوظ ودموعها تكاد تخرق وجهها من شدة بكائها، ربع "رحيم" يديه أمام صدره العريض ليشرع بقول:
_مش قادرة صح؟..

نقلت نظراتها إليه بأهتمامٍ، فأبتسم ساخراً، ليهبط آخر الدرج الفاصل بينها وبينه، ليبدو قريباً فقال بأتزانٍ يصاحبه أينما كان:

_بصي وراك يا "سارة..."

ضيقّت عينيها بذهولٍ مما يحاول فعله، فظننت بأنه يحاول سحب السلاح من يدها، تباعدت عنه قليلاً ثم تطلعت خلفها مثلما أخبرها، فوجدت "ريان" يقف خلف الدرج ذو الطلاء الذهبي ومن جواره كانت تقف "سلمى" الفتاة الهادئة التي تشاركها غرفتها وزوجة اللعين الذي تحاول قتله، رأته تبكي بقهر، إنكسار، خوف، ترقب، قرأت كل ذلك بنظراتها المسلطة عليهما

__هتقدري تتحملي تأنيب ضميرك من نحيثهم؟....
جائها صوته القريب، فأنتفضت محلها بفزع، إستكمل "رحيم"
كلماته بغموض يسكن بحدقتيه:

__مفيش حد بيختار حياته ولا موته، القدر هو اللي بيتحكم
فينا هو اللي يحدد الطريق ونهايته، خاليكي على ثقة إن
بموته مش هيكون رجوع لأخوك ولا راحة لعذابك بالعكس
النظرة السريعة اللي أخذتها دي هتلاحقك العمر كله ما بين
تجربة شبيهه ليك وما بين ندم على أكثر شخص كنت تتمنى
تقضي حياتك معاه...

وتطلع للفراغ بنظراتٍ تحمل نوابع الألم بين طياتها ليستكمل
ما قيل:

__أحياناً بنضطر ننسى جزء من ماضينا عشان نقدر نكمل مع
الأشخاص اللي بنحبهم حتى لو هتكون تجربة مش منصفة
للبيض لكن في النهاية بنحاول..!

إخترقت كلماتها حواجز قلبها لتزيح عنها الغيمة السوداء،
وكانها القى عليها تعويذة بالانتقام غير عابئة بمن حولها،
تحررت أصابعها من حول السلاح، فسقط أرضاً من يدها،
فأسرع "ريان" بأحتضانها ليعبدها بجسده عن الدرج، بل
بعيداً عن أنظار الجميع، أما "جان" فلم يشعر بمن حوله،

وكأنه كان يعد للرحيل الذي بخسه عنه القدر، شعر برائحتها
تخترق أنفه فعانتها لملامسة أرض الواقع، فأفاق على وجودها
بين ذراعيه، شدد "جان" من إحتضانها بقوة كبيرة بعدما
شعر بأنه من المحتمل أن ينفصل عنها بسبب خارج عن
إراداته؛ ولكن كالعادة يترك "رحيم" أسباب غامضة حول
مساعده الغريبة الذي يقدمها إليهم رغم تمرده الشديد
تجاههم!!

صدمة عصفت بكيانها وهي تحاول إستيعاب ما تسمع إليه،
وخاصة حينما إنتهى "طلعت" من قص الجزء المتعلق
بنجلاء، بداخلها صراع بين تقبل ما تسمع إليه، نعم لم تحبذ
فكرة تواجدها بنفس ذات المكان؛ ولكنها كانت تعلل بأنها
ستحتمل وخاصة بوفاة والدها الذي أصبح الآن مجرد
سراب!!

ترقبها بأهتمام لسماع ما ستقوله ولكنها إلتزمت بالصمت
لفترة طويلة زرعت القلق بداخله، فسألها بشكل مباشر:
_مالك يا "نغم"، مش فرحانه إني عايش...!
تعمقت نظراتها بعينيه، وكأنها تحسم إجابتها على سؤاله، ذاك
الصمت بدى بحد ذاته غير محمس لسماع ما ستقول، إلتقطت

أنفاسها بصعوبة بالغة وكأنها تهیی لذاتها القادم فقالت:

__ وأیه اللي هیفرحني وأنا هشوفك معاها بعیونی....!

ونہضت عن الأریكة لترمقه بنظرة ساخرة:

__ حقيقة إنك لسه عایش هتفرق مع اللي انت كنت خارج من
أوضتها ومخبي علینا عشان تسبها هی وإبنها یتحكموا فینا
كلنا...

وتركته وكادت بالرحیل ولكنها توقفت حیما نهض عن مقعه
لیشير لها بغضب:

__ أیه الهبل اللي بتقولیه دا؟...

قالت دون النظر إلیه ومازالت تحجر دمعاتها عن الهبوط:
__ الحقيقة یا "طلعت" بیه وأهی فرصة تحقق اللي كان نفسك
فیہ من زمان مهو خلاص اللي كانت عائق بینكم ماتت...
وتركته وتخفت من أمام عینیہ والأخر بصدمة من الجريمة
البشعة التي ألقته بحقه وبحق المرأة الوحيدة التي عشقها
من صمام قلبه، نعم یعلم بأن "نعم" مختلفة کلیاً عن "ریم"
البریئة، یعلم بأنها شرسة وعنيدة مثل أخيها تماماً ولكنه لم
یتوقع منها تلك الردود القاتلة بالنسبة إلیه...

أسندها حتی ولج لغرفتها، فاغلق بابها لیعاونها على الجلوس

على المقعد المقابل للراحة، جسدها بأكملها يرتجف وكأنها كانت تقف أسفل المياه لمدة طويلة للغاية، جذب "ريان" احد المقاعد ليجلس مقابلها بصمتٍ طال لدقائق معدودة درس فيهما تعبيرات وجهها، مررت يدها على ذراعيها الباردة بحركاتٍ دائريةٍ لعلها تمنح جسدها الحرارة اللازمة لتدفئته، توترها الزائد من مواجهته وخاصة بعد ما إرتكبته منذ قليل جعلها شاردة، مغيبة عن الواقع، متناسية تماماً وجوده أمامها..!

إنظرها لترفع وجهها فيرى عينيها؛ ولكنها لم تفعل، فقرب أصابعه من وجهها ليرفعه أمامه فرفعت عينيها تلقائياً تجاهه، إنسابت الدموع دون توقف وهي تقرأ ما دون بعينه من عتاب طويل، أجبرت لسانها على قول:

_أنا معرفش عملت كدا إزاي، بس صدقتي حاولت وف....
ضم يديه لتحاطب وجهها، مقاطعاً إياها بهمسه الخافت المقابل لها:

_مش عايز أسمع حاجة...

ورفع طرف حجابها الغير مهندم ليضعه على كتفيها ببسمة هادئة جعلتها بحيرة من أمره، تركزت نظراته بعينيها التي تخضع لسيطرته المفروضة، فتصبح كالأسيرة التي تتبع

هوسه، ود لو إقترب منها مسافة تمكنه من تعبيره عما ينبض
بداخل هذا الصدر؛ ولكنه يخشى على ذاته من فتنتها، تهد
بصوتٍ مسموع ليخبرها:

_اللي حصل من شوية دا رد فعل طبيعي بس أنا مش عايز
أخسرِك يا "سارة"..."

وردد بصعوبة وكأنه يحمل ب صدره ما يؤلمه لذكر رفيقه:
_"خالد" لما إتخذ قرار الإنتحار اعتقد إنه مكنش بسبب البنت
دي ولا بسبب اللي عمله "جان"، لأنه مقدرش يتحمل إن
صاحب عمره يفكر مجرد تفكير أنه يخونه بأي شكل من
الأشكال..."

وإختلق الدمع بعينه التي ترفض البوح به، من فرط غيرته
عليهما:

_يمكن لو الزمن رجع تاني مكنش هياخد القرار دا ويمكن
مكنش عرف البنت دي لو عرف إنها هتكون نهاية للي بينه
وبين "جان".."

انتفضت من شدة البكاء بين أحضانه وهو يشدد بيديه ليقربها
منه وكأنه يحاول إحتوائها ب داخل روحه، وخز قلبه فتماسك
بقوة إعتاد عليها لكونه رجلاً لم يعهد الضعف من قبل فقال
وهو يمرر يديه على خصرها بحركات جعلتها تختبر شعوراً

جديد يخترق عالمها الصغير:

_مش عايزك تفكري في فكرة الإنتقام من "جان" تاني أبدأ
وخاصة لأننا هنكون بمكان واحد..

خرجت من أحضانه لتتطلع لعينية بدهشة، فسأله بسخط:
_أنت خايف عليه؟..

رسم بسمه ساخرة على طرفي شفثيه ليجيبها:

_تفتكري لو أنا خايف عليه أيه اللي يخليني على عداء معاه
كل السنين دي؟!..

أخفضت نظراتها أرضاً لتستكمل بكائها بقهر، مرور يديه على
خصلات شعره بتماسك وكأنه يحاول الإحتفاظ بهذا الجزء
المحظور لذاته أكبر فترة ممكنة؛ ولكنه الآن مجبر على البوح
به ليمنعها من ارتكاب اي شيء أحمق قد يعرض حياتها
للخطر فقال:

_تعرفي أن "خالد" قبل ما يموت طلب مني طلب...
تطلعت له بأهتمام، فأزاحت دمعاتها بيدها لتسأله بفصول:
_طلب أيه؟..

إزدرد حلقه المرير ليبلل شفثيه الجافة:

_طلب مني معقبش "جان" ولا أحمله ذنب إنتحاره وقال
ببساطة إنه مسامحه..

وإبتسم بسخرية وهو يستكمل كلماته:
_تخلي بعد كل دا ومش محمله ذنب موته...!
منحته نظرة متعجبة لما قاله، فمرر يديه على مقدمة أنفه
ليحاول جاهداً التحكم بأعصابه:
_حاولت أعمل بكلامه بس مقدرتش أحقق غير نصه أني
إتغاضيت عن عقابه بالموت بس إختارت العذاب المناسب
ليه، لحد دلوقتي ميعرفش بالكلام دا وأكيد بيتعذب....
أغلقت عينيها بدموع حارقة لروحها قبل أن تطول وجهها،
فهمست بصوت يكاد يكون مسموع:
_كان نفسي يفضل جانبي، أنا ماليش حد غيره...
شدد من إحتضان يدها بين لائحة يديه القوية ليصح لها ما
قالتة، ليعلمها بأنه لجوارها ليست بمفردها مثلما تزعم، مالت
برأسها على كتفيه فضم رأسه فوق رأسها لتسترخي تماماً
بين أحضاناه...

أبت "سلمى" أن تتركه ولو لدقائق ينفرد بها بذاته، كان
قريب من الموت ويفصلهما خطوتان، باتت بتلك الدقائق
تخطط لطريقة تتخلص بها من ذاتها لتلحق به بعدما تأكدت
بأنها ستفعلها وستضغط على زناد السلاح ليخترق رصاصة

صدر محبوبها، حرر "جان" يدها التي تحاوطه برفق قائلاً
بهدوء:

_أنا كويس يا "سلمى"، سيبنى..
عادت لتتمسك به مجدداً، قائلة بنفي:
_لا مش هسيبك، أنا مقدرش أعيش لحظة من غيرك مش
قادرة أتخيل أني كنت هخسرك..
وقالت كلماتها الأخيرة ب بكاءٍ حارق، خرج صوته المستسلم
فقال بيأس:

_وهتفرق أيه مآنا كدا كدا ميت..
إبتعدت عنه لتحذجه بنظرة غاضبة:
_أيه اللي بتقوله دا..
أجابها ببسمة حزينة ترسم على ثغره بالكاد:
_الحقيقة يا "سلمى" أنا ميت من جوايا، كل اللي بيحصل
حواليا خالاني فقدت شغفي في الحياة مبقاش في اللي يحبني
فيها، فقدان أقرب صديق بسبب عنادي وكبرياء أعمى إنى
أكذب وأوافق على الاتهام البشع دا ببسمة غرور وكان نتيجته
موت "خالد" وخسارة "ريان"، والوقتي تكملة للعذاب عايش
معاه تحت سقف أوضة واحدة ومش قادر أقوله مالك ولا
احكيه عن الحقيقة..

ثم تنهد بتثاقل ليخرج ما يؤخر قلبه بعدما تعمق بعينيها:
_حتى أُمي بتحاول تبعدني بكل الطرق عن البني أدمة الوحيدة
اللي حبتها، الحاجة الوحيدة النضيفة في حياتي...
ونهب من جوارها ليقف مقابل شرفة القصر، يتطلع للحدائق
من أمامه بنظرة يكسوها الحزن، إتبعته لتقف خلفه قائلة
بصوتٍ منكسر:

_تعرف أيه اللي فكرت فيه وأنا شايفاك على بعد خطوة من
الموت؟..

استدار ليكون مقابلها، يرمقها بنظراتٍ مهتمة لمعرفة الأجابة
على سؤالها الفضولي، اتكأت بيدها على حافة المزهرية التي
يصل طولها لمنتصف كتفيها، ووضعت اليد الأخرى على
موضع قلبها الذي يئن:

_كنت بفكر بالطريقة اللي هتخليني أحصلك بيها لو جراك
حاجة، أنت بتقول إن مفيش حاجة تعيش عشانها وأنا بقولك
أنا فرصتك أن يكون ليك حياة...

بسمة صغيرة رسمت على شفتي "جان" زادت من جمال
وجهه الحزين، إقترب لتتقلص المسافة بينهما ليخبرها
بصوته الهامس:

_أنتِ أكثر من فرصة يا "سلمى"، أنتِ الأمل الوحيد اللي

بيأكدلي إني بني آدم وجوايا قلب، بينبض عشائك...
تراقصت دقات قلبها المضطربة على ما إستمعت إليه من
كلماتٍ لملمت جرحها، إقترب منها كالمغيب، عينيه لا تغادر
عنها، الشفتان ترتجف أمام الأخرى برجفة مثيرة تسرى
بجسده، ترك لذاته دقائق ليروي حنين الشوق إليها ليتباعد
سريعاً قبل أن يقذفه الطوفان لطريقٍ لم يختبره بعد..

يشعر بأن هناك أمراً يخفيه عنه "مراد" ويحاول بقدر الإمكان
إكتشاف هذا الأمر، جذب الحارس المقعد الخارجي لـ "رحيم
زيدان" ليجلس بالحديقة واضعاً قدماً فوق الأخرى ليشرد
بفكره المخيف عن الأمر الغير مفهوم بسفر والدته وعودتها
مع "مراد" بل وبموافقتها السريعة بالبقاء بالقصر وخاصة
بالفترة المضطربة التي تمر بها العائلة!، هناك حلقة مفقودة
لا يعلمها، نظاراته السوداء القاتمة كانت تخفي زيتونية عينيه
من أشعة الشمس الحارقة، فمنحته طالة مرتبة لتكمل وسامته
بصورة خاطفة للقلوب، إستند برأسه على ذراعيه ليميل قليلاً
تجاه هذا الصوت الذي أصبح إيمان بالنسبة له، صوت
خطواتها المتهدجة، رقيقة هي حتى بخطاها التي تلامس
الأرض وكأنها تخشى عليها!!

وجد "شجن" خاصته تقترب منه على إستحياء وأصابعها
تعبث بفستانها الوردي لتخفف من حدة توترها الملحوظ،
نهض عن مقعده ليستدير تجاهها بعدم تصديق، مهلاً هل
تقترب منه بملأ إرادتها؟...!!!
رفعت رأسها للأعلى قليلاً لتبدو أكثر ثباتاً، زفرت الهواء على
مهلاً لتباغته بقول:
_الغدا جاهز...

قالت كلماتها الخاطفة وأسرعت بالدخول من الباب الجانبي
لمطبخ القصر، أما هو فبقى محله لثواني، يحاول ترتيب
كلماتها بدهشة كبيرة تحتمة على عدم تصديق آذنيه، إتباعها
"رحيم" وما زال يطرح الأفكار من أمامه بأحتمالية ما
سيحدث، ولج للداخل ليجدها تحمل (صينية) مستديرة لتضعها
على الطاولة المقابلة للمطبخ، فأقترب من المقعد ليجدها
أعدت من الطعام ما أطيّب وأذ، كان يظن بأنها ستعد الرقاق
بقطع اللحم مثلما أخبرته بالأمس، جلس بهدوءٍ وعينيه تنتقل
على الأطباق من أمامه ببسمة تشكلت على وجهه، جذبت
"أشجان" أحد الأطباق لتضع له قطعة من المعكرونة الشهية
وبعض من قطع الدجاج المتبل بحرافية لطالما إمتلكتها من
الصغر، قربت الطبق منه ولكنها لم تضعه أمامه فمازالت

تخشاه، تحاول شكره بأبسط الطرق الممكنة بعد ما قدمه لها،
جذب الطبق الموضوع على مسافة منه ليشرع بتناول طعامه
بتلذذ عجيب، خالف نظامه اليومي من تناول واجبات صحية
غنية بالخضروات للحفاظ على بنية جسده القوي، ولأجلها قد
يخالف مئات القوانين والعقبات، شعر بأنه ليس يتناول مجرد
طعام، بل تعويض عما صبره من أعوام فاقت التوقعات بتحليه
بالصبر للقاء بها، إنتهى من تناول ما أمامه، فجذبت "شجن"
قطع الرقاق الذي صنعته خصيصاً إليه لتضعه أمامه ببسمة
تخشى أن تبديها...

خطف نظرة إليها ليشرد بأيامٍ ماضت حينما كانت تحمل الطبق
المفضل إليه لتحرص بأن يتناوله، قطع شروده صوت
"مراد" الذي أتى من خلفه حينما هبط الدرج بعدما أبدل ثيابه
ليتوجه للخروج فأقترب منه ليتفحص ما وضع أمامه بذهول:
_مش كنت إمبراح بتقول إن مالکش غير فى الأكل الصحي
ولا أنا مش بقيت بركز..!

وضع الملعقة من يديه ليجيبه بثبات ونظراته تحيط بها:

_أنا ليا فى أى حاجة تعملها "شجن"...

تسللت حمرة الخجل لوجهها، الآن تختبر شعوراً غريب بعيداً
عن الخوف، شعوراً إختبرته من قبل ويعود الآن ليستحوذ

عليها، إبتسم "مراد" على كلماته فغمز له بعينه قائلاً بمكر:

__حقك...

وأغلق جاكيتته جيداً ليشير له بأصابعه:

__أشوفك بعدين...

وتركه وتوجه للمغادرة والآخر يتابعه بنظراتٍ شك، فرفع

هاتفه سريعاً ليقول دون السماع للطرف الآخر:

__وراه يا "حازم.."

وأغلق الهاتف سريعاً، ليعود لتناول طعامه ولكن تلك المرة

قرر الحديث:

__الأكل جميل تسلم أيديك...

إكتفت بأشارة بسيطة إليه ثم بدأت بحمل الأطباق، فنهض "رحيم" ليحاول مساعدتها بحملهما، تلامست يديه معها حينما

جذب نفس الطبق، فتراجعت للخلف بفزع وكأن عقربة لدغتها، حتى أن الطبق الذي كانت تحمله سقط أرضاً لينكسر

مصدراً صوتٍ مزعج، إبتلعت ريقها بأرتباكٍ وكادت بأن تتحني لتلملم المتحطم منه، أشار "رحيم" للخادم الذي أتى

مسرعاً ثم قال:

__هو هينضفه..

وبالفعل إنحنى الخادم ليللم ما بقايا الزجاج المتناثر أما هي

فأسرعت للمطبخ لتهرب من أمامه حتى تسنح لها الفرصة
بالتقاط أنفاسها بعيداً عن قربه المقلق لها، انسحب "رحيم"
لمكتبه ببسمة صغيرة ترسم على جانبي شفثيه فمازال يؤمن
بأن عليه الصعود للدرج على مهلاً ليفوز بها، إستند على
مقعده بأسترخاء ليهمس بصوته المقبض:

__لسه الطريق طويل يا "شجن.."

بغرفة "يوسف..."

إبتسم "آدم" بسعادة وهو يستمع لحديثه عن رحلة كفاحه منذ
أن بدى بالعمل وهو طفلاً صغيراً يا يتعدى السادسة عشر من
عمره، شعر بسرعته بالحكم عليه بل إنه كسب صداقاته
سريعاً بعد قضاء ليلة واحدة فقط!!!

قطع حديثهم المرح طرقات على باب الغرفة ففتح "آدم" الباب
ليجد "نغم" في حالة لا ترضى لها، فولجت لتقف أمام زوجها
لتهمس بصوتها الباكي:

"__يوسف..!"

إنخلع قلبه حينما رأى عينيها المتورمة من أثر البكاء،
انسحب "آدم" للخارج قائلاً بلطف:
__أنا بره خدوا راحتكم..

وتوجه للخارج ليترك لهما مساحة خاصة للحديث، ولكنه
توقف محله بملامح واجمة حينما رأى "سما" من أمامه
وعلى ما يبدو بأنها كانت متوجهة لغرفته هي الأخرى...!

ولج "مروان" من الخارج يخفي ملامحه خلف نظارته
السوداء الكبيرة وما أن تأكد بخلو الغرفة من عدوه الشريك
حتى خلع نظارته ليلامس جروح عينيه بألم، وحقد ينبع
بداخله لتحركه غريزته للانتقام من هؤلاء اللعناء، خرج
"فارس" من حمام الغرفة يرتدي منشفة حول خصره ليكمل
إرتداء ملابس به بالخارج، فتفاجئ به يجلس على الفراش
ويحاول تضמיד جروح عينيه، إقترب ليقف أمامه فتفحص ما
به بنظراتٍ ساخرة ليسأله بجرأة:

__مين اللي علم عليك؟..

إنته "مروان" لوجوده فأرتدى نظاراته سريعاً ليحييه بغضب
وبصوتٍ متحشرج:

__هو مين دا اللي يقدر يعلم عليا ما تنقي كلامك!..

وضع يديه حول خصره ليرمقه بأستهزاء:

__لا علم وعلم أوي كمان وأنت الرجولة مش أخذك غير علينا
وبس..

إحترقت عينيه بلهيب الغضب، فقال بعصبية:
_قولتك محدش يقدر يعلم عليا، بس الحيوان دا أخذني على
خوانا هو واللي معاه..

إعتدل "فارس" بوقفته ليشير له بشراسة:
_حلو نأخده أحنا على الهادي عشان يتربى صح..
وتوجه للخزانة ليجذب قميصه وبنطاله بضيق ملحوظ، ضيق
"مروان" عينيه بذهول، فباغته بسؤالٍ ساخر:
_هو مين اللي هناخده!..متقولش إنك هتساعدني!!!
إرتدى بنطاله ليستدير إليه وهو يكمل إرتداء قميصه الأسود
ليجيبه بخبت:

_أكيد هساعدك أنا محدش يعلم على عدوي غيري...
إبتسم "مروان" بسخرية:
_وجهة نظر برضو بس أنا أيه اللي يضمنلي إنك متغدورش
بيا أنا مستحيل أثق بحيوان زيك، أنت نسيت اللي بينا ولا أيه؟
حدجه بنظرة غاضبة:

_إحترم لسانك بدل ما وربي أدفك هنا وأنت ما شاء الله مش
محتاج لكمة وشك متشوه جاهز..
لامس بيديه ما بوجهه بغضب، فغمز له "فارس" بخبت:
_كدا تعجبني..

وتوجه للباب ليشير له بيديه ليتبعه:

__إستعنا على الشقا بالله...__

هبط من سيارته ليتوجه للقصر بعدما عاد من الشركة، كاد
بصعود الدرج ولكنه توقف حينما إستمع لآخر صوت يمقته،

فعلى بندائه:

"__سليم..__"

تمسك بصعوبة واستدار ليجدها أمام عينيه مداعية البراءة
على وجهها الشيطاني، أتت لحدود مملكة "زيدان" رغم
التحذيرات المشددة عليها بالا تفعلها، هبط ليقف مقابلها
فجذبها بقوة من معصمها صارخاً بها بغضب:

__أنتِ أيه اللي جابك هنا..__

لاحت على وجه "هنا" بسمة خبث حينما تحقق مرادها لتري
من تراقبهما بالأعلى يديه القابضة على رسغها فتبدأ بأيقاظ
شكوكها تجاه ما يحدث!..

بغرفة "مراد..."

تناولت "حنين" المشروب الذي صنعه خصيصاً إليها فأصبحت
كالأدمان بالنسبة إليها أو ربما لأنه من صنع يديه، لا تعلم ما

الذي يحدث لها بوحوده أو حينما تتلامس أصابعها مع شيئاً
لمسه هو من قبلها لا تعلم ما الذي يحدث لها!!
إنتهت من تناول المشروب ثم توجهت للأسفل، باحثة عن
"أشجان" حتى وجدتها بالمطبخ...

تسللت بخفة لتخيفها كالمعتاد، ولكن تلك المرة استدارت
لتوقفها بوجومٍ شديد:

__مش هتعرفي تخطيني تاني إهدي بقي...
تعالتي ضحكات "حنين" المشاكسة لتطوفها بذراعيها طابعة
قبلة خاطفة على وجنتها:

__والله وإتنصحتي يا شوشو وبقيتي تعرفي تقفشيني..
رمقتها بنظرة منزعجة، لتدفعها برفق للخلف:
__نفسي تعقلي لأنك تقريباً فاضلك تكة واحدة وتسكني
العباسية..

عبست بحجابها بهيامٍ جعلته مضحك عن قصد:
__وماله لو "مراد" هيكون معايا نروح ونسكن مع بعض
إنشالله حتى نروح أبو زعبل..

تعالتي ضحكات "شجن" حتى إحمر وجهها، فتلك الفتاة
ستقودها للجنون حتماً، شاركتها "حنين" الإبتسامة ولكن
سرعان ما تلاشت حينما حاوطها ألم رهيب بحلقها، وكأنها

"خفیہ".....!!!!!!"

26

الفصل الثاني

الصراخ بأسمها إخترق آذنه فوخز قلب "مراد" بألم لم يعلم سببه، أسرع بخطواته ليتبع الصوت، فولج للمطبخ ليجدها تتمدد أرضاً بأهمال، في حالة لا ترثى لها، وجهها شاحب للغاية، يكسوه لون أزرق باهت، وكأنها رحبت بوسام الموت بأستسلام، تركزت نظراته عليها وقدميه ترفض الإنصياع لأوامره بالإقتراب!، قطع المسافة بينهما لينحنى تجاهها، فجذب رأسها الموضوع على قدم "أشجان" ليحركها بين يديه بصدمة، رأى الفقعات التي تهبط من فمها فعلم بأنها تعرضت لسم قاتل، حرك رأسها بأنفعالٍ ليردد إسمها بعدم إستيعاب:

"_حنين...!"

لم تستجيب مشاكسته لندائه كالمعتاد، ف شعر بأضطراب قلبه الذي خفق دقاته ببطء وكأن الزمان توقف أمامه، فقد مهاراته وإحترافيته بالتعامل مع هذا الوضع، لكونه مدرب للتعامل مع كافة المصاعب، خرج "رحيم" من مكتبه بسرعة كبيرة، حينما إستمع لصوت بكاء "شجن" ليرى بعينيه ما يحدث أمامه، هرع تجاههم ليجد "حنين" تصارع الموت بمحاربته

هذا السم الفعال، والغريب بالأمر إستسلام "مراد" الغير متوقع، إنخفض تجاهها ليتفحص نبضها فوجدها مازالت على قيد الحياة، دفع بيديه "مراد" ليحركه بقوة لعله يسترد عقله فقال وهو يتفحص وجهها الأزرق الشاحب:
_دا سم!، لازم تخليها تطرد الأكل اللي أكلته قبل ما يتمكن منها أكثر من كدا..

وكأنه لم يستمع إليه، فكانت نظراته عليها ويديه منغمسة بين أصابعها، وكأنه فقد الحياة، إهتز جسد "حنين" بقوة وكأنه بدأ بالإستجابة لجرعة السم القاتلة التي إنسابت لإختراق جسدها بأكمله، صعد "رحيم" من تأخره بأنقاذها، فلكمه بقوة ليصيح بشراسة:
_مراد" فوووق..."

لكمته القوية كان لها الفضل بعودة عقله للعمل، فبدأ باستعيب ما قال وما عليه فعله، حملها سريعاً بين يديه، ليتجه لحوض الإغتسال الخاص بالأطباق المجاور إليه، ضغط بيديه بقوة على صدرها، وبحركاتٍ إعتاد التدريب عليها بمعسكر عمله جعلها تستفرغ ما بجوفها، تراجعت "شجن" للخلف بخوف من رؤية "حنين" بتلك الحالة المذرية، تحولت نظراتها لـ"رحيم" لتحذجه بنظرة غريبة، جعلته يتطلع لها بذهول من

قراءة ما يجوب بعقلها، أشاح بنظراته عنها لينقذ تلك الفتاة
أولاً ثم يراها، سأل الخادم المسؤول عن خدمات المطبخ
بحدة:

__الهاتم كلت أيه من هنا؟...__

أجابه سريعاً والخوف يدب بحدقي عينيه من أن يتهم بما
حدث:

__مأكلتش حاجة يا باشا هي كانت بجناحها ونازلة...__
أمره بوجومٍ شديد:

__طيب أخرج الوقتي...__

إنصاع لكلماته على الفور، حملها "مراد" ليضعها بأحد غرف
الطابق الأسفل، وضعها على الفراش برفق وعينيه مازالت
متعلقة بعينيهما لعلها تفتحها لتتير دربه الذي أظلم بأنغلاقها،
أشار له "رحيم" فتركها وخرج من الغرفة ليقف مقابله،
فقال:

__لازم نفتش جناحك أكيد الاكل المسمم لسه له أثر....__

أوما برأسه بتأكيد، ليلحق به على الدرج ومن ثم إستدار
لحارسه الشخصي الذي يقف أمام الغرفة الموضوع بها
"حنين" ليأمره بحدة وبغلظة لم يعهدها من قبل:

__لو حد دخل جوا الأوضة دي حسابك مش هيكون غير__

معاً...معايا

أحنى رأسه قليلاً ليؤكد له على تنفيذه لكلماته، صعد "مراد" للأعلى، فولج لجناحه ليبحث جيداً عن الأطعمة التي تناولتها "حنين"، عاونه "رحيم" بالبحث ففتح البراد الصغير الموضوع بغرفته، ليخرج زجاجة عصيره المفضل، أزاح غطاءها ليقرّبها من أنفه ثم سكب منها بأحد الأكواب ليتطلع للونها بأهتمام، إنتبه له "مراد" فترك ما يتفحصه وإتجه إليه فجذب الزجاجة من يديه ليتفحصها هو الآخر، فأبعدها عنه مردداً بصدمة:

أنا اللي كنت مقصود مش هي...!

تطلع له "رحيم" بنظرة مطولة، ثم جذب الكأس ليقف قرب الباب، فرفع صوته الصارم:

"_حازم.."

ولج يهرول للداخل فقدم له "رحيم" الكأس ليشدد على كلماته:

إعرفلي نوع السم دا وعلاجه بأسرع وقت...

جذب الكأس منه وهرع مسرعاً ليتفقدّه، فالدقائق قد تشكل نهاية بالنسبة لها، بدت قسمات وجه الجوكر قابضة، مخيفة للغاية، لكم درابزين الدرج بيديه ليصرخ بعصبية:

__الكلب عايز يتخلص مني عشان يقدر يوصل للي عايزه...
إقترب منه "رحيم" ليشدد على كلماته الهادئة:
__إهدى يا "مراد"، هنربيه بس نعرف الأول مين اللي
بيساعده..

خيم الحزن بسحابة مظلمة عليه، فمعشوقته تواجه الموت
بدلاً عنه، تمنى لو كان محلها، فقلبه يئن بأهاتٍ خافتة، هبط
للأسفل ليقف أمام غرفتها، يخطف النظرات السريعة إليها،
فأن طالت يطرق قلبه أبواب صدره القاسي ليمزقه بقسوة
على أمل الخروج لإحتضانها بروحه وكيانه، إنتهى الطبيب
من فصيحها فخرج ليخبره بحالتها المتأخرة وأنهى حديثه
بتحذيره الجلي:

__حالتها غير مستقرة، لأزم تنتقل مستشفى حالياً...
ما كان ينقصه سماع تلك الكلمات التي دفعت الخنجر العالق
بجرحه العميق، لتزيد من وجعه العميق، بدى لأول مرة عاجز
عن إتخاذ قرار أو حتى التحرك، تدخل "رحيم" بالحديث
ليوقف الطبيب عن إستكمال ما يقال:

__مستحيل تطلع من القصر، حياتها هتكون في خطر...
قطعه الطبيب بكلماتٍ مختارة فحاله كحال من يتعامل مع
شخصٍ بصرامة "رحيم زيدان" الذي يفرض حضوره على

الجميع:

بس يا باشا الهانم محتاجة آ....

بتر كلماته حينما رمله بنظرة مميتة ليشدد على حديثه:

أظن إنك سمعت كلامي، أعمل اللازم والأجهزة اللي

هتحتاجها رجالتى هتوفرها لك...

خضع لحديثه الحازم فتركه وولج للداخل ليبدأ بعملية إنقاذها

الغير مقنعة لرحيم فكان يعتمد اعتماداً كلياً على "حازم"

لخبرته بأنواع السموم وترياقها، نقل نظراته الحادة عن

الطبيب المغادر ليتطلع لمراد بأستغراب، رآه هزيل، واجم

الملامح، رآه ضعيف ولم يعهد عنه الضعف من قبل، وضع

يديه على يده الممدودة على دربزاين الدرج ليطمئه:

هتبقى كويسة متقلقش...

منحه نظرة غامضة، ليستقيم بوقفته:

" عماد " دا سكتة أية؟..

أجابه بثبات:

للأسف مش زي أخواته...

ثم قال وهو يجذب هاتفه:

عامل حساب لكل حاجة، وأولهم هو تغير مكانه من فترة

للتانية...

زفر "مراد" بعصبية، فأرتفع نبرته الساخطة:
_الأهم من كل دا هو أنه بيتلاشى الأخطاء اللي إخوانه
إرتكبوها فبيحاول يتخلص مني الأول قبل ما يوصل
ل"حنين"...

جابت نظرات "رحيم" فناء الفصر الواسع:
_هنعرف اللي عملها متقلقش...

شهقات خافتة أتت من خلفهم، جعلتهم يستدروا تجاه باب
الغرفة، فوجدوا "شجن" تستند برأسها على نافذة الغرفة
الخارجية، تتطلع لحنين بدموع مهلكة، ترأها وهي تصارع
الموت بأنفاس متقطعة، الصديقة الوحيدة التي إكتسبتها
فكانت خيرهن، إبتعدت عن النافذة حينما رأت الطبيب يحقنها
ويقيس نبضاتها، فرأتهم من أمامها، إقتربت من "مراد"
لتعاتبه بصوتها الباكي:

_الدكتور قال أن حالتها وحشة ولازم تتنقل المستشفى ليه
سايبها هنا تواجه الموت...!

كاد بأن يجيبها ولكن ناب عنه "رحيم":
_خروجها من القصر مش لصالحها..
نقلت نظراتها الحاقدة إليه لتصرخ به بغضب:
_مش في صالحها إزاي دي بتموت...!!

قطع المسافة بينهما ليحيبها بهدوء:
_المستشفى مش هتعرف تعملها حاجة علاجها دقائق
ويوصل..

نظرات الشك الساكنة بعينيها جعلته يتابعها بأستغراب، تغلبت
على خوفها وأطالت بالنظر إليه، فربعت يدها أمام صدرها
لتجيبه بسخرية:

_ويا ترى بقى كان العلاج دا هيكون موجود لو كانت خطتك
نجحت و"مراد" هو اللي شرب السم مش "حنين...!"
صعق "رحيم" من تهمتها الصريحة إليه بأنه من حاول
التخلص من أخيه، ولكنه بدى ثابتٍ للغاية، عينيه لم تفارق
عينها، صوت إحتكاك أسنانه ببعضها كان قوي للغاية، بدى
وكأنه وحشاً يصارع الأغلال التي توقفه للإنقضاض على
فريسته، رفض "مراد" ما تمليه من تهم بشعة تجاهه فقال
بأتزان:

_أيه اللي بتقوليه دا يا "أشجان...!"
نقلت نظراتها تجاهه:

_الحقيقة، أكيد هو اللي ورا اللي حصل لحنين...
رفض البقاء أكثر من نفسك فتوجه لغرفة مكتبة ليصفق الباب
من خلفه، لتجوب خطاه المكان بملامح مفترسة، شرسة

للغاية، يود أن يثلج صدره بالنيران التي إستحوذت عليه،
إستغل "مراد" إنصرافه فوقف أمامها ليرسم بسمه هادئة لعلها
تستمع لكلماته، فقال بثبات:

"_رحيم" مستحيل يعمل كذا يا "أشجان"، اللي عمل كذا أنا
عارفه كويس وأعرف إزاي أجيبه وأدفعه التمن غالي...
قالت بأعتراض رافضة الإصغاء إليه:

_وأيه اللي يضمنلك إنه ميكونش هو، دا شيطان عايش بس
عشان يأذي غيره...

خلع جرفاته وكأنها تعيقه عن التنفس، فعادت كلماتها
لتستحوذ عليه من جديد، أطبق على يديه بقوة حتى إبيضت
يديه من فرط تصلبه فصمته عن الحديث وعدم الدفاع عن
ذاته جعلته يتلوى من الغضب، فخرج من الغرفة ليتجة إليها
مجدداً ليدفاع عن ذاته ولكنه وقف محله حينما إستمع
لحوارها مع أخيه بصدمة من كلماتها، تطلع لها "مراد"
بأستراية ليسألها بشكل مباشر:

_معقول تكوني شايفاه بالشكل دا...!

وضعت عينيها أرضاً بتهرب من اجابته، فمنحتها دموعها
طاقة غريبة للحديث:

_كل ما احاول أنسى اللي عمله معايا وأحاول أديله فرصة

جديدة بتحصل حاجة تخليني أغير رأيي فيه وأخاف منه أكثر

..

هز رأسه بأيماة خفيفة، متفهمة لما تمر به من حالتها
النفسية العصبية، فقال بهدوء:

__ يمكن اللي مريتي بيه كان صعب بس اللي أنا واثق منه
أن "رحيم" مستحيل يعمل كدا...

لم تتأثر ملامحها بما قاله، بدت غير مقروءة ومع ذلك
تساءلت بأهتمام:

__ وأيه اللي يخليك واثق كدا..!

لاحت على وجهه بسمة شاحبة تكاد ترسم بالكد، فأجابها
بفتور:

__ لأن "رحيم زيدان" لما بيكون له عدو مش بيحاربه
بالأسلوب الخسيس دا، بيقتل بس وعيونه متسلطة في عين
عدوه..

واستطرد بحدة سيطرت على صوته الخشن:

__ اللي عمل كدا هو ابن عم "حنين" مش "رحيم" يا
"أشجان..."

وتركها "مراد" وتوجه لغرفة محبوبته ليجلي مقابل لها،
جذب يدها الباردة ليدفئها بين لائحة يديه، وعينيه غائرة

بالدمع، يود لو تمكن من البكاء أو حتى إسقاط دمعة واحدة
تخفف من وجع قلبه، ولكنه إعتاد على القوة والجفاء، قبل
يدها بأنفاسه التي ذقت الألم فأصبحت حارقة كالرماد،
راقبتهم "شجن" من الخارج بدموع، الخوف عليها
يحطمها...

__الدوا جاهز يا باشا...

كلمات جعلتها تنتبه لوجود أحداً ما بخلفها، فاستدرات لتجد
الحارس الشخصي لـ "رحيم زيدان" يقف بزواية بعيدة عن
الدرج، يتحدث للفراغ، لا مهلاً بل هناك طيف لشخص يقف
بالزواية المعتمة، خرج للضوء ليقف أمامها، فتفاجئت
بوجوده...!

نعم إعتصر قلبها من نظراته التي إكدت لها بأنه إستمع
لحديثها القاسي عنه، إلتقط منه أنبول الدواء وتوجه للغرفة
متعمداً أن يتجاهلها بعدما منحها نظرة جعلتها بأرتباك من
أمرها، ولج "رحيم" للغرفة ليقدم الدواء له قائلاً بثبات عجيب
وكان شيئاً لم يصيبه:

__شربها الدوا دا وهتفوق يا "مراد.."

إلتقط منه الأنبول بلهفة، ليقربها لصدره ومن ثم وضع ما به
أسفل لسانها، ليحني رأسها قليلاً للأسفل، إستمغرق الأمر أكثر

من نصف ساعة حتى إستردت "حنين" وعيها تدريجياً، فبدأت بفتح عينيها على مهلاً، و"شجن" بالخارج تراقب ما يحدث من النافذة الزجاجية بأستغراب، فهو بالفعل الذي أنقذها مثلما أخبرها منذ قليل...!

كانت محتجزة بغرفة صغيرة للغاية، معتمة، تحبس أنفاسها فتسيطر عليها، كان تستمع لأصوات من حولها ولكنها لم تتمكن من الحديث، إخترقت رائحة البرفنيوم الخاصة به هذا الحاجز المعنوي ليشعرها بوجوده، شعرت بأحتضانه لها وصراخه بأسمها، شعرت بلمسات يديه وقبلته العاشقة لها، وكأنه فتح الباب لها لتخرج من غرفتها الضيقة لينعشها الهواء ويعيدها للحياة، فتحت "حنين" عينيها تدريجياً لتجده مقابلها مثلما شعرت من رائحته المميزة، خرج صوتها متقطع للغاية ولكنه مفهوم:

"م_ر_ا_د..."

إستقبلها ببسمة كبيرة تشكلت على وجهه الرجولي، فجذبها لأحضانه بعدم تصديق من إستعادتها، كان يظن بأنه سيفقدها مثلما فقد كل عزيز ولج لحياته القاتمة ولكن الله عوضه خيراً، إنسحب "رحيم" من الغرفة بلطف، حتى يترك لهما مساحتهم الخاصة، تعمد بالا يتطلع تجاه من تقف أمام الغرفة بل أكمل

طريقه لمكتبه بخطواتٍ منتظمة، واثقة، تهدجت دقات قلبها وهي تلمحه يتجاهلها، عادت كلماتها لتأنيبها فشعرت بالسوء لما قالته بحقه لأول مرة، أرادت أن تتبع قلبها وتتابعه لتعتذر عن طريققتها السخيفة ولكنها أرادت الأطمئنان على صديقتها أولاً...

تأوهت من الألم ولكنها حبست تعبيراتها خلف بسمة زائفة حتى تظن من تراقبهم من الأعلى بأن هناك ما يحدث بينهما فقالت بدلال:

__ أنا جيت أفكرك أنك وعدتني إنك هتتقدملي بشكل رسمي بس الظاهر إنك بتتسى..

سحب "سليم" يديه بغيظ من اسلوبها الرخيص، فقال بحزم:
__ زي ما قولتي ناسي ومش هفتكر غير بمزاجي، ولو كررتي الزيارة دي تاني هنسأك شخصياً....

ابتلعت ريقها بأرتباكٍ وظهر على ملامحها الخوف، فقال بلهجة ساخرة:

__ حلو أن الواحد يعرف حدوده وحدودك لو إتخطيتها تاني متتوقعيش أني أحقق اي شيء من إتفاقنا...
تملكها الغضب، فقاطعته بوقاحة:

_ لا يا حبيبي لو فاكِر إنك هتخلص مني بالسهولة دي تبقى
غلطان..

ثم إقتربت منه لتهمس له بنبرتها الخبيثة التي كشفت عن
مخططها الدانيئ منذ البداية:

_ زي ما معاك نسخة من كاميرا المكتب باللي حصل أنا كمان
معايا نسخة بس من تصوري أنا..

وإبتعدت عنه لتحذجه بنظرة مأكرة وبسمتها تتسع على
وجهها، صُدم "سليم" من إعترافها الصريح بأنها من فعلت
ذلك، نعم كان يشك بالأمر ولكنها إعترفت به وكأنها تتفاخر
بما فعله بها..!

جز على أسنانه بغيظ بطريقة أخافتها، ليخرج صوته المتقطع:
_ غوري من وشي...

تراجعت "هنا" للخلف قليلاً لتضمن مساحة أمنة لها:

_ همشي بس متنساش كلامي...

وغادرت من أمامه، بعد ان منحت من تقف بالطابق العلوي
بسمة خبيثة لترتدي نظاراتها السوداء وتغادر لسيارتها
بخطواتٍ خليعة ودلال مبالغ به، أما "سليم" فوقف محله
شارداً بكلماتها لتعاد تحذيرات "رحيم" من أمامه عنها، ترقب
الفراغ التي تركته سيارتها بنظراتٍ تقرز، وكأنه يمقت الأرض

التي حملتها، فلم يرى تلك التي هبطت لتقف من خلفه، استدار
ليدلف للداخل فوجدها تربع يدها أمام صدرها بغضبٍ يتمرّد
بعينيها، فسأله بشكلٍ مباشر:

__البنت دي بتعمل ايه هنا يا "سليم"؟..
إزدرّد حلقة الجاف بصعوبة ليجيبها بهدوء:
__كانت جاية لـ "فاطمة"...

وتوجه للدخول ولكنه توقف حينما تمسكت "ريم" بذراعيه،
رفع عينيه تجاهها تلقائياً، فوجدها تحدّجه بنظراتٍ مشككة:
__ولما هي جاية لفاطمة واقفة معاك ليه؟، وكنت ماسكها
كدليه؟...!!!

جذب ذراعيه منها بقوة أربكتها، ليغمغم بضيق:
__كانت هتقع ومسكتها وبعدين دي أيه الأسئلة دي كلها أنتِ
دماغك بتفكر في أيه بالظبط؟!
هزت رأسها معقبة على حديثه:

__هصدق اللي شافته بعيوني ولا اللي أنت بتقوله..
ثم إستقامت بوقفها المضطربة لتسأله بتوترٍ وكأنها لا تحبذ
سماع الإجابة المنطقية الكاذبة:
__"سليم" أنت في حاجة مخبيها عليا؟...
ثم أعادت صيغة السؤال بأرتباكٍ:

في حاجة بينك وبينها...!

للحظة كان سيعترف لها عما يحمله بقلبه، للحظة كان سييوح لها بعذابه الذي يحمله بمفرده؛ ولكنه يعلم بأنها سترفض تصديقه فهو بالفعل شاركها بجريمة جسدية لا تغتفر، إستعاد ثباته ليقضي على ضعفه الذي سيفضح ما حدث ليسيطر عليه بصوته الذكوري الغليظ:

قصدك أيه؟!، أنتِ واعية لي بتقوليه يا "ريم"؟!..!

كادت بالحديث فأوقفها بأشارة يديه ليصرخ بها بغضب:

يعني أي واحدة هقف معاها هيكون في بينا حاجة!!!. أنتِ أكيد جري لعقلك حاجة..

وتركها وولج للداخل فلحقت به على أمل الحديث معه ولكنه رفض السماع إليها وصعد لغرفته ليغلق بابها بقوة بوجهها، ليستند عليه بحسرة وغضب من ذاته على ما إرتكبه بحقها وبحق ذاته...

إنتظرها حتى إنتهت من قص ما يضيق صدرها، تفاجئ ببدء الأمر بأمر ابيها الذي مازال على قيد الحياة؛ ولكنه منذ أن دلف لتلك العائلة الغريبة وأصبح لا يتعجب من أي شيء يحدث فما كان أغرب من رفيق دربه الذي أصبح بقدرة قادر

"رحيم زيدان" الذي يملك سلطة مخيفة، إستاء "يوسف" للغاية وهو يستمع لما قالت له لأبيها، فقال بعدما فرغت من حديثها:

_أكيد في سبب يخليه مخبي حقيقته لكن دا ميمنعش إنك غلطتي غلط كبير يا "نغم.."

ضيق عينيها بذهول، لتسأله بعدم إستيعاب:

_أنا اللي غلطت..!

رد عليها بلامح واجمة:

_مهما كان اللي عمله فيكي ميصحش تكلمي باباك بالأسلوب دا، الواحد بيتمنى أن أبوه او أمه يرجعوا للعنيا ثانية واحدة بس يبوس أيدهم ويطلب منهم السماح لاي ذنب إرتكبه في حقهم وفي المقابل أنتِ عملتي كدا...!

لم تكن كلماته مرضية بالنسبة لها، توقعت ان ينحاز لصفها، أن يواسيها، فتمردت بالحديث لتصرخ بها بعصبية:

_عملت أيه يا "يوسف"!، يعني المفروض أتصرف إزاي وأنا شايقة أبويا اللي المفروض ميت خارج من أوضة الست اللي كانت السبب في موت أمي...!

والتقطت انفاسها، لتستكمل ببكاء حارق:

_المفروض إني إترمي في حضنه وهو السبب في كل اللي

بيحصلنا دا، ولا افرح إنه عايش وسايب الست دي وإبنها
يتحكموا فينا..

قطع حديثها بغضب:

__إتكلمي عنها باحترام يا "نغم" هي ملهاش ذنب في حاجة
أنتِ بنفسك سمعتي الحقيقة اللي كانت في الوصية واللي
بسببها إنتهت العداوة اللي كانت بين أخوكِ ورحيم، الست دي
المظلومة مش والدتك...

أجابته بحدة:

__صدقت كل دا لم كان هو ميت لكن دلوقتي إتأكدت إنها كدبة
عشان نتقبل وجودهم بالقصر...

ثم تطلعت له بنظرة شك، لتقذفه بكلمات كالخناجر:

__وبعدين أنت محروق عليهم كدليه هو أنت في صفي ولا
صفهم..

وإبتسمت بسخرية لتسترسل حديثها القاتل:

__أسفة نسيت إنها أم صاحبك المقرب ويمكن أنت إتقربت مني
عشان تدخل العيلة دي كمان واهو ينوبك من الحب جانب...

هوى على وجهها بصفعة قوية أوقفتها عن الحديث بعدما

صرخ بصوتٍ قابض:

__إخرسي...

ورفع يديه ليشير لها بأصبعيه أمام عينيها:
_ كل مرة بتثبتي أن علاقتنا أكبر غلطة، كل مرة بتاكديلي
أني صح ولأزم أنهى العلاقة دي...

أشارت برأسها بالنفي خشية من أن ينهي ما بينهما بتلك
الكلمة المقبضة، وخز قلبها رعباً من أن ينطقها، لم تعد تمتلك
سواه وبغنادها ستفقده، تطلع لها بنظرة مطولة، غريبة،
عرفت مكنونها، وكأنه يتشبع بالنظرة الحلال فيما بينهما،
ليكون الوداع بكلمة ستنتهي هذا العناء المفروض، إقترب
"يوسف" منها ليقف أمامها وجهاً لوجه، نظراته المتعلقة
بعيناها انسحبت لشفتيها الملطخة بالدماء جراء صفعته، رفع
يديه يزيح عنها الدماء بأطراف أصابعه ليغلق عينيه بشدة
لعله يتمكن من تخلص ذاته، أرهفت آذنيها السمع لما
سيقوله بأنفاس مضطربة، فقال بتناقل:

_ أنتِ دائماً بتوديني لطرق أنا مش حابب أمشي..

وأبعد يديه عنها قائلاً بآلم:

_ خلي بالك من نفسك...

وتركها وتوجه للمغادرة، فصرخت بقوة أوقفته محله:

_ متسبنيش يا "يوسف" أنا لوحدي ماليش حد غيرك.....

إبتسم بآلم، فقال وعينيه على باب الغرفة دون أن يستدير لها:

وَهتَفْضَلِي لَوْحَدَكَ طَوْلَ مَاأَنْتَ مُكْمَلَةٌ فِي عَنَادِكَ دَا...
وَعَادِرَ وَلَكِنْ تِلْكَ الْمَرَّةَ لَمْ يَسْتَدِيرَ لِلْخَلْفِ أَبَدًا، غَادِرَ لِيَجِدَ
"نَجْلَاءَ" أَمَامَ عَيْنَيْهِ، تَقِفُ عَنْ مَقْدَمَةِ الدَّرَجِ، قَابِلَتَهُ بِبِسْمَةِ
تَمْلَأُهَا الْمَحَبَّةَ وَالصَّفَاءَ فَقَالَتْ بُوْدُ:

"_يُوسُفُ.."

بَادِلَهَا الْبِسْمَةَ الْهَادِئَةَ وَلَكِنْ تَعَابِيرَاتِ وَجْهِهِ كَانَتْ قَائِمَةً،
جَعَلَتْهَا تَخْمِنُ بِمَا حَدَثَ وَخَاصَّةً حِينَمَا أَخْبَرَهَا "طَلَعَتْ" بِمَا
حَدَثَ مَعَ ابْنَتِهِ، رَبَّتَتْ عَلَى كَتْفَيْهِ بِحَنَانٍ:

"_أَنْتِ كُويْسُ يَا حَبِيبِي؟.."

أَجَابَهَا بِبِسْمَةِ هَادِئَةٍ وَبِكَلِمَاتٍ غَرِيبَةٍ:

"_هَتَعُودُ أَكُونُ كُويْسُ....."

ثُمَّ أَكْمَلَ رِسَالَتَهُ الْغَامِضَةَ:

"_مَتَقَلِّيشْ مَشْ هَقُولُ لِحْدِ حَاجَةٍ.."

وَتَرَكَهَا وَغَادِرَ مِنَ الْقَصْرِ أَكْمَلَهُ، بَعْدَمَا تَرَكَ لَهَا جَوَابَ صَرِيحٍ
بَأَنَّهُ لَنْ يَخْبِرَ أَحَدًا بِحَقِيقَةِ "طَلَعَتْ"، شَعَرَتْ بِمَعَانَتِهِ الَّتِي
نَقَلَتْهَا نَبْرَةَ صَوْتِهِ الْمُنْكَسِرِ، فَاتَّبَعَتْهُ نَظَرَاتُهَا بِحُزْنٍ، خَرَجَتْ
نَعْمَ "خَلْفَهُ رَاكُضَةً، فَرَاتَهُ وَهُوَ يَغَادِرُ، إِحْتَضَتْ الدَّرَجَ بِيَدِهَا
لِتَسْقُطَ أَرْضًا تَرَاقِبُهُ وَهُوَ يَبْتَعدُ بِدُمُوعٍ وَبِكَاءٍ يَشُقُّ الْقَلْبَ،
إِنْحَنَتْ "نَجْلَاءَ" تَجَاهَهَا لِتَرْبِتَ عَلَى ظَهْرِهَا بِحَنَانٍ وَبِأَعْيُنٍ

غائرة بالدموع لأجل بكائها، تناست ما تحمله بقلبها من حقد
تجاهها وإختبأت بأحضانها لتبكي بحرقة والآخرى تحتويها
كأبنتها التي لم تنجبها....!

وقفت أمامه بخزي، وإرتباكٍ بأختيار الكلمات التعبيرية لما
حدث، عينيها الموضوعه أرضاً جعلته يخمن عما تود التحدث
به، وخاصة بأبتعدها عنه طوال الفترة الماضية وتحاشيها
الإحتكاك به الا قليلاً، بدأ "آدم" الحديث ليعفو عنها حرجها:
_أيدك بقت عاملة أيه؟...

تلقائياً تطلعت "سما" ليدها الملفوفة بشاشٍ أبيض صغير،
فأجابته بتوتر:

_الحمد لله أحسن..

أوماً برأسه بهزة بسيطة، فقالت بأحرف متقطعة:

_آ..... آآآ... أنا كنت جاية عشان أتكلم معاك...

إقترب منها قليلاً، ليحثها على الحديث:

_إتفضلي سمعك..

رفعت عيناها عن الارض لتتطلع له بأرتباكٍ، والدموع عرفت
طريقها:

_أنا فعلاً مكنتش أعرف إنه ك....

وقطعت كلماتها بمرارة لتستكمل بكاء:
_ هي صممت أحضر عيد ميلادها وأنا خرجت معاهم
ومهتمتش أعرف المكان، أنا أسفة...

ترقبته يتحدث ولكنه كان يستمع فقط، إلى ان قرر الحديث
فقال بندم إتضح بلهجته:

_ أنا كمان غلطت، مكنش يصح أتكلم معاك بالطريقة دي..
الغيرة على النساء والأعتذار عن الخطأ سمات ليست بأناس
الغرب، بدت "سما" تزيح الافكار الخاطئة التي إتخذتها عن
"آدم"، تلك الفترة كانت كفيلة بجعل تفكيرها يلهمها بأنه
مازال يحتفظ بسمات الرجل الشرقي الغيور، تعلقها به من
البداية كان إنجذاب لوسامته ولكنها الآن تعترف لذاتها بحبها
الشديد له، أخفضت نظراتها عنه بخجل شديد حينما تناسته
وظلت تتأمله بطريقة مخجلة، وضع "آدم" يديه بجيوب جاكيتيه
الجليدي ليقترح عليها ببسمة هادئة:

_ أيه رايك نخرج نسهر بره..
أجابته بفرحة:

_ معنديش مانع..
وتركته وتوجهت للأستعداد بسعادة تداعب وجهها الرقيق...

بمكتب "رحيم زيدان..."

ربع يديه على مكتبه ليستند برأسه عليها، مازالت تؤلمه
كلماتها، مزق صفحات الصمت الذي يسطرها دخول "مراد"،
أسند ظهرها على مقعده بثبات تحلى به بحرافية حينما رآه
يدلف للداخل، جلس على المقعد المقابل للمكتب الخشبي
فنهض "رحيم" ليجلس أمامه بعدما طلب من الخادم عبر
الهاتف كوبين من القهوة لكليهما، تطلع له بهدوء فسأله
بأستفسار:

"_حنين" عاملة ايه الوقتي؟..

هز رأسه بخفة ليجيبه على سؤاله:

_أحسن دلوقتِي..

رد مبتسماً:

_الحمد لله...

تساءل "مراد" بأهتمام:

_عرفت حاجة عنه..

أجابه بأيماءة بسيطة من رأسه:

"_حازم" قرب يوصل لمكانه متقلقش...

وضع قدمه فوق الاخرى بأسترخاء:

_عظيم...

دقات خافتة على الباب جعلت "رحيم" يسمح للطارق بالولوج
وما كان سوى الخادم الذي وضع أمامهم الصينية المستديرة
الحاملة للاكواب، نظرات غامضة تشكلت بعينه فأوقف الخادم
الذي كاد بالمغادرة بعدما تذوق فنجانه:

__ أنا مش بشربها سادة....!

ضيّق "مراد" عينيه بذهول:

__ بس انت مش بتشربها غير سادة..

قال وعينه مازالت متعلقة بالخادم:

__ مش من حقي أجرب الزيادة ولا ايه؟..

دهش من طريقته الغامضة، فقدم "رحيم" الفنجان للخادم

ليشير له بيديه على الفنجان الآخر، جذب الخادم الفنجان

المقابل لـ "مراد" ليقدمه لرحيم بأصابع مرتجفة والآخر

يحدجه بنظرات ثابتة، ذهل "مراد" مما يحدث وقد بدى الشك

يعتريه، وضع الكوب عن يد الهادم على الطاولة ومن ثم سأله

ببسمة مخيفة:

__ عملت كدا ليه؟..

لعق الخادم شفّتيه بأرتباك، ففجأه "رحيم" حينما نهض من

محلّه ليرفعه على الحائط بيديه وكرر سؤاله بصوتٍ مرعب:

__ جاوبني...

كاد بالأختناق فقال بكلماتٍ متقطعة:

_غصب عني يا باشا هددني يقتلني لو عملتش كدا...
أسقطه أرضاً ليجذب الكوب الذي وضع به السم لمراد ثم
ضغط على فكه بقوة ليجعله يرتشفه قسراً، ليسقط أرضاً بعد
ان سرى السم بأنحاء جسده بأكمله، نقل "مراد" نظراته تجاه
"رحيم" الغاضب:

_الحيوان دا مدام قدر يوصل للقصر يقدر يعمل أي حاجة..
أجابه ببسمة مكرة:
_مش هيلحق متقلقش..

سعدت للغاية حينما علمت بأنه بالاسفل بانتظارها، سعادتها
بأنه بدأ يتعافى واول خروج إليه فضل بالذهاب إليها، هبطت
"فاطمة" مسرعة لتقف أمامه بأبتسامة مشرقة، إحتضنها
"يامن" ليهمس بأشتياق:

_وحشتيني...

إبتسمت بخجل وهي تجيبه:

_وانت كمان وحشتني اوي..

ثم جذبت يديه لتعاونيه على الجلوس على الأريكة، لتسأله
بفضول:

__طمني عليك، احسن دلوقتي؟..

أوما برأسه برضا:

__بقيت احسن لما شوفتك..

عبثت بطرف حجابها بخجلٍ من كلماته، فقال بتذكر:

"__هنا" كانت عندك ليه شوفتها وهي خارجة من هنا

بعربيته فقلت إنها كانت عندك..

ضيقت عينها بذهول:

__لأ بقالي فترة مشفتهاش...

تملكه الشك فصفن لدقاق والأخرى تتحدث عن اموراً متعلقة

بها وحينما لاحظت شروده سألته بلهفة:

__أنت كويس؟..

رسم بسمة صغيرة على وجهه ليجذبها بالحديث:

__قولتك ايوا، المهم طمني عني عن قعدتك هنا وشريكك

بالاوضة..

قال كلمته الاخيرة بسخرية فشاركته الضحك لتبدأ بالحديث

عن ما حدث منذ دخولها لقصر "رحيم زيدان"..

أمام أحد الملاهي الليلة، كانت هناك تجمعات هائلة من
السيارات وعدد من الشباب يجلسون على سطحها، وبأيدهم

زجاجات من الخمر يلقوها أرضاً حينما ينتهوا من شرب
محتواها، تمدد أحد الشباب على سطح السيارة بأسترخاء
ولجواره كانت تجلس فتاة خليعة تندي ملابس تظهر أكثر
مما تخفي، والآخر يتقرب منها بحركاتٍ غير ساوية، إستقام
بجلسته حينما رأى "مروان" يقف امامه ولجواره شاب على
ما يبدو بنفس عمره، تعالت ضحكات الشاب ليسخر منه
بصوته المقرز:

___أيه يا حلوة جبتي بنت أختك وجيتي..!
خرج "مروان" عن زمام اموره ليلكمه بغضبٍ قاتل، لينتقم
مما فعله به بالصباح ولكن تلك المرة حينما حاول فريقه
المزعوم من التجمهر حول "مروان" ليمنعوه من الفتك
بزعيمهم تصدى لهم "فارس" ليترك "مروان" يقتص لذاته
من هذا اللعين دون ان عون أو مساعدة...

صعد "رحيم" الدرج ليتوجه لغرفته، في نفس وقت هبوط
"جان" منحه نظرة سريعة غاضبة، ليحول تفاديه ليهبط من
الجانب الآخر، علق عليه "رحيم" ساخراً:
___شايفك زعلان إني أنقذتك من الموت..!
إنكمشت ملامح "جان" بغضب ليصعد إليه مجدداً، فوقف

مقابله بضيق:

__ لا شايفك أنت اللي مبتصدق تلاقي فرصة تظهر نفسك بطل
قدام الكل...

منحه بسمة ثابتة وثقة لم ينجح أحداً بالفتك به، إغتاظ "جان"
من صمته فكاد بالهبوط ولكنه توقف على كلماته:

__ عصفورك حاول يهرب من عشه بس أنا رجفنه تاني لأن
من مصلحة الكل إنه ميسبش عشه يمكن يتجددله جناح بدل
اللي إنكسر ومعاه ترجع علاقة إنتهت من سنين...

استدار "جان" تجاهه بصدمة من رسالته التي بدت غامضة
ولكنها صريحة بالنسبة إليه، غمز له بطرف عينيه الزيتونية
ثم تركه وتوجه لجناحه بخطواته الثابتة، فأخرج "جان"

هاتفه على الفور ليتأكد بذاته من رجاله بمحاولة هرب "إياد"
ومعاونة حراس "رحيم زيدان" لهم باستعادته، جن جنونه
منه فلم يخفى عليه إبرة صغيرة تدار بمملكته، ولكن ما شغل
عقله هي الجزء الأخير من جملة "رحيم" فماذا يعني أن
بجناحه الملتحم تعود علاقة إنتهت منذ أعوام أيقصد

"ريان...!!!"

إنسابت المياه من الصنبور من جميع الإتجاهات الدش الغريب

الاطور، فبدى وكأنه يعذب شخص وليس مجرد مياه
للإستحمام، ولج بداخلها "رحيم" ليغلق عينيه بقوة وكأنه
يعاقب ذاته على ما إستمع له من كلماتها القاسية، مرت
الدقائق وما زال لا يشعر بقسوة المياه الباردة، وكأن كلماتها
أشد عذاب منها، إستند على الزجاج المحاوط للدش بأسترخاء
لتعود كلماتها لجلده من جديد...

بالخارج..

طرقت على باب الغرفة مراراً ولكنه لم يستمع لطرقاتها فكانت
المياه صوتها اعلى من طرقاتها الرقيقة، راته وهو يدخل
غرفته منذ قليل فظنت بأنه لا يريد رؤيتها فسمحت لذاتها بفح
الباب ثم ولجت بخطواتٍ مرتبكة، بحثت عنه بكل مكان ولكنها
لم تجده فالتقطت انفاسها براحة، وكأنها كانت مجبورة على
اللقاء به، استدارت لتغادر الغرفة فتصنمت محلها بصدمة
كبيرة حينما إصطدمت به فتراجعت للخلف قليلاً بخوفٍ وتوتر
جعل حلقها يجف، وخاصةً بما رآته، نظراته الثابتة دون ان
يرمش لها جفن تجعل القلوب ترتجف رعباً، تراجعت للخلف
قليلاً وهي تبتلع ريقها بصعوبة فقالت:

__أنا...كنت...آ...

إقترب منها والمياه تتساقط على عينيه بشكلٍ ملفت، كالعادة

احتجزها الحائط بين احضانه فأصبحت محاصرة، خوفها
النفسي جعل جسدها يرتجف بقوة، ألقى عليها نظرة متفحصة
فجاهدت لإستجماع كلماتها:
أنا كنت جاية أع...

قطع كلماتها بصوته الساخر:
_جاية لحد هنا ومش خايفة من الشيطان الشرير يلتهمك...!
لعت شفتيها بلسانها من فرط الخوف فاقترب منها ليهمس
بغموض:

_شايفاني شيطان داخله جحيمي برجلك ليه يا "شجن"؟!
حاولت الإنسحاب ولكنه اوقفها حينما جذبها لتقف أمامه من
جديد فتمكن منها الخوف تلك المرة فلمعت عينيها بالدموع،
إستند بجبهته على جبهتها ليجيب على سؤاله بفتور:
يمكن لإنك عندك ثقة إني مستحيل أذك...

فتحت عينيها لتتطلع له بنظرة جعلته يتعمق بها لعل زيتونية
عينية تدفعها لماضٍ حفره عشق الطفولة فيما بينهما، إقترب
كالمهوس وهو يتأمل شفتيها المرتجفة، ظنت بأنه سيخلع
القناع ليظهر لها وجه الشيطان الحقيقي ولكنها تفاجأت به
يطبع قبلة عميقة على جبينها، ليبعد عنها بل حررها من
حصاره، هرولت لباب الشرفة حتي تعبر لشرفتها المجاورة له

فمنحته نظرة أخيرة، حملت رسالة مجهولة قرأها "رحيم"
فابتسم لتأكده بأنه عبر منتصف الدرج الذي سيوصله
بقلبها....

إستعادت وعيها الكامل بتعبٍ شديد، وحلقٍ جافٍ للغاية فجذبت
المياه من جوارها لتبلل حلقها، ولج من الخارج ليجدها تسكب
المياه وتكاد تتناول ما به، فصرخ بها بجنون:
" _ حنين.. "

تحركت حدقتيها تجاهه بأستغراب لتجده يرتشف المياه قبل ان
يقدمها إليها فقالت بأرهاق وقد عادت لمزحها:
_ يا عم خضتني، مش معقول هيسمونني مرتين يعني...!
إبتسم "مراد" وضمها ل صدره بقوة ليهمس من وسط
ضحكاته:

_ كنت هعيش من غيرك إزاي يا مجنونة..
دفعته بعيداً عنها بغضب:
_ طب أبعد بقى لما تحترم لسانك أبقي تعالى إحضن..
حملها عن الفراش لتصرخ مدعية التعب:
_ هتوديني فين يا ابني أنا لسه مسمومه بتفاحة الكتعة خلي
عندك دم..

القاها بمسبح غرفته الخاص ليتطلع لها بسخرية وهي تحاول
السباحة:

_مغنديش للاسف..

ثم خلع قميصه ليهبط للمسبح لتبدأ حربهم المعتادة من جديد
حرب القصيرة ذات اللسان السليط والجوكر...
أما بمكانٍ اخر فكانت تبدأ قصة أخرى من نوعاً آخر ترى ما
الجديد بها وما الحدث الذي سيجمع الشر بالخير؟؟!!..

الفصل الثالث

كلمات "رحيم" كانت تستحوذ على تفكيره بشكلٍ ملفت ، فبدى شارداً للغاية، قاد سيارته بسرعات غير متساوية، وكأنه يصارع عقله الذي إستكان لحديثه وكأنه شفرة سريعة يود حلها، وصل أمام المخزن السري الخاص به، فأستقبله رجاله بتحياتٍ سارة، فُتح الباب من أمامه فأكمل خطاه للداخل ليجده مقيد أرضاً بسلسلة حديدي غليظ، بحالةٍ مزرية، ووجهاً شاحب، إنحنى "جان" ليكون مقابله والآخر يحاول الإنتصاب بوقفته؛ ولكنه لم يستطيع فرأسه الثقيل يعيق حركته، مرر "إياد" يديه على أنفه بشكلٍ مقزز ليبدأ بالحديث المتقطع وبنبرة جعلها تحمل التواسلات:

__خرجني من هنا.

قالها وعينيه تراقبه بصورة مخيفة، بدى وكأنه مغيب عن واقعه، فأمتثل رجاله لأوامره وقيدوه حتى لا يعود لتعاطي تلك المواد المخدرة، جذب "جان" المقعد ليضعه مقابله ثم جلس عليه ليكون مقابله وجهاً لوجه، تمرد جسد "إياد" بشراسة ليحاول الهجوم عليه بأي طريقة، على عكس "جان" فكان

هادئاً للغاية، يتابعه بنظراتٍ ساكنة، غامضة، غريبة، تحرك
ذراعيه ليخرج شريط أبيض من الدواء ليلقيه بوجهه ثم حرك
رأسه تجاه احد من رجاله فقدم له المياه، إرتشف "إياد"
حبتين منهما بلهفة ظناً من أنه نوعاً من إدمانه اللعين ولكنه
لم يكن سوى مسكن قوي، منح عقله إشارة وهمية بأنه تناول
جرعة من المخدرات فمنح ذاته إحساسٍ بالإسترخاء، أشار
بأصبعه لرجاله بالإتصرف فأنصاعوا إليه ليبدأ بالحديث بعدما
راقب حالته بنظرة تفحصية:

__مبسوط من حياتك؟...

تطلع له "إياد" بنظرةٍ عدائية، فقال بهجومٍ ساخر:
__وأنت يهملك في أيه!، مش كنت عايز يقتلني مستاني أيه...!
نهض عن مقعده ليتجه إليه، فأحنى ليكون مقابله، فقال
بصوتٍ رخيم:

__كان دا قراري لكن دلوقتي إتغير...

مرر يديه على أرنفة أنفه بتعب:

__وقرار جنابك أيه؟..

لاحت على وجهه بسملة صغيرة، ليتحدث بجدية:
__قررت أديك فرصة جديدة، حياة مختلفة عن حياتك،
هساعدك تكون إنسان نضيف..

تطلع له لثواني إختتمها بضحكة ساخرة على ما قاله، فعقب
بسخرية:

_ لا بجد، وهتعملها إزاي دي...!
ثم تصلبت عروقه ليصرخ به بعصبية:
_ أنا عايز أخرج من المكان ال#### دا..
لم ترمش له جفن فأستمع إليه بهدوءٍ، حتى إنتهى من كلامه
الخارج ليستكمل حديثه بثبات:
_ لو خرجت من المكان دا الحكومة هتوصلك وهتعقبك على
محاولة قتلك ل"يامن" يعني أنت كدا كدا محكوم عليك
بالسجن، بس مع إختلاف المعاني....
هنا أنا بمديلك أيدي إنك تتغير وتبقى إنسان تاني غير اللي
أنت نفسك تعرفه، هساعدك تقف على رجلك وتبطل الهباب دا
وتعيش على إنك إنسان ساعتها بس لما تخرج من الباب دا
مش هتلاقي حكومة بتطارذك ولا أي حد هيحاول ينبش في
اللي فات دا وعدي ليك..

تطلع له "إياد" بتعجب من تغيره بالحديث، نعم فمن من قوات
الشر لا يرد خيراً لذاته؟!، ممن يسلك الدرب المظلم ويكره
طاقة النور التي تعاهده بأن تنير دربه؟!، أراد ذلك وبشدة
ولكن عزمته كان ضعيفة، محطمة، فتح "جان" يديه له قائلاً

ببسمه هادئة:

__عارف إنه قرار مش سهل بس صدقتي بعد كدا مش هتندم
إنك إختارته...

وزع نظراته بينه وبين يديه الممدودة، فأنكملت ملامحه
بذهول ليسأله بشك:

__وأيه اللي يخليني أثق فيك أو أصدقك وأنت عدو "ريان"
وميهمكش مصلحتنا..!

صحح له مفهومه الخاطئ:

__أنا اللي عدوه مش هو، أنا اللي بحاول أصلح اللي بينا مش
أهد...

وإستكمل كلماته بألم يصاحب صوته المتحشرج:
__بمدلك إيدي دا لنفسى مش ليك، بحاول أقتل جوايا إحساس
الذنب من ناحية "خالد"، يمكن بمساعدتي ليك أحس إني
عوضت ولو جزء بسيط من اللي فات، خالد إنتحر وأنت
ماشى في طريق الموت برجليك، أنا شايفه جواك عشان كدا
عايز اساعدك وأخذك لطريق بعيد عن طريقك..

أثرت به كلماته بشكل غير مصدق، فوجد ذاته يقدم له يديه
بأستسلام لرغبته في تغير الشيطان الكامن بداخله التائر
حينما تنتهي مدة المخدر المعتوه، تشكلت البسمة على

ثغر "جان" فشدد من ضغطه على يديه ليسرى الأمل بالأعين
وكلاً منهم يترقب الخطوة القادمة...

تعشق الإسترخاء بالخارج، وسط الخضرة التي تحاوطها من
جميع الإتجاهات، جلست "يارا" على المقعد الذي يتوسط
حدائق قصر "رحيم زيدان" تدون ملاحظاتها على دفترها
الخاص ذو اللون الفيروزي المميز، تخطف نظرة للطبيعة
المبهرة من حولها ثم تعود لتدوين ملحوظة تتناغم مع
الاجواء التي تختبرها، على بعد مسافات قليلة منها كان هناك
من يراقبها بعدما خرج ليمارس رياضة الركض بالخارج،
فوقف ليستند على أحد الاشجار ليرتشف من المياه
الموضوعة بالزجاجة الصغيرة التي يحملها بين يديه فتسلطت
نظراته عليها، تابعها بنظرة فضولية، إتابعها دون تصريح
لها، إنكمشت ملامح "يارا" برعب لا مثيل له حينما إستمعت
لصوت نباح كلاب يصدح بقوة، فنقلت عينيها تجاه الصوت
لتتفاجئ بالحراس يخرجون بهم للحدائق، وكأنهم بنزهة
خسائرهما قلب تلك الفتاة التي تخشى الحيوانات بشتى
أنواعها، صعدت على المقعد الذي كانت تعقلته، لتصرخ بهم
بجنون:

شيلهم من هنا أنا بخاف من الكلاب أرجوك...
جذب الحارس الحبل المحاط برقبتة ليسحبه للخلف قليلاً،
ولكن حركة جسدها العنيفة وإشارة يدها الحادة بالدفتري
استنزفت غضبه فثار بالنبح مما أزعجها فصرخت بخوفٍ، أتى
"حازم" الحارس الرئيسي ليسحب السلسلة للخلف مشيراً
للحرس بالتراجع وبالفعل تغلبوا عليهم ليعودوا بهم للحديقة
الخلفية، جلست محلها لتلتقط أنفاسها بصعوبة فتسرب
لمسماعها صوت ضحكات رجولية تأتي من خلفها، نقلت
نظراتها تجاه الصوت، فوجدت "مروان" يقف من أمامها،
وضحكاته مرتفعة للغاية وكأنه كان يراقبها..
إقترب منها وهو يجفف عرقه النابض على عروق رقبتة أثر
ركضه الشاق، فقال وهو يمنحها نظرة متفحصة:
_ أول مرة أشوف دكتورة مرعوبة في جلدها كدا من كائن
لطيف..

رددت بسخرية:

_ دا كائن لطيف!، ثم أني بني آدمة قبل ما أكون دكتورة ومن
حقي أخاف ولا أيه؟...
إبتسم "مروان" بخبت:

_ ولو أني أشك في موضوع دكتورة دا بس نصيحة من شاب

وسيم لما تتخضي بعد كدا من أي حيوان فضائي أجري على
مكان أمن متشعلقيش بالكرسي كأنك بتقدميله قربان بشري..!
وغمز لها بعينه بمكرٍ ثم تركها وولج للداخل بعد أن ودعها
ببسمته الجانبية التي جعلتها تختبر إرتباك وتوتر يزورها
للمرة الأولى، فتابعته بعينها حتى إختفى من أمامها كالظل
المحبيب..!!

بفيلا "عباس صفوان..."
خرجت من حمام غرفتها تحمل (إختبار الحمل) بأرهاق شديد
بعد أن إستفرغت ما بجوفها، إنتظرت الدقائق المحددة لمعرفة
النتيجة الحاسمة لها، بالطبع كان يتراقص قلبها فرحاً في
الشكوك التي منحت لها بصيص من الأمل، وأولهما غياب
عادتها الشهرية لثلاثة أيام على غير عاداتها، ترقبته بحماسٍ
غريب وكأنها تحمل الكارت الرابع بين يديها للأستحوذ
على "سليم زيدان" للأبد، فكان أقصى أحلامها البقاء على
عصمته يوماً أو أقل وها قد منحها القدر فرصة تعد من ذهب
إليها، رغم أنه من المتوقع لفتاة مثلها تنتظر خبر حملها
بدموع وخوف كونها فتاة لم تتزوج بعد ولكن تلك الفتاة
عقليتها مختلفة عن غيرها، وكأن الشر يصاحبها أينما كانت،

إتسعت بسمتها شيئاً فشيء حينما تحقق مرادها ليحطم آمال
"سليم" بالأبتعاد السريع عن تلك الفتاة، لاح على خاطرها
أمل مخادع بأن تراه سعيداً بخبر حملها ومنتظر لرؤية ما
تحمله بأحشائها، فأخر مقابلة بينهما كانت محاطة بطبقة من
التوتر بينهما، إقتحم "يامن" غرفتها بطريقة غير مرحب بها،
فأخفت ما بيدها خلفها سريعاً قبل أن يراه، وقف أمامها
بعينين تجويان غرفتها بنظراتٍ أخافتها، فقالت بحدتها
المعتادة بينهما:

__ في حد يدخل على حد كذا...!

رسم بسمه فاترة على شفتيه، ليربع يديه أمام صدره بوجوم
تمكن من ملامح وجهه:

__ أنا دخلت يبقى أكيد في...__

ثم قطع خطوتين تجاهها ليباغتها بسؤالٍ زرع القلق بقلبها:

__ قوليلي يا "هنا"، أنتِ كنتِ فين إمبراح؟...__

سكن الإرتباك ملامح وجهها بصورة واضحة، فاستدارت
سريعاً حتى لا يكشف أمرها:

__ هكون فين يعني...!

فتح أزرر قميصه لشعوره بالأختناق وخاصة حينما وجدها
تلهو بلعبة جديدة سيدها الف والدوران، فقال:

شوفتك وأنتِ خارجة من قصر "رحيم" إمبراح..!
إبتلعت ريقها الجاف بصعوبة، فردت عليه بتوتر:
كنت راحة لـ"فاطمة"..
رفع حاجبيه بإستنكار:

_والله!، أمال "فاطمة" قالت إنك مرحلتهاش ليه؟...!
إزدردت حلقها بإرتباكٍ وتلون وجهها بالأحمر القاتم من فرط
ما ستواجهه مع أخيها، بحثت عما سيقال بدقائق متتالية إلى
أن إهتدت لقول:

_أنا مدخلتش إفتكرت مشوار مهم وقولت أعدي عليها وقت
تاني..._

ضيق عينيه بسخط:

_والمفروض إني أصدق الكلام دا..!
رفعت كتفيها بعدم مبالاة:

_والله تصدق ولا متصدقش دا شيء يخصك...
وكادت بالمغادرة من أمامه فأستوقفها بغضب:
لما أكلمك تقفي هنا وتكلميني...
جذبت ذراعيها منه بالقوة:

_وإذا كان الكلام دا مش عاجبني هقف ليه؟..
منحها نظرة ناقمة عليها فردد بأستقراز منها:

هتفضلي طول عمرك بالأسلوب دا بس هيجي اليوم ورقبتك
هتتكسر فيه يا "هنا" خاليكي فاكرة كلامي كويس..
وتركها وغادر بعدما صفق الباب من خلفه بصوتٍ أفرعها
وكلمات جلدتها بسوطٍ مخيف...

هجم حرس "رحيم زيدان" على المكان المتخبئ به "عماد"،
فذهل من معرفتهم لطريقه بعد كل الإحتياطات الممكنة التي
إتخذها، فترك رجاله يشتبكون معهم ثم صعد لسطح المخزن
القديم الذي إتخذة مخبئ إليه، ليكشف القماش الأسود عن
طائرته الخاصة الذي وضعها ليومٍ هكذا، فهو يعلم قوة العدو
الذي يواجهه ويأخذ حذره من الصغيرة قبل الكبيرة، حلق
بالسماء بطائرته الخاصة بعد أن رمق نظراته القاتلة على
السيارات التابعة لحرسه بنظرة طويلة تهلل بوعيد بالإنقاذ
من كليهما، رسمت على وجهه بسمة مخيفة حينما تذكر
الخطة التي وضعها ليتخلص من "مراد" أولاً فلا يهم فشل
الأولى فهناك دائماً خطط بديلة ولكن تلك المرة هل سيتمكن
"رحيم" من إنقاذه؟!..

بغرفة "يارا.."

خطت طريق طويل معها واليوم تعد أهم جلسات العلاج بل
ربما تكون أخيرهم إن حققت النتائج الكافية، لذا صممت أن
يحضرها "رحيم" متخفياً خلف الباب المجاور لغرفتها ليستمع
لما يدار بينهما، أشارت لها بالأسترخاء ثم قالت ببسمة هادئة
_ غمضي عيونك وتخيلي إنك بمكان خطر وليكن تخيلك أن في
ناس كثير حواليك وعاززين يأذيك... مين أكثر شخص
هتتمني يكون الخلاص ليك.
رمشت "شجن" بجفניה عدة مرات فأستكملت الأخرى حديثها
ببسمة هادئة:

_ دلوقتي عازاكِ تقربي من الشخص اللي فكرتي فيه
وتقوليلي شوفتي أيه أو مين هو؟...!
سكنت ملامحها لتتحاول للضييق والصدمة، ففتحت عينيها
لتسلطها على من يقف على مسافة قريبة منها يتأمل ما يحدث
بأهتمام، جابته بنظرة طويلة جعلت قلبه يخفق بجنون وكأنها
تجد السكينة بنظراتها تجاهه، وكأنه الأمان والسكن بعد
معاناة بكشف تلك الحقيقة...
تطلعت لها "يارا" بنظرات خبيثة لتجبرها على الحديث:
_ شوفتي مين؟..

لزمت الصمت لقليل من الوقت ثم قالت وعينيها تتأمل من

يقف أمامها:

"_فريد."

إبتسمت "يارا" بمكر لتسترسل حديثها وهي تمنحه نظرة
عرف مكنونها فأقترب منها:

_بتقولي مين؟..

أجابتها بضيق من سؤالها المتكرر:

_قولتك "فريد."

كررت سؤالها مجدداً بدقة أكثر:

"_فريد "ولا" رحيم."

صرخت بنفاذ صبر:

_الأثنين واحد...

أشارت لها "يارا" بأنتصار:

_بالظبط ودا اللي عايزاكي تتفهيمه...

ثم نهضت عن مقعدها لتجذب النوت الخاص بها قائلة بغرور:

_كدا إتخطيتي مرحلة مهمة أوي...

وغادرت الغرفة تاركة الأخرى شاردة بما تفوهت به، إقترب

منها ببطء حتى صار مقابلها، رفعت "شجن" عينيها إليه

بنظرة غامضة حتى هي تجهل مكنونها، جذبها لتقف أمامه

والأخرى تتطلع له بسكونٍ عجيب:

كنت متأكد أنك هتتجاوزي كل دا...
وقربها إليه حتى إستند بجبينه على جبينها، ليهمس بصوته
الرخيم:

كنت عارف إنها مسألة وقت مش أكثر عشان تحسي بيا
وبوجودي جانبك...

فتح عينيه الزيتونية بتفحص لتعابير وجهها، هل مازالت
تحمل المقت لقربه منها، تفاجئ بها ساكنة بين ذراعيه وكأنها
تقبلت حقيقته، لم يستطيع مهاجمة أشواقه إليها فأقترب
ليقتبس من رحيقها، تسارعت أنفاسها وتواثبت دقات قلبها
بجنون وكأن هناك عاصفة من جليد تحيط بها، نيران فأرتباك
فبرودة فتوتر، صدمة دقة قلب، أحاسيس مزرمة أصابتها
فحتى جسدها لا ينصاع لحثها المدرك بالابتعاد عنه، همست
بصعوبة وهي تدفعه برفق بعيداً عنها قائلة بتذمر:
"فريد...!"

قرع قلبه بجنون فأبتسم بسعادة لا تكفيه فقط، حملها بين
ذراعيه ليدور بها مردداً بسعادة كبيرة:
_روحه وحياته اللي إبتدت من جديد..
تعلقت برقبته ببسمة هادئة جعلته يقف محله ويتابع ما تفعله
بصدمة وعدم إستيعاب لما يحدث معه!، فقالت بدلال:

__عايزة فرح بالمكان اللي إتربيننا فيه...
سكنت نظراته تجاهها بعدم إستيعاب بكونها تلك الفتاة التي
رفضته من قبل، بصيص الأمل بعودتها إليه جعلت لسانه
يتجمد عن الحديث...!!

صعد "جان" لغرفته بعد عودته من المخزن، فولح للداخل
ليبدل ثيابه ولكن خاتته قدميه وعينية عما رآه وكأن الأعوام
إنضافت فوق عمره لتجعله كهل عجوز لا يقوى على الحركة
مما رآه...!!

علاقة جديدة، حياة أخرى، قصة منحها القدر فرصة أخرى
فعادت لتخطو من جديد دون عائق يوقفها ولكن بجوارها
ستنتهي قصص وتبدأ أخرى فعلى البعض الحذر والآخر
الثبات بقراره المصيري ولكن ترى ما المخبيئ لكلاً منهما؟...!

الفصل الرابع

وكان أحداً مزق صدره لنصفين ثم إستخرج قلبه ليصل فوه السلاح لقلبه مباشرة بأصابة صريحة، ود لو إنه لم يصعد لغرفته بذاك الوقت أو لم يتأخذ "رحيم" القرار بأقامته بنفس الغرفة، بصعوبة بالغة حرك لسانه لينطق بتردد:

"ريان...!"

إنّبه لوجوده بالغرفة، ففتح عينيه بضيقٍ من إنكشاف أمره إليه، فكان يتمدد بحريته بعد أن أزاح الطرف الصناعي مستغلاً عدم وجود الآخر؛ ولكن آخر ما تمناه يحدث أمام عينيه، إرتدى "ريان" القدم الصناعية ليتوجه للخروج من أمامه، فتحرك تجاهه ليسأله بألم واضح بنبرة صوته:

__أمتى حصل دا؟، وإزاي..!

حدجه بنظرة قاسية، ليجيبه بلهجة جافة للغاية:

__ميخصكش..

وخزة مؤلمة تمكنت من "جان"، وكأنها تقسم على الفتك به، جلس على الفراش بأستسلام ليخضع رأسه للأسفل بخيبة أمل، ما حدث لرفيقه يجعله عاجز حتى عن مواساته، العداء الذي نشب بينهم جعله بعيداً للغاية عن حياته، فأصبح العدو

الغير مرحب به، إرتدى "ريان" حذائه ثم غادر الغرفة بعدما
منحه نظرة أخيرة، غامضة، لم يتمكن "جان" من تفكيك
معانيها، فالصدمة التي تعرض لها تكفيه لإنشغال عقله بها،
شيئاً بداخله إنكسر حينما رآه هكذا، مازال يحاول إقناع ذاته
بأنه عدو ولكن قلبه مازال متمسك به وكأنه لم يمتلك
سواه...!!

ظلمات الليل الكحيل تستحوذ على قلبه فتجعله أشد ظلمة،
حاول أن يغلق جفنيه ولكنه لم يستطيع النوم ولو دقائق
معدودة، مازالت صورتها ترسم أمام عينيه، معاتبته له تتردد
على مسمعه، نظراتها البريئة تطالبه بالا يدنس حبها
العفيف، أزاح "سليم" الغطاء عن جسده ثم إلتقط المنزر
الرجالي ليرتديه ليتوجه لغرفته، رفع يديه ليقرّبها من الباب
فكاد بالطرق ولكنه كور يديه بتردد فالوقت متأخر للغاية ومن
المحتمل أن تكون غارقة بأحلامها، هداه عقله بالعودة لغرفته
وبالحديث معها بالغد، كاد بالتحرك لغرفته؛ ولكنه تفاجئ بها
تفتح بابها وهي تزيح الدموع العالقة بأهدابها، وعلى ما يبدو
بأنها تتوجه لغرفته، وقفت أمامه بأرتباكٍ فقالت بصوتٍ
متقطع من فرط بكائها:

"_سليم...!"

إنصاع إلى كلماتها بكيانه وروحه، وكأن صوتها المنادي
بأسمه كان الحزن الدافئ الذي عبى فراغ الآنين، ظنت بأن
صمته لكونه مازال غاضباً مما حدث صباحاً، ففركت أصابعها
بحزن، لتجاهد بقول:

_مكنش ينفع أقول كدا، أنا أسفة..

تعذر؟!، تعذر وهو الخاطئ بحقها!.... تعذر وهو
الجاني!... ترقبته نظراتها بخوفٍ من أن لا يتقبل إعتذارها،
تركزت عينيها على كل إشارة ولو صغيرة قد توحى لها
بالسماح بأهتمامٍ ألم قلبه، جذبها لأحضانها دون أن ينبس
بكلمة واحدة قد تكون علامة على أنه اللي الخاطئ وليس
هي، كم تمنى أن يمحي من قدره اللقاء بتلك الملعونة التي
أقسمت على تدمير أجمل قصة عشق إختبرها، شدد بأصابعه
على رأسها الموضوعه على صدره وكأنه يحمل العزم
بأيقافها عن تحقيق ما ترغب به، زرعت الفرحة على وجه
"ريم" بمسامحته لها؛ ولكن مازال هناك ما يسكن أحد زوايا
قلبها بالشك تجاه تلك الفتاة الغريبة!...

كانت على بعد خطوة واحدة من الموتٍ وربما كان مشهدها

معه هو الأخير، منحها الله فرصة جديدة لتكمل الدرب لجواره،
تنقلت عيناها على قسّمات وجهه وعينه المغلقة ببسمة
عذباء تقتص من صفحات عشقها الذي دون بقلم موثوق
ليحفر كل صغيرة عهده معه، الجوكر المخيف لأكثر من عدو
هو بذاته أحن شخصٍ رآته عين "حنين"، الفتاة البائسة التي
عاشت لأجل إختبار أكثر من محاولة قتل لأجل ما تحمله من
ثروة مخيفة، كم أرادت أن تستغنى عن مال العالم بأكمله لتتال
عيشة هنيئة، عنت وحبست روحها وجاء مخلصها ليمنحها
إحساس الأمان المفقود، إقتربت منه ببسمتها الرقيقة لتضع
قبلة صغيرة على جبينه مستغلة غفلته بنوم ظنته عميق!،
يشعر بها ويقرأ ما يرسم بعقل صغيرته القصيرة، ورغم ذلك
إختار ان يظل غافلاً من وجهة نظرها لتستمر بالتطلع إليه
فينبض قلبه بالطريقة التي تجعل جسده يؤخر بقوة، تسلل
لمسمعها صوت لدقات خافتة على نافذة غرفتها وعلى ما يبدو
لها بأنها أحجاراً صغيرة، فأبتسمت بفرحة لمعرفتها صاحبها،
تسللت على أطراف أصابعها لترتدي إسدال الصلاة الخاص
بها ثم ألقت نظرة متفحصة على "مراد" لتهبط للأسفل
بخطوات خفيفة، فتح عينيه بأستغراب لما يحدث بدون علمه،
فأتبعها بخوف وإرتباك مما ترتكبه تلك الصغيرة...

أنهت الدرج لتصل للحديقة الخلفية للقصر، فوقفت تبحث عنه
بأستغرابٍ من إختفائه، خرج من خلف الأشجار ليطرق على
كتفها برفق، استدارت لتجد "طلعت زيدان" أمام عيناها ولكن
بطالة أكثر جدية مما إعتادت عليه، سألها سريعاً قبل أن تفتح
فمها بثرثرتها:

__ أيه اللي حصل دا؟ __

أجابته بغير مبالاة والبسمة الواسعة ترسم على وجهها:
__ لا متشغلش بالك دي محاولة قتل على خفيف كدا بس الحمد
لله أحنا لسه واقفة قدامك أهو بشحمي ولحمي...
مجنونة بعض الشيء ولكنه يحب مزاحها الذي يرسم البسمة
رغمًا عنه على شفتيه، عاد لأسئلته الجادة:

" __ مراد" عرف هو مين؟ __

ردت عليه بتلقائية:

__ مفيش غير ابن عمي مش محتاج يدور كثير __

ثم قالت بصوتٍ طغي الحزن عليه:

__ قرار الموت بالنسب لهم الحل الأمثل عشان يتخلصوا مني،
والمكان الأمن هو الشعار المناسب لبابا وبين كل دا نسي إني
إنسانة من لحم ودم ومن حقي اعيش حياتي ومحتاجة
لوجوده جانبي أكثر من أي حاجة لكن بالنسباله إني بمكان

أمان وعلى قيد الحياة أهم من أي حاجة ثانية..
شعر "طلعت" بمعانتها، فمن جهة هناك إبنته التي تمقت
رؤيته حياً ومن جهة أخرى تلك الفتاة التي تعاني لفراق
والدها المختار عنها، ربت على كتفها بحنانٍ جعل البسمة
تتسلل لوجهها، فأخفت دموعها سريعاً..

__ أيه اللي بيحصل هنا دا؟!!

كلمات إختزقت قاعات الصمت لتلفت إنتباههم لوجود هذا
الغريب، إستدارت "حنين" تجاه الصوت لتجد زوجها من أمام
عينها، إقترب منهم ليقف جوارهما بذهولٍ فتساءل بدهشة:

__ إنتوا تعرفوا بعض..!

كاد بأن يجيبه فأوقفته "حنين" بتسلية:

__ عنك يا حج..

ثم استدارت لتقف مقابل "مراد" مشيرة له بأصابعها بغرور:
__ كنت فاكراً مثلاً أن في حاجة بتدور في القصر دا من غير

معرفتي..!!

لاحظت على شفثيه بسمة صغيرة وهو يتابع حديثها المزروع
بثقة لم يكتسبها هو بذاته، أشار له "طلعت" بخفة:

__ طيب هسيبكم أنا بقي وأطلع أريح مدام إتطمنت عليها..

أوماً برأسه بخفة فغادر "طلعت" لمخبئه السري دون أن يرى

الأعين التي تراقبه بنظراتٍ غامضة، تخفي خبثٍ داهي وكأنه
يدعي عدم ملاحظته لمن يتخبأ بداخل قصره فربما لم تسنح له
الفرصة بملاحظة فرق الشخصية الجديدة الذي زرعها به...
بالأسفل..

ربع يديه أمام صدره بنفاذ صبر وهي تقص له عن بطولاتها
بالتعارف على أبيه، ومساعدتها الكريمة بأمداده الطعام
الشهي رغم أنه يحرص على أن يصله كل ما يحتاج إليه عن
طريق حارسه الوفي الذي كتم الخبر كما طُلب منه، أنهت
"حنين" حديثها بتفاخر:

__بس يا سيدي وبقينا أصدقاء بقي وزي ما أنت شايف جاي
يطمن عليا بنفسه..

رفع حاجبيه بأستكار، ليباغتها بقوله الساخر:

__خلصتي؟..

وضعت أصبعها بفمها وهي تفكر بأن تناست شيئاً لم تذكره
بعد فأختتمت حديثها ببسمة واسعة:

__أه..

ما أن نطقت بكلماتها حتى حملها على كتفيه وكأنه يحمل
(شوال) من البطاطا ليصعد بها للأعلى والأخرى تحاول تلكمه
بغضبٍ من ان يتركها ولكنه لم ينصاع إليها وصعد ببسمة

خبت جابت وجهه الوسيم..

ليس من المنصف أن تعد نفسك ماهر بتنفيذ مخططاتك وهناك من هو أحق بهذا اللقب، ترنح مقعده بقوةٍ أثار تمدده عليه براحة، عينيه الزيتونية مغلقة بقوة وبسمته الخبيثة مرسومة على شفتيه بمظهر مخيف، ثبت المقعد عن الحركة حينما استمع لكلمات حارسه الشخصي:

_كله تمام يا باشا، "عمران" بقى تحت أيدينا...
فتح "رحيم" عينيه بنظرة قاتمة ليدقق بكلماته:
"مراد" ميعرفش أني ورا اللي حصل مفهوم؟..
أشار له "حازم" برأسه بتأكيد:
_مفهوم يا باشا..

أصرفه بأشارة يديه ليخرج من غرفته، فخرج للشرفة التي تطل على حدائق قصره الواسعة، يتأمل إحتلال الشمس لعرش السماء بمظهر رباني عظيم، استدار ليستند على سور التراس بجسده ليهمس بفحيحٍ مخيف:

_أنا هعرف إزاي أخليك تخرج من جحرك....
إنتهت كلماته ببسمة مأكرة، إنطفأت حينما سحبت لإتجاه آخر، يسحب طاقة الشر بداخله ليمنحه سلام نفسي غريب، أزاحت

الستار القاتم عن باب شرفتها الزجاجي، لتفرد ذراعيها بدلالٍ
بعد نومٍ عميق، خصلات شعرها الأسود منسدل بحرية على
أكتفائها، بعضٌ منهم متمرد على عينيها كريش النعام الحريري
الذي يحاط بطاووسه، غابت بالداخل قليلاً لتعود بسجادة
صلاتها التي فرشتها مقابل الباب لتشرع بصلاتها، تابعها
"رحيم" بنظراتٍ أشبه بالكاميرا التي تسجل ما يحدث أمامها
بكافة التفاصيل، أنهت "شجن" صلاتها ثم جلست على
سجادتها لتبدأ بالتسبيح وترديد بعض الأذكار الصباحية قبل
أن تستعد ليومها الجديد، إقترب بخطاه حتى قطع المسافة
الكبيرة بينهما، شعرت بخطوات حذائه المميزة ذات الطابع
الثابت بترك خطواتٍ محسوبة، رفعت عينيها ببطء شديد
وكانها تتمنى أن لا يكون إحساسها صائب، وجدته يقف
مقابلها!!

نهضت عن الأرض لتقف أمامه بالضبط لا يفصلهما سوى
بابٍ زجاجي مغلق من الداخل، بطفولته كان يمتلك صورة
مريحة لطالته البسيطة ونظراته المكشوفة، أما الآن يربكها
حضوره المهيّب الذي يجبرها على الخوف منه، نعم ازاحت
حاجز خلف الآخر حتى صارت منعزلة أمامه ولكنها لا تنكر
أنها حينما تراه تنساب رغماً عنها، فحتى نظراته الثابتة

تربكها، تحركت يدها تجاه مفتاح الباب فحركته بهدوء لينفتح الباب من أمامه، خطت الخطوات الفاصلة بينهما لتقف مقابله بانتظاره يتحدث أو يخبرها عن سبب زيارته، ولكنه كان شارد بعينيهما مما أخلها للغاية فتحاشت التطلع له، فرد يديه أمامه ليقدما لها، فوزعت نظراتها بينه وبين يديه المفرودة بأرتباكٍ قاتل، ابتلعت ريقها الجاف بصعوبة، وألف قرار يدار بعقلها، وضعت يدها بين يديه ومازال يلتمس رجفة أصابعها، ظل محله لدقائق يطمئن بها قلبها المرتجف لقربه، ثم تحرك تجاه الدرج المشترك لغرفته وغرفتها فحرص على ان تكون غرفتها مجاورة له من قبل حتى تكون عينيه عليها، إتابعته بدهشة وخاصة حينما توجه لسيارته، كاد السائق بأن يصعد؛ ولكنه أشار له بالإبتعاد لتوليه هو القيادة بذاته، فتح الباب لها وأعين الحرس تتابعه بصدمةٍ وعدم تصديق من فعلته "رحيم زيدان" بفتح بذاته الباب لامرأة!!

صعدت للسيارة ومازال بالها مشغول بما يحدث، إنتصب بوقفته ليحرر ازرار جاكيتيه الرياضي الأسود ثم صعد لجوارها ليقود السيارة للخارج...

تابعت الطريق باهتمامٍ لمعرفة إلى اين يقودها، شعر بأرتباكها فقرأ سؤاها المحير، ساد صوته الرخيم أجواء الصمت:

__هنفطر ونرجع...__

سلطت نظراتها إليه بدهشة لتباغته بقول:

__بس أنا لبسي مش مناسب..__

منحها بسمة هادئة وهو يتطلع للإسْدال الرمادي الذي ترتديه:

__مش هتنزلي من العربية متقلقيش..__

ضيق عينيها بإستغراب ولكن لم يعنيها الامر كثيراً فمن المؤكد لها بأنه سيتجه لِمكانٍ فخم يليق بسلطة "رحيم زيدان" الذي باتت تمقتها، بل لا تستبعد أن يخلي المكان لملابسها البسيطة، بسمة فاترة نمت على وجهه أكدت لها بأنه يسكن بعقلها ويسمع لكل شاردة وواردة تفكر بها، سحبت عينيها المتعلقة به بصعوبة لتتابع الطريق بفرحة غريبة حينما علمت بالمكان الذي سيصطحبها إليه، توقفت سيارته أمام سيارة الفلافل البسيطة، تطلع لها نظرة جعلتها تبتسم لترى أمامها فتاة صغيرة بجديلة صغيرة تتمسك بيد صبي ليقفوا أمام بائع الفلافل، إلتقط كلاً منهم شطائر الفول الساخنة فحاول الصبي مساعدتها بما تتناوله ليغنفاها بضيق:

__سخنة يا "شجن..!"__

فركت أصبعها بألم فرمقته بغضب، جذب لقمة صغيرة ليبردها بفمه ثم قربها لها فتناولتها بضحكة طفولية مشاكسة، لتقدم

له شطائرها أمرة إياه بدلال:

__أكلني بقى..

إبتسم "فريد" فجذب الشطائر وأخذ يطعمها وهو تلهو لجواره،
يحاول أن يلحق بها ليطعمها ما بيديه..

إبتسامة ذكرياتها تلاشت مع طيفه الذي يقترب من السيارة
حاملاً بين يديه الشطائر، صعد للسيارة ليقدم لها الأكياس،
شردت به بذهول وهو ترى ملامح الصبي ذو العاشرة مازال
مطبوع بجفنيها فرسم على وجهه..!

الذكريات تستحوذ عليها بالمكان الذي كان يجمعهم كل يومٍ
بالصباح قبل ذهابها للمدرسة، أما هو فالذكريات لم تتركه
يوماً دون أن تصاحبه بأمل العودة لمحبوبة قلبه، جذبت
الأكياس منه لتخرج الشطائر وتبدأ بتناولها سريعاً لتهرب من
نظراته، وكأن ذكرياتها الطفولية منحتها إحساس بفرط حرارة
الشطائر بين يدها رغم كونها محتملة، شهقت بخفة وكأنها
إعتادت على ذلك، إبتسم "رحيم" فالتقط الشطائر الخاصة به،
ليجذب لقمة صغيرة كما إعتاد ثم قربها إليها، صفت بتوتر
بيديه فمرت ثواني وهي تتطلع إليه ومن ثم تناولتها لتظل
تلوكها ببطء ووجهها يكسوه حمرة طاغية، إقتطف نظرات
مطولة إليها والآخرى تحاول أن تستوعب أن من يتناول

شطائر الفلافل هو ذاته "رحيم زيدان...!!"

فتحت عيناها المتورمة من أثر البكاء بصعوبةٍ بالغة،
إستندت "نغم" على الكومود لتستقيم بجلستها، دقت "نجلاء"
على باب غرفتها ثم ولجت للداخل، رسمت معالم الضيق على
ملامحها حينما تذكرت بكائها بأحضانها فظنت بأنها ستأخذها
حجة لزيارتها المتكررة إليها، وضعت "نجلاء" كوب الينسون
جوارها قائلة ببسمة هادئة:

_صباح الخير يا حبيبتي..

ثم جلست جوارها على الفراش لتسألها بأهتمام:

_ها طمني عني الوقتي أحسن؟..

بقت صامتة، ترمقها بنظراتٍ تحمل الضيق بين طياتها،
شعرت نجلاء بأنها غير مرحب بها هنا فأسرعت بقول ما أتت
لقوله حتى تتسحب بهدوء:

_بصي يا حبيبتي أنا عارفة إنك مش حابه وجودي هنا ولا
بتحبيني أنا شخصياً بس أنا عايزة أقولك على حاجة وياريت
تتقبلها مني..

منحتها نظرة فضولية ولكنها مازالت ساكنة لتوصلها بأن
حديثها لا يعانيتها ورغم ذلك إستكملت "نجلاء" حديثها:

زَمان كنت زيڪ كدا بس مع فرق بسيط أَني كنت أَنا مكان
"يوسف"، عشت فترة صعبة أوي وكنت عارفة أَنها هتكون
كدا للفرق اللي كان بينه وبينني، وكنت بدعي ربنا أَنه مياثرش
على علاقتنا لِأني حبيته..

إنكملت ملامح "نغم" بضيق من حديثها المريح عن والدها
بحضورها وكأنها تنسى ما فعلته بوالدتها، أكملت "نجلاء"
بأنكسار:

خوفي خالاني أتنازل عن حاجات كثيرة أوي يا بنتي، خالاني
أدفع التمن غالي، بعدت وأنا فاكرة إِني كدا بصون اللي في
بطني بس إِنقلت من عذاب لعذاب أكبر بدفع تمنه لحد
النهاردة، عذاب نظرات الناس ليك وَأنتِ معاكِ طفل بدون
زوج، وكدبة أَنه مسافر وراجع والسنين تفوت ومحدث
بيرجع، وجع طفل بيسأل كل يوم عن أبوه وَأنتِ مش عارفة
تقوليله أَيه، والسؤال الثاني ليه بننتقل من مكان لمكان كل دا
عشان تهديد جدك إِنه هيقتلني انا واللي في بطني، كنت في
إختيار صعب وقررت إِنهي العلاقة دي حتى لو هكسر قلبي...
ثم رفعت يدها لتلامس وجهها قائلة بدموع:

أنا إنجبرت وبعدت إِنتِ مش مجبورة يا "نغم"، فوقِي يا
بنتي وبلاش تخسري الشخص اللي بتحبيه عشان اي حد

بالكون، بلاش تختبري إحساس الوحدة اللي بجد لإنها زي
الموج العالي بالظبط..

وتركتها وإنسحبت للخارج، تركتها وصفعات كلماتها تفيقها
على حقائق غفلت عنها، حنان "نجلاء" تسرب لأعماق قلبها
المهجور، كلماتها أخضعها لشيئاً لم تفكر به من قبل، ولجت
"ريم" للداخل لتجدها تبكي دون ان ترمش عينيها، هرعت
إليها فما ان رأتها حتى بكت على كتفيها لتقص لها عما حدث
وبالأخص معها ومع "نجلاء.."

بغرفة "فارس"..

فتح "فارس" عينيه بانزعاج شديد حينما شعر بتثاقل على
كتفيه، فتفاجئ بـ "مروان" غافل على ذراعيه، دفعه بعيداً
عنه فأستيقظ الآخر سريعاً على صوت صراخه:
_ أنت مصدقت يالا ولا أيه؟، لأ بقولك أيه فوق انا ساعدتك
إمبارح بمزاجي مش معنى كدا إنك تصدق القرابة اللي بينا
والجو دا..

فرك عينيه بيديه ليحاول الأفاقة، فقال بضيق:
_ في أيه على الصبح، هو أنا هركب كاميرات أشوف بيها
تحركاتي وأنا نايم..

هز كتفيه بدون مبالاة:

__وماله ركب ياخويا ولا أقولك انت تنام على الأرض وأنا
على السرير..

تمدد "مروان" على الفراش بتكاسل:

__والله انت اللي منزعج مش أنا يبقى تنام على الأرض...
وسرعان ما غفلت عينيه فدفع الوسادة بوجهه بغضب:
__مش بكلمك أنا عامل نفسك نايم ليه؟..

كاد بأن يجيبه بوقاحة ولكنه توقف حينما إستمعوا لطرقات
خافتة على باب الغرفة ليخرج صوتها الرقيق من خلفه:
__"فارس.."

أسرع بفتح الباب ليجدها تقف أمامه بفستانها الأزرق
وحجابها الأسود، إبتسم بهيامٍ إنقطع بصراخها الغريب فتفاجئ
بأنه يقف أمامها بصدراً عاري، ركض لخزائنه ثم جذب
القميص وكاد بأرتدائه ولكنه عاد ليقف أمامها عاري الصدر
من جديد ليسألها بفضول:

__هو مش أحنا كتبنا الكتاب ولا انا بنسى؟.

أجابته "منة" بغضب:

__"فارس...!"

إرتدى القميص بنظراتٍ متعصبة والأخر يكبت الضحكات التي

إنسابت رغباً عنه فقال بمشاكسة:

__أيوه كدا إستري نفسك يا بيضة لتأخدي برد..

تعالت ضحكات "منة" فرمقها فارس بغضب لتسحب ضحكاتها
واشارت له بخوفٍ من نظراته:

__هستناك تحت متتأخرش عشان عندي محاضرة..

غادرت سريعاً فأنسحبت النظرات تجاه "مروان" ليغلق الباب
من خلفها ثم توجه ليجذبه بقوةٍ من ملابسه، فقال وهو يجز
على أسنانه بغضب:

__قولتلك ألف مرة متتدخلش بيني وبينها، أنت بتفهم بأنهي
لغة؟..

حرر قبضته، ليدفع يديه بقوة بعيداً عنه ليبتسم بسخرية:
__بالأنجلش..

تماسك "فارس" بصعوبة وتحرك تجاه الخزانة لينقي ما
يناسبه حتى لا يتأخر عليها...

صامت "حنين" على "مراد" بأن يخرجها لأي مكان منعزل
عن القصر لتكون لجواره بمفردهما، فوعدها بأنه سيخرج
معها بالمساء لأي مكان تختاره هي، فظلت جوار الخزانة
أغلب يومها لانتقاء ما يناسبها ليجعلها مميزة هذه الليلة..

بغرفة "سلمى" ..

وضعت طبق الكعك الذي أعدته على الكومود المجاور لـ "سارة"، فهي تحاول بشتى الطرق أن تحدثها ولو قليلاً ولكن الأخرى لا تسمح لها بذلك، تصنعت بأنها تقرأ أحد الكتب حتى تتهرب من حديثها اليومي، تطلعت لها "سلمى" ببسمة هادئة لتقول وهي واقفة محلها:

__ على فكرة أي حد مكانك كان هيعمل كدا وأكثر...
رفعت "سارة" عينيها تجاهها بأستغراب، فأسترسلت حديثها:
__ انا عارفة أن "جان" غلط بس صدقيني هو ندم جداً وعلى فكرة كان على علاقة بالبنت دي من قبل ما "خالد" يعرفها..
خلعت "سارة" نظارتها لتشير لها بذهول:
__ انتِ إزاي قاعدة قدامي وبتعترفيلي إنه كان على علاقة ببنت وقادرة تكلمي معاه!!..

لاحت بسمة لطيفة على وجهها لتخبرها بكلمات مختصرة:
__ اي شاب عنده ماضي، الصادق في علاقته معاكي هو اللي هيقولك الصغيرة قبل الكبيرة..

وخرجت من الغرفة لتتركها صافنة للغاية بما قالتة...

وضع الطعام من أمامهم، فجلس على مقدمة الطاولة "عباس صفوان" ولجواره "يامن" الذي يحدج شقيقته بنظرات غريبة، عبثت بطعامها بأهمال وكأنها تتصنع بتناوله، تقززها مما وضع أمامها جعلها تكبت أنفها بصعوبة، استمرت بمقاومة شعورها بالغيثان ولكنه تمكن منها بنهاية الأمر، فركضت للمرحاض لتستفرغ ما بجوفها ليلحق بها "عباس" بخوفٍ اما "يامن" فظل محله يتطلع للفراغ بنظرات واجمة، تنم عن تفكيره المخيف بأمرها...!

حل المساء وما زال يتجول بسيارته وهي لجواره، تشعر بأحاسيس غريب يغزو قلبها، وكأنه بدأ بالإعتياد على وجوده لجوارها رغم أنه لم يمر سوى يومٍ تقرب به لها، ولكن قلبها تعرف على حبيبها المسبق...

انتظرها "مراد" بالأسفل بملل، تطلع لساعته للمرة التي لم يذكر عددها، زفر بغضب قتل لحظة رؤياها تهبط الدرج الخارجي بفستانها البنفسج الفضفاض الذي منحه إحساس وكأنها تزف برحيق الورود الخالص، قطعت المسافة فيما بينهما لتقف امامه وما زال يتطلع لها كالأبله، رفعت يدها

لتشير له أمام عينيه بغرور:

_مش هتفتحي الباب..

لم يفهم كلماتها الا حينما هزت رأسها تجاه باب السيارة
فتحرك تجاهه ليفتحه لها ببسمة زادت من وسامته القاتلة
ببذلته الفاخرة، صعد لجوارها ليمنحها نظرة متفحصة عن
قرب، هامساً بمكر:

_أيه رأيك نقضي الليلة دي بره القصر، في أوتيل مثلاً..
ضيقت عينيها بخبث:

_أممم، لو السهرة عجبتني أفكر..

ثم أشارت له بضيق وهي تتفحص ساعته الذي قدمها لها منذ
بداية تعرفهما ولم تخلعها قط:

_ياريت تتحرك بقى عشان وقتي..
رفع حاجبيه بسخرية:

_شايفك بتبتدي تقلدني ولا دا مجرد تخمين!..

عدلت من حجابها بتعجرف:

_وليه لا..

حذرها بلهجته الخشنة عن تعمد:

"_حنين.."

قالت ببعض الخوف:

__بحاول اتعلم من بعض ما عندكم لو يضايقك خلاص خد
راحتك أنا متفرغة مش ورايا حاجة...
هز رأسه بعدم تصديق وهو يحرك مكابح السيارة:
__مجنونة..

كبتت بسماتها وهي تتابع ضيقه بفرحة وضحكة تلاشت حينما
وجدته يراقبها بمرآة السيارة فبدت ثابتة بعض الشيء ولكنه
يعلم ما الذي تخطط له..

أسندها "عباس" بلهفة:
__أنتِ كويسة يا حبيبتي؟..
حاولت أن تستقيم بوقفها ولكنها لم تستطيع فسقطت مغشي
عليها أسفل قدميه، حاول أن يحملها ولكنه لم يستطيع فصرخ
بهلع:
"__يامن.."

ترك مقعده ليتوجه إليهم فحملها لغرفتها ثم طلب الطبيب الذي
سيفشي بحقيقة مصيرها مغلّق بمفتاح مخفي بيدها...!

خطفت النظرات إليه والآخر يدعو إنشغاله بالقيادة، إقتربت
منه ببسمة رقيقة لتضع رأسها على كتفيه، إبتسم "مراد"

وتابع قيادته بتركيز بالطريق فوجودها لجواره يعد خطراً
بحادث أليم، ضيق عينيه بذهولٍ حينما وجد عدد من السيارات
تتابعه، تنقلت نظراته للمرأة الأمامية فقال بثبات:
" _حنين" إنزلي تحت..

لم تتفهم كلماته الا حينما دفعها بيديه أسفل قدميه وخاصة
حينما ضرب عليه طلقات نارية، صرخت "حنين" بخوفٍ وهو
يحاول التحكم بسرعة سيارته، توقف الطلق الناري فجأة بعد
أن أخبره كبيره بأنه يخشى أن تتأذي "حنين"، نعم سيقتلها
ولكن حينما يحصل على توقعها على تنازلها بكافة أملاكها...
بمهارة عالية تفادي "مراد" الإصطدام بالسيارتين ليسرع
بقيادته، وإذ فجأة تخرج سيارة من العدم لتقطع طريقه، بكت
"حنين" برعب، ففتح "مراد" تابلو السيارة ليخرج سلاحه
من داخلها، ثم أشار لها بحزم:

_مهما حصل اوعي تخرجي من العربية فاهمه؟..

تمسكت به بدموع تغزو كالسيل:

_أنت رايح فين؟، هيقتلوك..

لم يمتلك وقتٍ لمجارياتها بالحديث، فبسرعة كبيرة تفادى
ذراعيها ليخرج من السيارة ثم اغلقها أتوماتكياً، إنخرط حوله
كتل من التجمعات لتبدأ بينهما معركة دامية غير متساوية

الاطراف، منع بها "مراد" أحداً من الوصول للسيارة مهما
كلف الامر، أما بالداخل رجف جسدها من شدة البكاء تشاهد
ما يحدث من زجاج النافذة، بقلب يكاد يتوقف وهي تراه
يصارع تسعة من الرجال، أطلق "مراد" النيران على ثلاثة
منهما ثم تشابك بالأذراع مع الباقي منهما، لكم أحدهم بقوة
حتى غاب عن الوعي، فقرب الآخر منه مدته (مطواة) ليخرج
ذراعيه، تألم "مراد" من جرح يديه ولكنه تجاهله ليقيد حركة
ذراعيه ثم قربها من صدره ليطعنه أكثر من طعنة أدت
لمصراعه، إستغل الآخر إنشغاله وجذب جسد حديدي من
صندوق السيارة خاص بتبديل العجلات ليهوي بها على رأس
"مراد" أكثر من مرة، تساقطت الدماء من رأسه بغزارة
فسقط أرضاً بألم يتغلب على رأسه فيشعره بدوارٍ حاد،
صرخت "حنين" بقهرٍ وهي ترى الدماء تتساب من رأسه
بدون توقف، تحرك كلاهما تجاه السيارة فتوقف أحدهما
حينما تمسك "مراد" بقدميه فمازال يحاول الدفاع عنها حتى
وهو على مشارف الموت، كاد بالتغلب عليهم وخاصة بعد
القضاء على أغلبهم فلم يتبقى سوى إثنين منهما ولكن خانه
هذا الضعيف الذي عرف قدر نفسه ففاجئه من الخلف، حاول
ان يحرر قدميه من قبضة الجوكر فجذب رفيقه الأداة ليهوى

بها على كتفيه بقوة جعلته يفقد الوعي نهائياً، ومن ثم تحرك للسيارة ليكسر زجاجها بقوة بعد أن حاول فتحها ثم جذب "حنين" بالقوة لتصرخ بفزع بأسمه ولكن تلك المرة لم يجيبها، سحبوها بالقوة للسيارة المجاورة لجسد "مراد" فتشبث به صارخة بجنون:
"مراد.."

دمائه وسكون حركته جعلت حقيقة كونه قتل تزف لقلبها التعيس فتمسكت به ببكاءٍ حارق:
متسبنيش...

سحبوها بالقوة تجاه السيارة رغم حركات جسدها العنيفة، فتطلعت من الشرفة لتصرخ بأخر أمل لديها:
"مراد.."

دفعها الآخر للداخل ليقود السيارة من يجلس بالأمام سريعاً، خشية من تدخل حرس "رحيم زيدان" بالأمر فينتهي بهم الحال جوار من قتلوا جوار "مراد"؛ ولكنهم تناسوا تماماً بأنهم من حفروا مقابرهم بأيديهم حينما تجرأوا بما فعلوه فأن كان الجوكر يلاقي مصيره فما زال الأسطورة على قيد الحياة...!!!!

الفصل الخامس

شعاع الضوء يغادر مقلتيه ببطءٍ، وكأنه يودعه برسائل الظلام
الراحل ليسكن بداخل أعماقه، صوتها الخافت يداعب مسمعه
فيطرق بقوةٍ لعله يستجيب لندائها، غيوم شديدة السواد جابت
عينيه لتستحوذ عليه تدريجياً، شعر بحركة هزت جسده وكأن
هناك من يحمله ليضع برفق بسيارة تحركت سريعاً وكأنها
بسباق قاسي للبقاء على قيد الحياة، إزدادت العتمة شيئاً
فشيئاً فتزداد معها قوة الألم الذي يخترق رأسه، إنقطع
الطريق ليشر بجسده المحمول على سرير متحرك ومن ثم
إخترق عالمه صوت يعرفه جيداً، ليردد اسمه بحزنٍ شديد،
فما كان سوى صوت "رحيم" الذي أوقفهم قبل الدخول لغرفة
العمليات، فأحنى مقابله ليناديه بغضبٍ شديد:

"مراد".... متقلّش أنا موجود...

ردد بصوتٍ يكاد يكون مسموع، وكأنه يسلم مسؤولية
حمايتها إليه:

"حنين".... "ح.....ن.....ي...ن...."

آخر حرف تفوه به ليسود من بعده ظلام لا نور له، غاب عن

الوعي بشكلٍ مفاجئ، جعل الأطباء يدفعون السرير المتحرك تجاه غرفة العمليات دون سماع المزيد من تعليمات "رحيم زيدان" التي قد تؤدي بحياة الجوكر الشبه منتهية... أغلقت الممرضات الباب من خلفهم، ليبقى هو بالخارج، عينيه الزيتوتية التي حاولت للهب نارٍ متركزة على الباب المغلق من أمامه، أصابعه إنطبقت على بعضها البعض بقوة مخيفة، تراجع "رحيم" بخطواته للخلف ليعود بالبركان الثائر، توجه لسيارته بسرعة كبيرة، فكاد "حازم" بالصعود، ولكنه توقف حينما وضع "رحيم" يديه على كتفيه قائلاً بحزم:

__مش عايز حد معايا..

إعترض "حازم" حديثه بذهول:

__بس آآ...

رفع عينيه ليسلط نظراته عليه ليبتلع باقي كلماته بخوفٍ شديد، صعد لسيارته ليقودها كالبركان بعدما أخبره بتعليماته المشددة بأعادة "مراد" للقصر بعد خروجه من العمليات وتوفير الرعاية الطبية له بأحد الغرف مع توفير حراسة مشددة على غرفته لحين الإنتهاء من هذا اللعين الذي فتح الطرق للقصاص منه بالدرب الذي سيسلكه "رحيم...."

بشتى الطرق حاول الأطباء إيقاف النزيق لإنقاذه، مت
الساعات وما زال كلاً منهم يبذل قصارى جهده حتى
إستعاد "مراد" وعيه تدريجياً لتبدو حالته مستقرة على مدار
ساعتين كاملين، نفذ "حازم" تعليمات "رحيم" وبالفعل تم نقل
"مراد" سريعاً للقصر رغم تحذيرات الأطباء الشديدة عن
خطورة حالته ولكن لم يستمع لهم أحداً، فكانوا موكلين بمهام
معينة وعليهم التنفيذ...

وضعه حازم بمساعدة بعض الحرس على فراش بغرفة
الطابق الأسفل من القصر، ليحاوطه عدد من الأطباء، يعملون
بجد على أن تظل حالته مستقرة...

زف الخبر بأرجاء القصر، فساد الحزن على بعض الوجوه،
والبعض منهم لم تمهد علاقتهم بها رابطة قوية، وكالعادة
إنهارت "شجن" من البكاء بأحضان "نجلاء" خوفاً عليها،
فالحقيقة المأكدة للجميع بأنه حينما سيحصل على توقيعه
سيقضي عليها....

ساعتين كاملتين قضاهم "رحيم" بالبحث عن هذا الوغد إلى
أن توصل أخيراً لمكانه، وقف رحيم أمام البناء الخارجي الذي
يحتمي بداخله اللعين ورجاله، يدرسه جيداً قبل أن يخطو أول

خطوته، خطوة ذكاء تحسب إليه، لا يقتحم مكان لا يعرف
مداخله ومخارجه جيداً...

كان الظلام يستحوذ على معظم المكان، رائحة الخوف القابع
بداخلها يكاد يتسرب إلى من يحاوطها، يدها كانت مقيدة بقوة
حتى فمها كمن بلاصق قوي جعل صوتها غير مسموع،
دموعها فقط هي التي تنساب على وجهها بدون توقف، تراقب
من يقف على البار القديم بنهاية الردهة المطولة، يتناول
كأسه بتلذذ عجيب وكأنه أقدم على ثروة كاملة، أردات من
قلبها أن ينهي ما سيفعله بالحال فالانتظار يقتلها أكثر مما
ستلاقاه من عذاب مكتوب، إنتظاره إنتهى بإشارة الرجل الذي
دلف من الخارج ليؤكد له بأنه أوصل العلبة المغلقة لقصر
"رحيم زيدان" بل وحرص على أن تصل محتواها لرحيم
بذاته، لا يعلم بأنه بنفس ذات المكان يقلب آخر جزء من
مخططاته ضده فكما يقال الظهور الأخير للبطل وليس

الرابع...!

بقصر "رحيم زيدان"...

أوصل الحارس العلبة المغلقة لسليم فقام بفتح محتواها ليجد
جهاز حاسوب غريب الشكل، فتحه ليجد بث مباشر من مكان

مجهول المصدر، أسرع للجهاز الموضوع بالرددة ليوصل محتوياته بالآخر لينطلق الصوت بالأرجاء وبصورة أكثر وضوح جذبت إنتباه الجميع فوقفوا ليتابعوا ما يحدث.. حينما حصل على إشارة بأنه بث من داخل قصره شرع بتنفيذ إنتقامه لمقتل أشقائه وليكوت تذكراً أبدي ووصمة عار لمن إختاره عمه ليكون حماية لإبنته، سلطت الكاميرات على وجه "عماد"، فرفع كأس الخمر مقابلها ثم دخن سجاره بتلذذ ليشرع بالحديث المتبختر:

_أوه، أسف أنا عارف إنك مشغول بدفن جثة أخوك بس حبيت أوريك أجمل جزء من القصة اللي لسه منتهتس.. وأشار لرجاله بتسليط الكاميرات عليها، هوت دمعاتها المختنقة وهي تحاول أن تبتلع تلك الغصة المؤلمة، جذبها أحدهم من حجابها بقوة كبيرة ليلقيها أسفل أقدامه، حرر "عماد" فمها ليجعلها تصرخ بصوت مسموع فيستلذ ما يفعله...

كبتت "شجن" صراخاتها وهي تراقب ما يحدث بجسداً مرتجف، هوت دمعات "يارا" بصدمة من عدم سيطرة القانون على حقيراً هكذا، أما "ريم" و"سارة" فأدمعت أعينهم لما يروا حتى الفتيات جميعاً تمنوا لو ان تتخلص مما هي به،

صاح "ريان" بغضبٍ شديد:

_مين الحيوان دا وإزاي عمل كل دا؟!!

أجابه سليم بحدة وعينية على شاشة العرض:

_أياً كان أكيد هو اللي ورا اللي حصل لمراد...

سأل "آدم" بأستغراب:

"_رحيم" فين؟!..!

أجابه "مروان" بيقين:

_إختفائه كارثة لوحدها...

إنطلقت صراخات "حنين" بصوتٍ جزع القلوب وأرعرش جسد

الفتيات زعراً، صرخ "جان" بغضبٍ لا مثيل له:

_يعني أيه هنقف نتفرج كدا...!!

أجابه "فارس" بعصبية وعرقه يكاد ينفجر غيظاً لرؤية هذا

الحقير يفرض قوته على فتاة عاجزة:

_وأيه اللي بأيدينا نعمله احنا لا نعرف مكانه ولا نقدر

نتحرك...

أكد "سليم" على حديثه بوجومٍ شديد:

_دا بث مباشر لما نتحرك هيكون خلص كل حاجة..

على بكاء "شجن" فتواسلت بصوتها المرتجف:

_يارب....

ثم قالت بأنكسار:

"_حنين" متستحقش كل دا..

ورفعت يدها على آذنيها تكبت صوت صراخ "حنين" الذي
يمزق قلبها ومثلما يمزق قلب القابع على بعد مسافة صغيرة
منهما، فتح عينيه وهو يجاهد الأغماء، صوتها القوي
إستحضره من درب الموت الذي سلكه رغماً عنه.

"_حنين.."

خرج إسمها واضحاً بصوته، نهض عن فراشه ليزيح عن
جسده النبض والسلك العالق ب صدره ليجاهد للوقوف، خرج
يستند على الحائط ليصل بصعوبة لباب الغرفة المقابل لشاشة
العرض ليفتك بما تبقى بفؤاده حينما رأى بعينه حبيبته وهي
تصارع بين يدي هذا اللعين الذي يجبرها على توقيع الأوراق
من أمامها..

بكت حنين وصوتها يجاهد بالخروج:

_أنت عايز مني أيه سبني في حالي..

أجابها ببسمة تعج بالشرار المخيف:

_متقلقيش مش هتدخل في حياتك تاني لأنها هتنتهي بعد ما

توقعي على العقد دا..

تراجعت برأسها للخلف برعبٍ جلي، ف قرب منها الورقة والقلم

لتضع توقيعها، دفعتهم بعيداً عنها لتصرخ بقوة:
مش هوقع حاجة...

تعلم جيداً بأنها إن وضعت توقيعها سيقتلها بدمٍ بارد إذاً
فليفعل ذلك الآن ليتحسر على ذاته دون أن يطول شيئاً من
ممتلكاتها ربما ستحصل على إنتقامٍ سريع بتلك الحالة، تطلع
"عماد" للأوراق الملاقة أرضاً ليسحب نظراته المخيفة عليها
ومن ثم هوى على وجنتها بصفحات متتالية ليجذبها بقوة
كبيرة لتقف أمامه صارخاً بوجهها بشماتة:

_لا هتمضي يا حلوة مهو خلاص اللي كنتي بتتحامي فيه
خلاص بح..._

_تو تو حساباتك غلط أو تقدر تقول كالعادة غبي، تفكر إنك
تقدر تأخذ خطوة زي دي وحد فينا عايش...!

صوتٍ مدها بشعور الأمان المفقود، تحركت عينيها تجاه
صوته الذي إخرق قاعته السوداء، سلطت الأسلحة تجاه
الصوت القادم من الظلم ليخرج للنور من أمام أعينهم، ردد
"عماد" ببسمة ساخرة وهو يتفقد من أتى لمساعدته:

"_رحيم زيدان"!!..أول مرة تمشي من غير حرس...
رسمت بسمة طفيفة على جانبي شفثيه ليجيبه بثبات:

يمكن حببت أموت على أيدك....

إبتسم بترحاب ليشير بعينه لرجاله، فحاوطوه من جميع
الاتجاهات وفي غمض البصر إنطفئ الضوء ليعم الظلام
المكان من حولهم، أخرج "عماد" سلاحه بخوف ثم جذب
حنين ليثبت السلاح على رقبتها ويتفحص الطريق من حوله
بخوف دب بقلبه، فشل الرجال بالتعرف على بعضهم بالظلام
الا من عاش رفيق به فدربت قواه على التعامل والرؤية مهما
كانت درجاته، إنتشالهم بسرعة كبيرة وكأنه شبح مخيف،
شغل "عماد" ضوء هاتفه ليجد أكثر من نصف رجاله أرضاً
وكان هناك عاصفة رملية ابتلعتهم، جذب الأوراق وتراجع بها
للخلف فحاوطه الرجال بشكل مستطيل ليأمنوا حمايته، وضع
السلاح على رأسها ليأمرها بغضب:

إمضي...

إبتلعت ريقها بصعوبة بالغة ولكن لا تنكر شعورها الضئيل
بالآمان لوجود رحيم، جذبت الورق ودونت توقعيها عليه
فجذب الأوراق ثم سلط عليها السلاح ببسمة نصر فتكت
بهجوم "رحيم" على رجاله، إشتبك مع من يحاولون حمايته
ليحاول الوصول إليه، رأى "مراد" أمام عينيه ما يحدث فشر
بجسده يكاد يرتخي كلياً ليستند على الباب بضعف..
إنقطع بث الكاميرا التي كان يحملها الحارس لتعود بعد قليل

بعد أن إنتقلت للكاميرات الموضوعه بالمكان بأكمله ومثبتة
بالأسطح، عاد بصراخٍ عاصف..

_____رحيم.....

صرخت "حنين" بأسمه رعباً بعدما حاوطها رجلين ذو أجساد
ضخمة، تراجعت للخلف برعبٍ وهي ترى أحدهما يشير
بنصل سكينه ليقربها منها حتى يفتك بها، أغلقت عينيها
بأستسلام لمصيرها المحتوم فأذا بالدماء تلامس وجهها،
فتحت عينيها بصدمة حينما رأت "رحيم" أمامها، يمرر
سكينه على رقبة هذا اللعين ويلكم الآخر حتى سقط غارقاً
بدمائه، إرتعبت من رؤيته كذلك، ليأتي من خلفه رجلاً آخر
لكمه ليستحوذ على رأسه فشل حركته إستعداداً لكسرهما، إنتبه
"رحيم" لنظرات حنين إليه فأشار لها بأن تستدير لتتنصاع
إليه...

أنهى فعلته ثم جذبها ليهول بها سريعاً خلف هذا الحائط
بنهاية الرواق، وضعت يدها على رأسها بألم جراء لكمة ابن
عمها القاسية، جلست على الارض بأستسلام والدموع
تستحوذ عليها كلما تذكرت ما حدث لمراد أمام عينيها، شعر
بها رحيم فوقف يراقب الطريق قائلاً دون النظر إليها حتى
يشئت تفكيرها:

__مش عايزة تعرفي "مراد" عمل أيه قبل ما يدخل
العمليات؟...

نهضت عن الأرض بلهفة وهي تجفف دمعاتها:
__عمل أيه؟!..

شعر بحركة خافته تقترب منه فتسلل ببراعة ليجد من يختبئ
خلف الحائط، مستخدماً سلاحه ليصوبه تجاههم، عاد لمحله
من جديد ليملأ سلاحه بالذخيرة وعيناه تراقب الطريق جيداً:
__كان بيردد إسمك بطريقة مجنونة لواحد بيواجه الموت..
إبتسمت بحزن به لتعود ذكريات ما حدث أمام عينيها وهي
ترأه يفقد واعيّه تدريجياً، وضع كاتم الصوت بسلاحه ليجذبها
برفق، وقفوا خلف أحد الحوائط ليستكمل حديثه وعيناه على
الطريق:

__عايزة ترجعيله؟..
أجابته دون تردد:
__أكيد...

إستدار إليها ببسمة تعج بالشر:
__يبقى متركزيش معايا وتنفذي كل اللي أطلبه منك بالحرف،
تمام؟..
أشارت إليه بخوف:

تمام..._

ثم قالت ببعض المرح:

طيب مش محتاج مساعده..._

أخرج سلاحه أمام عينيها ببسمة خبت:

أعتقد أن هما اللي محتاجين..._

تذكرت ما فعله منذ وصوله فلوت فمها بتهكم:

على رأيك..._

وإتبعته مثلما أشار إليها، يعلم بأنه سيواجه المخاطر للخروج

بها من هنا وخاصة بوجود الكاميرات بكل المبنى فكانت

تساعدهم على الوصول إليهم كلما تتقلوا للأسفل..

حاصرهم مجموعة من رجال "عماد" ليحاصروا "رحيم"

بعدما تجمعوا من حوله ليصنعوا بينه وبين "حنين" حاجز

ليقترب منها أحدهما بسلاحه لينفذ تعليمات رئيسه بالقضاء

عليها، تراجعت للخلف بخوف لتحاول أن تتذكر

تعليمات "مراد" إليها في كيفية إتخاذ وضعية الدفاع، وبالفعل

تمكنت من صد جميع ضرباته، تمكن "رحيم" من التغلب على

بعضهم باستخدام السلاح الأبيض ليقف جوارها ليراها مازالت

بوضعية الدفاع، لكم الرجل بغضب شديد فكلما حاول الوصول

إليها تشكل أمامه أحدهم ليمنعه فقال بأستهزاء:

__برافو يا "حنين" بس لو فضلتى بالوضعية دي كثير
هتشرفى بالقبر النهاردة...

صدت لكمته بصعوبة لتجيب "رحيم" بأرهاق:
__يعني أعمل أيه؟

أجابها بذهول:

__أهجمي مستاتيه أيه...!!

صدت آخر لكماته لتصرخ برحيم بغضب:

__مراد معلمنيش غير كدا...

أخرج سلاحه ليفتك بهم وبمن يقف أمامها قائلاً ببسمه
تسلية:

__أوعذك لو خرجنا من هنا على رجلينا هعلمك أنا أزاى

تهجمي علي عدوك وتستنزفي قوته...

إبتلعت ريقها بصدمه لتشير له برعب:

"__رحيم.."

يعلم ما تراه فكان بخطته المصون، إبتسم بمكر وهو يتأملها
حتى إنه لم يكلف ذاته عناء التطلع لما تراه، إستحوذ الخوف
عليها فبكت قائلة بصوت مرتجف وهى ترى ما يحدث خلفه:

__أنا مش عايزة أموت، أنا حامل..

ثم قالت بإستيعاب لما تعرضت له من عنفٍ شديد وبذلتة من

مجهود مفرط لتتفحص بطنها بجنون:

__حامل...!

بترت كلماتها حينما تمسك بيدها قائلاً بنظرات ثابتة تطوفها
الثقة التي تغلبت على مفاجأتها الغريبة:

__إهدي....

أشارت له بأنفعال ليتطلع خلفه فشد على كلماته:

__قولتك أهدي....

أشارت له بذهول لتكف عن البكاء وتقف محلها بصمت، رفع
"عماد" يديه ليصفق بهما بدوي متتاليه ليستدير على
مسمعها "رحيم" ليجده يقف أمام عيناه ومن خلفه عدد من
الرجال المسلحين، تأمل وجهه الذي ينزف بغزارة جراء لكلمات
رحيم له فأبتسم بغرور، لاحظ نظراته فأشار له بغضب وهو
يأشر بسلاحه بوجهه:

__نهايتك هتكون معاها والله أعلم يمكن تحصل أخوك..

إبتسم "رحيم" بثبات عجيب وكأن كلماته لم تعنيه من
الاساس، تخبأت حنين خلف رحيم بخوف بعدما إقترب عماد
منهم قائلاً بنظرات كره:

__لو فاكرا أنا غبي زي "عادل" أخويا وهتقدروا عليا تبقوا
أغيبه..

ثم قال وهو يشير بفوه سلاحه تجاهه:
_بس أنا هديك فرصة، أحنا مفيش بينا عدااء أنت طول عمرك
أنت وأخوك بتكرهوا بعض وفرصتك جيت لحدك، أخرج من
هنا وسيبها وأنا هعترك صديق..
ترك "رحيم" محله ليقف أمامه وجهاً لوجه، مبتسم بثقة
زرعت الإرتباك بمن يقف أمامه:
_أنا هخرج من هنا وحنين معايا وشوف هتوقفني إزاي؟..
تعالى ضحكاته بشر وهو يتأمل عيناه فأبتسم رحيم وهو يشير
له على رجاله:

_مش حابب تودعهم..
لم يفهم كلماته الا حينما دوي صوت قنبلة نارية ليطاير
أشلأهم بالمكان، جذب رحيم "حنين" بعيداً حتى تتفادي هذا
الانفجار الخطير والآخر يقف محله بذهول وهو يتأمل ما
يحدث من أمامه بصدمة وصدمة أخرى حينما رأى أعين
"رحيم" من أمامه....!!!

ما حدث أمام أعينهم جعلهم بصدمه وذهول مما يحدث أمامهم
على شاشة العرض، وخاصة "مراد" وهو يستمع لما قالت
حنين عن حملها المفاجئ ومن ناحية أخرى وهو يرى
"رحيم" يواجه كل تلك المخاطر لاجل معشوقته، اما شجن

فشعرت بشيئاً غامض لا ينسب للوصف بشيء، عاد تسجيل الفيديو ليوضح باقي أجزائه بتوضيح لمخاطرة جديدة خاضها رحيم مجدداً حينما جذب السلاح الموضوع أرضاً ليضعه على مقدمة رأس من يتطلع له بصدمة، ليهدده بالضغط على الزناد فأخرج الأوراق التي وقعتها "حنين" فقال ببسمته الشيطانية: _كنت أتمنى أخلص عليك بأيدي بس في شخص أحق مني بدا..

وهوى بطرف سلاحه على وجهه ليسقط فاقداً للوعي فجذبه ليضعه بالسيارة ثم عاد ليجذب "حنين" المتخشب جسدها على الحائط، تتطلع للدماء المغطاة للأرض كالبحر الذي يحاول ابتلعها، أشار لها بهدوء: _يلا هنخرج من هنا....

تطلعت له تارة وللدماء من حولها تارة أخرى، وكأنها تحاول إستيعاب ما يحدث حولها، جذب يدها ليجبرها على إتباعه للخارج، فأتبعته كالطفل الصغير الذي لا يعرف طريق العودة، توقفت قدميها عن الحركة حينما تمسك أحداً بقدميها، فتطلعت لجوارها لتجده أحد رجال ابن عمها يحاول التشبث بأي شيء، رآته مبتور الأقدام جراء القنبلة، إرتجف جسدها فلم تحتمل ما تراه لتسقط فاقدة للوعي، فأسندها "رحيم" ليخرج من أعماق

هذا الجحيم رابحاً كالعادة ولكنه ربما ربح شيئاً آخر أغلى من
ذلك وليكن قلب أحدهما...!

الفصل السادس

بفيلا "عباس صفوان.."

طلب الطبيب بعض الفحوصات ليتبين له سبب الأغماء المتكرر لحالتها، كشفت النتائج من أمامه ففتح الظرف المطوي ليقرأ نتائجها بعد أن إستغرقت ساعة كاملة، خلع الطبيب نظاراته الطبية بصدمةٍ بدت بإرتباك وجهه الذي تصبب عرقاً، فهو ليس طبيب عادياً ولكنه طبيب العائلة ويعلم عنها كل شاردة وواردة ويعلم كون "هنا" فتاة عزباء لم تتزوج بعد، لاحظ "يامن" حالة الزعر والتوتر التي إستحوذت عليه فسأله بقلق:

_التحليل فيها حاجة خطيرة ولا أيه؟..

أجابه الطبيب بإرتباك:

_لأ، بس آآ...

إنقبض قلب "عباس" وهو يتابع حوارهم فرفع صوته ببعض الحدة:

_بس أيه إنطق...!

أجابه الطبيب بصوتٍ واجم للغاية يكاد يكون واضح:

التقارير التي قدامي بتثبت إن "هنا" بنت حضرتك حامل
وفي بداية شهرها الثاني كمان...

هوت الكلمات على مسماهم كالصاعقة التي هزت أرجاء
منزله فكادت بأن تسقط أعمدها، لم يتمكن "عباس" من
السيطرة على أعصابه، فجذبه من تلباب قميصه بالقوة
ليصرخ به بغضب بالغ:

أنت بتقول أيه!!!

كاد الطبيب بالإختناق، فتدخل "يامن" على الفور ليفصل
بينهما بصعوبة، فأشار للطبيب بغضب بالغ:
إتفضل انت دلوقتس وياريت الموضوع يكون سري والا أنت
عارف أيه اللي ممكن يحصلك..
هز رأسه أكثر من مرة بخوف بالغ:

متقلقش..

وغادر على الفور، فجلس "عباس" على المقعد بأهمال وكأنه
سقط من السماء لسابع أرض بل بأعمق من ذلك ربما بباطنها
الموقد بنيران مميتة، أما "يامن" فكان كالثور الهائج، يود
قتلها بيديه ولكن قبل ذلك عليه أن يعلم مع من فتكت بعرضها
وضحت بشرفها وكأنه مباح لها بأي وقت تريده، ألف سؤال
تردد بعقله وهو يجوب أمام الغرفة يترقبها إلي أن تسترد

وعنها...

أوقف "رحيم" سيارته أمام باب القصر الخارجي، ففتح الباب الخلفي ليجذبه بقوة من تلباب قميصه ليدفعه بقدميه، فسقط أسفل قدم الحرس، أشار إليهم بحزم قاتل والجديّة تتبع بحدقتيه المشتعلة:

يتعلق بالمخزن...

ما أن إنتهى من كلماته حتى جذبوه بقسوة جعلته يتألم ويخشى اللقاء المحتوم بأخر شخص يتمنى رؤياه، جابته نظراته الزيتونية حتى إختفى من أمام عينيه، أسرع "حازم" تجاه "رحيم" ليقدّم له ما طلبه منه، جذب المياه وكوب العصير، ثم ولج لسيارته مجدداً، ليحاول أن يجعلها تسترد وعيها قبل الدخول للقصر فتقبض القلوب لرؤياها بهذه الحالة المخيفة، لا يعلم بأنهم شاهدوا تفاصيل ما حدث، سكب بعض المياه على يديه ثم نثرها على وجهها لترمش بجفניה بأنزعاج ومن ثم بدأت بفتحهما ببطء شديد لتتضح الرؤيا تدريجياً أمامها، إعتدلت بجلستها بفرع حينما عاد لمخيلاتها ما مرت به منذ قليل، رفع "رحيم" يديه ليشير لها برفق:

إهدي يا "حنين" خلاص إنتِ بقيتي بأمان...

إلتقطت أنفاسها بصورة منتظمة حينما رأت ذاتها بالسيارة،
بعيداً عن مذبحة الدماء التي خاضتها منذ قليل مع الأسوء من
زوجها، بدأ جسدها بالأسترخاء وعينيها تتطلع أرضاً لتحاول
أن تسترد طاقتها المستنزفة لأجل جنينها، مد يديه بكوب
العصير إليها فالتقطه منه بإمتنان لحاجتها الماسة إليه، إنتهت
منه فالتقط الكوب منها ليمنحها بسمه هادئة لشعوره بالخوف
المحبوس خلف نظراتها إليه بعدما رأت ما فعله منذ قليل
برجال ابن عمها فسألها بلطف:

__أحسن دلوقتي؟..

هزت رأسها بخفة، لتجيبه بتأكيد:

__الحمد لله أنا لسه متمسكة بالدنيا عشان اللي في بطني قربنا
بعتك نجدة ليا وهلاك ليهم..

تعالت ضحكات "رحيم" على جملتها الأخيرة، فكانت تبدو
حزينة للغاية وهو تلفظها، فقال بسخرية:

__أنت زعلانه عليهم؟..

رفعت عينيها إليه بخوفٍ شديد، فلعلت شفيتها لتباليها بريقها
لتجيبه بضيق:

__مش حكاية زعل بس على الأقل يكون في موة كريمة ليهم
أو ضرب من غير موت لكن اللي حصل من شوية دا خالاني

أحس إن الفيلم الأجنبي بتاع الراجل اللي ماسك الشينور
وماشي يقتل في خلق الله خرج للواقع ولبسك أو أنت اللي
لبست جسمه أيهما أصح...

لم يتمكن من كبت ضحكاته على حديثها المضحك، فسألها
بمكر:

__ يعني هتكوني مرضية اوي لما ابن عمك كان جاب رقبتك
ورقبتي ودفنا بتربة واحدة ويعيش يتمتع بفلوسك وأنت تغني
ظلموه تحت التراب؟...

إبتلت ريقها الجاف بصعوبة وهي تتفقد رقبتها بصورة
مضحكة فصرخت بفزع:

__ لأ طبعاً ألف بعد الشر عليا، يغور في داهية هو ورجالته...
أشار لها ببسمة هادئة:

__ أيوه كدا إستمرري بالدعوات وأحنا هنحققها بعون الله...
وفتح باب السيارة ليشير لها بأصبعه:

__ كدا إتضمنت عليكى إنزلي..

إنصاعت لكلماته وهبطت من السيارة لتتبعه للداخل بدقات
قلب تخفق بقوة خوفاً من أن يكون أصاب زوجها السوء، فتح
الخادم باب القصر الداخلي، فتبين من أمامها الفتيات بأكملهم،
إحتضنتها "نجلاء" ببسمة سعادة لتردد بوجهاً بشوش:

__حمدلله على سلامتک يا حبيبتي...

رسمت البسمة الهادئة على وجهها فأجابتها:

__الله يسلمک يا نوجة...

وتركتها وأكملت طريقها لتقف من أمام "شجن" التي تتطلع لها بعينيها المتورمة من أثر البكاء، أزاحت "حنين" دمعاتها التي إنسدلت فور رؤيتها، لطالما كانت الصديقة الجيدة إليها، طمنتها بكلماتها بأنها على ما يرام ثم إنسحبت سريعاً لغرفة "مراد"، ولجت للداخل بسرعة كبيرة حتى كادت بأن تتعثر لتجد ذرعه الأقرب إليها، نظرة طالت بالتطلع إليه قربت بينهما مسافات كبيرة، تفحصت وجهه وجرح كتفيه الملفوف بشاش أبيض يحجر ذراعه الأيسر بكتفيه، ورأسه محاطة به، بسمة صغيرة ذات بهجة لا توصف رسمت على ثغرها، فأحتضنته بسعادة لا كلمة لوصفها، رددت بصوتٍ مخطوف وكأنه همسة تزف لمسمعه:

__كنت خايفه يكون جراك حاجة...

رفع ذراعه الأيمن ليضمها ل صدره بقوة كبيرة لا تتناسب مع قسوة عينيهِ المكددة بالفراغ، وكأنه يحدد شيئاً مصيري بمجهول هذا اللعين، وقف "رحيم" على باب الغرفة بعدما صعد خلفها، فما أن رآه حتى تركها وتوجه ليقف من أمامه

ليسأله بجفاءٍ شديد:

__ هو فين؟..

يعلم جيداً ما الذي يشعر به لذا أجابه بهدوء:

__ تعالى ورايا..

لحق به "مراد" للأسفل فحاولت "حنين" أن توقفه لعلمها ما يدور بعقله ومازالت حالته صعبة للغاية، ولكنها لم تتمكن من إيقافه، كالأمطار المتمردة التي تتساقط بقوة كبيرة لتغمر أتربة الارض، وصل لنهاية الحديقة الخلفية، فوقف "رحيم" أمام باب المخزن الحديدي، فأمر الحارس بفتح بابه، ولجوا للداخل بصحبة "حازم" الحارس الشخصي لـ "رحيم زيدان"، وجده مرتبط بأحبال غليظة، طرفها معلق بسقف المكان، حركاته ساكنة للغاية بخوفٍ مقروء وخاصة وهو يقف أمام عدوه مقيد، عاجز عن الحركة، إقترب "مراد" ليقف أمام عينيه وجهاً لوجه والآخر بصدمة من كونه مازال على قيد الحياة، الدماء تفور بعينيه فتجعله وحشٍ مخيف، مازال يرى الصور المتحركة أمام عينيه، صراخها الذي يطالبه بالقصاص يسيطر على عقله كالتعويذة الفتاكة، أخرج من جيب بنطاله الرمادي ليسلطه على وجه "عماد" المرتجف، ابتلع ريقه الجاف بصعوبة بالغة فجاهد لقول:

كنت عارف إن أخرك السلاح اللي بتستقوى بيه...
لاحت بسمه شبه ساخرة على وجه "رحيم" وهو يتابع حوار
هذا القتيل المستقبلي الذي يفاصل بأختيار موته، صوت
إصطدام قوي ساد بالأرجاء أثر سقوط سلاح "مراد" أرضاً،
نقل نظراته الصقرية المخيفة ليشير بيديه لحازم الذي يقف
جوار "رحيم":

فكه...

إنكملت نظرات "حازم" بذهول، فقال بدهشة:

بس يا باشا...

بترت كلماته حينما أعاد الجوكر تكرار كلماته من جديد:

فكه، أنت هنا عشان تنفذ كلامي مش تجدلني...!

إزدرد حلقه الجاف بصعوبة بالغة فتطلع لرحيم الذي أشار له
ببسمه هادئة بحل وثاقه وبالفعل حرره "حازم" وتراجع ليقف
محله من جديد، أشار "مراد" لمن يقف أمامه بلهجة شرسة:

كنت حابب تتخلص مني فرصتك جاتلك وأنا قدامك...

أشاح "عماد" بنظراته تجاه الحرس المحاط إليهم بحلقات

دائرية، فقال "مراد" بثبات مخيف:

محدث هيتدخل..

لمعت بسمه الشر على وجهه، يعلم بأنه من المحال أن يخرج

من قصر "رحيم زيدان" حياً ولكن لا مانع في أن يصفى
حسابه مع الجوكر المزعوم لعله يشاركه الموت، رفع يديه
ليلكم "مراد" على وجهه فنزف فمه جراء لكمته القوية
ليبتسم بأنتشاء، تابع "حازم" ما يحدث بخوفٍ شديد فهمس
لرحيم بصوتٍ منخفضٍ للغاية:
_يا باشا "مراد" بيه لسه خارج من المستشفى من ساعات
ومش حمل الكلب دا سيينا إحنا نربييه بمعرفتنا...
نقل "رحيم" نظراته المستمتعة بالمعركة تجاه "حازم" ليرد
عليه بثقة:

_وجودك معايا هنا مأهلكش تعرف "مراد" كويس..
ثم توجه للخروج ليشير له بأبتسامة شيطانية:
_لما يخلص عليه تاوي جثته بمكان يليق بيه..
وفتح الحارس الباب سريعاً ليغادر "رحيم" المخزن بأكمله،
فتمتم "حازم" بعدم فهم:

_أتاوي جثة مين فيهم؟!...!
ظهرت الأجابة من أمامه حينما لف "مراد" يده حول عنق
الأخر ليرفعه بقوة غريبة عن الأرض، بدى وجهه شاحب
بعض الشيء، ورغم ذلك تماسك حتى يقتل هذا اللعين الذي
نصب الفخ وكاد بالفتك بمن تسالت لأعماق قلبه الواجم....

بغرفة "جان..."

بعد أن إطمئن الجميع على "حنين" الفتاة التي علم الجميع بقصتها الغريبة بفضول بعد رؤية الفيديو المعروض توجه كلاً منهما لغرفته فالوقت صار متأخر للغاية، كان "ريان" ثابتاً على جانبيه لا يتحرك وكأنه شارد بشيئاً ما، أما "جان" فلم يستطيع النور، فكان يتقلب ليسار تارة ولليمين تارة أخرى حتى أستقر بوجهه تجاهه فتساءل بهدوء:

_صاحي؟..

أتاه صوته المعاند له:

_ويهمك تعرف ليه؟..

أجابه بصراحة بالغة:

_عايز أتكلم معاك..

رد عليه "ريان" بسخرية:

_لو صاحي هنام لإنني أكيد مش حابب أسمع صوتك..

تألم قليلاً؛ ولكنه يود البوح عما يشعل صدره بجمرات تزيد من حجيمه المقبض، فقال وعينيه صافئة بالفراغ:

_أنا كنت أعرف "ريناد" من قبل ما تتعرف على "خالد..."
تخشبت نظرات "ريان" من أمامه، فأعتدل بجلسته على

الفراش ليسأله بصدمة:

_بتقول أيه؟!..!

جلس هو الآخر ليحييه بعينين غائرتين بالدمع:

_زي ما سمعت كدا، البنت دي كنت على علاقة بيها لفترة
طويلة ولما سبتها لفت على "خالد" عشان تثير غيرتي
وأطلبها ترجعلي تاني بس أنا مقدرتش أعمل كدا يا
"ريان..."

منحه نظرة مدققة بملامحه الصادقة، فسأله بشك:

_بس اللي بان عليك عكس كده..

أجابه ببسمة ألم وخزي يصاحبها:

_أنا كنت بأخذ شاور وخرجت لقيتها بأوضتي ولبسه اللبس دا
صدقني..

إبتسم بأستهزاء:

_وكان صعب تقول كدا؟!..!

أجابه بإنكسار:

_بالعكس لو كنت أعرف إني هخسره كنت إتكلمت بس أنا
يمكن الغرور أخذني وكنت عايز إنتقم لكرامتي كالراجل إنها
إختارت تكون مع صاحبي وهي عارفة إني هكون جانبه، كنت
واثق إنه هيسيبها فوراً بس آخر ما توقعته إنه هيعمل بنفسه

كدا..

وبترت كلماته بآنينٍ خافت، سحب لشهقاتٍ لدمعات متحجرة
خلف رداء الثبات المؤلم، إستدار "جان" برأسه تجاه "ريان"
الذي يرمقه بنظرةٍ مندهشة:

__ كنت مفكر إن مش هيكون في عذاب أسوء من موته بس
العذاب اللي بجد جيه بعد كدا، في كل ثانية وأنا بحمل نفسي
ذنب موته، كل دقيقة بتمر عليا بشوفه قدامي، نظراته مش
راضية تروح من عنيا، أنا فعلاً غلطت في حقه وحق نفسي يا
"ريان...""

وجد ذاته يحتضنه دون أن يتفوه بأي كلمة، فالحزن إحتل
أكبر حيز من حياته من قبل، إحتنضنه فهمس "جان" بصوتٍ
منكسر:

__تفتكر هيسامحني...

إكتفى بهز رأسه بهدوء ومازالت يديه تشدد على كف يديه
وكأنه يمنحه بأمال سيدها عودة صداقتهم المبتورة، إحتنضنه
"جان" والآخر لم يمانع ذلك فبداخله جانب أنار بسماع
الحقيقة حتى وإن كانت لن تعيد رفيقه الآخر ولكن على الأقل
لم يتعمد خيانتة...

خرج من الداخل يبحث عنه بعينه، فراه يجلس على الطاولة
ثنائية المقاعد بمنتصف الحديقة، جذب "مراد" المقعد ليجلس
من أمامه بصمتٍ طوت صفحاته حينما قال بصوته الخشن:

__مش عارف أشكرك إزاي يا "رحيم..."

شقت البسمة ثبات وجهه، فقال بلهجة ساخرة:

__الأجباري ولازم نتعود عليه إن مفيش شكر بينا...

لاحت على وجهه ابتسامة مكر، فرفع ذراعه ليمررها على
يديه الملفوفة بشاش يصل لرقبته، فنهض ليشير له برأسه
بألم:

__محتاج أريح هشوفك بكرا..

ثم خطى خطوتين ليعودهم تدريجياً، غمز له بعينه الزرقاء
قائلاً بحديثه الغامض الخبيث:

__كنت حابب والله أسالك على السبب اللي خالك

تخطف "عمران" بس زي ما أنت شايف حالتني بؤس وبرضه
معاك أو معايا مش هتفرق كلها أيدين أمينة...

وتركه وتوجه للصعود، إبتسم "رحيم" بإعجاب يزداد بدراسة
شخصيته، فنهض هو الآخر ليلحق به، فوضع يديه بجيوب
بنطاله قائلاً بلمعة شيطانية تنير عينيه بوميض مخيف:

__عارف أيه الممتع في وسط جو الصراع اللي بيحصل دا..

توقف "مراد" محله ليستدير بجسده كلياً تجاهه، فباغته

بسؤال حائر:

_أيهِ؟!..

أشار له بعينه على ذاته:

_إنك تلاقي حد تلاعبه يكون بنفس مستواك، فاهمك وهارش

حركاتك من قبل ما تعملها...

شاركه البسمة فقطع رحيم باقي المسافة بينهما ليبدو على

بعد خطوة منه، ليسأله بمكر:

_يعني أنت فهمت إني ورا خطف "عمران" وعاليز تعرف أيهِ

اللي خالاني أعمل كدا ومستعد طبعاً أجابك بس في حال إنك

تقولي أيهِ اللي حصل بأيطاليا...

ثم همس جوار آذنيه ببسمة خبث:

_تقدر تقول كدا إن حكاية سفر أمي لإسكندرية دا مدخلتش

علياً..

ثم غمز له بمكر:

_تصبح على خير يا شريك...

حك طرف أنفه بأبتسامة تداعب وجهه المرهق، صعد لجناحه

لحاجته الماسة للراحة بعد هذا اليوم الشاق نفسياً وجسدياً،

فتح الباب وولج للداخل ليجدها تجلس على الفراش وتفرك

أصابعها بخوفٍ يتشكل على ملامح وجهها، فما أن رآته
"حنين" حتى أسرع لأحضانه لتبكي بفرحةٍ أم بحزنٍ لما
مرت به، إمتزجت الدمعات فما عادت تميز بين أسبابها، خرج
صوتها المتقطع جراء بكائها المتواصل:

__سيبتني تاني...!

أخرجها بعيداً عن صدره الذي يؤلمه لإندفاعها القوي تجاهه
ثم جذب يدها ليجعلها تقف من أمامه ومن ثم توجه للمرأة
المطولة، ليميل برأسه على كتفها، تأملت إنعكاس صورته
بأهتمامٍ، فرأته يتعمق بالنظر لموضع جنينها، تعجبت للغاية
وبالأخص حينما مرر يديه برفق على بطنها قائلاً ببسمته
الهادئة:

__عشان كدا كنت عايزانا نتعشى بره، عشان تفاجئيني بخبر
حملك...!

إستدارت إليه بتذمر، فقالت بضيق:

"_رحيم" اللي قالك صح؟...

أشار لها بلا فباغته بسؤالٍ آخر يحمل الدهشة:

__أمال عرفت إزاي أنا معرفتش حد كنت عايزة أعمالهالك

مفاجأة...!

جذب (الرموت) المتحكم بجهازه الخاص بعد أن نقل الفلاشة

لغرفته، ثم أعاد تشغيله من جديد، إنكمشت ملامح وجهها
بذعرٍ وصدمةٍ بآنٍ واحدٍ حينما رأت فيديو متحرك لما حدث
لها، شعر برجفة جسدها حينما تذكرت ما تعرضت له فأغلقه
ثم قربها إليه مجدداً، تعلقت عينيه بعينيها ، فأستند بجبينه
على جبينها قائلاً بصوتٍ قد ذبح فؤاده:
_إصابات جسمي ماثرتش عليا زي ما سمعت صوت
صراخك...

وتنهذ بوجعٍ شعرت به بكل ذرة بكيانها:
_كان نفسي أغمض عيني وأفتحها وأكون قدام الكلب دا أخذ
روحه بأيدي، ولو مكنتش عملت كدا مكنتش هقدر أبص في
عيونك وأفكر اللي عمله....
إبتلعت ريقها ببعض التوتر، فاستطردت بسؤالٍ آخر:
_أنت قتلتَه؟...

نظراته القاتلة كانت إجابة صريحة لسؤالها، تمكن الخوف
منها لدرجة إن جسدها يرتجف لسماع كلمة موت أو رؤية
دماء من أمامها، إسترخت بين ذراعيه لتتحرك معه تجاه
الفراش فتمددت لجواره ومن ثم غفلت على ذراعه الأيمن
فظل لجوارها يتأملها بنظراتٍ تدفن ملامحها بداخل قلبه
المتألم...

دقت الساعة الثانية صباحاً وما زالت تميل برأسها على كتفيه،
ما زال يخطب الأرض بقدميه برفق فتتحرك الأرجوحة بخفة
لتحملهما بتناغم، ما زالت دقات قلبها تتواشب لقربه الشديد
منها، ما زالت رائحة البرفنيوم الخاصة به تمنحها شعور
الدفء رغم إحساسها بوجود شيء مريب، جذب "سليم" يدها
إليه فشعر ببرودتها، فخلع جاكيتته سريعاً ليدأثرها به
فتفحصت ساعتها بصدمة:
_ ياه الوقت إتاخر أوي....
ثم تطلع لها ليبتسم بعشق:
_ مش قولتلك مش بحس بالوقت وأنا معاك...
أخفضت نظراتها عنه لتجيبه بخجل:
_ ولا أنا...

كاد بأن يضمها ل صدره ولكن على صوت هاتفه برسالة نصية
أخمدت ملامح السعادة لضيق شديد، وكأنه غير قادر على
التنفس، قرأ محتوياتها لينهض من جوارها بنظراته المنكسرة
تجاهها فقال بثبات مخادع:
_ أنا لازم أخرج، إطلعي أنتِ نامي ولما هرجع هكلمك...
وجذب مفاتيح سيارته الموضوععة على الطاولة الصغيرة من

جواره ثم كاد بالتوجه لسيارته فتمسكت بيديه وملامحها
مربكة كأنها تشعر بشيئاً ما، تألم قلبه للغاية فجلس جوارها
ليجاهد برسم بسمه صغيرة على وجهه:
_حبيبتي مش هتأخر في واحد صاحبي حصلتله مشكلة كدا
هحلها وهرجع على طول بإذن الله..
هزت رأسها بتفهم ثم قالت:
_طيب هستانك هنا لحد ما ترجع..
أشار لها بالنفي معقباً على حديثه:
_لا طبعاً الجو هنا برد إطلعي أوضتك ولما هرجع هكلمك...
أومأت برأسها ببسمه حزينة، فنهضت لتخلع جاكيتة فأوقفها
سريعاً:

_هتأخدي برد أنا مش محتاجه..
ثم أوصلها للدرج الخارجي للقصر، فكلما صعدت درجاته
كانت تستدير للتطلع له وكأنها لا تشعر بالأمان لأبتعده عنها،
أما هو فكان يتمزق حرفياً، يشعر بداخله بأنه شخص خائن
وما عهد "سليم زيدان" للخيانة قط، ولكن أحياناً تضعنا
الحياة باختبارات لا إختيار ثاني لها...
توجه لسيارته ليسرع بالقيادة تجاه فيلا "عباس صفوان" بعد
أن إستلم رسالة منها حوت كلمات مختصرة..

«يامن وبابا عرفوا أرجوك متخلّاش عني..»..

حركت رأسها يمينا ويساراً بألم، فسيطر عليها النوم بدرجة كبيرة، أغلقت اللاب من أمامها ثم جمعت أوراقها لتستعد للصعود لغرفتها، صعدت أول درجات الدرج من الإتجاه الأيسر في نفس ذات الوقت الذي توجه "مروان" للصعود من الإتجاه الآخر، منحها بسمّة هادئة ليشير لها برأسه:
_مساء الخير..

ربت يدها على اللاب من امامها لتمنحه نظرة ساخرة:
_مساء ولا صباح يا أستاذ..

ألقي نظرة متفحصة على ساعته ثم تطلع لها بمرح:
_يا ستي مش هتفرق...

لوت "يارا" فمها بسخط:

_لا بتفرق والله، بس شكلك كدا راجع مش فايق ولا عارف
تميز لا صبح ولا ليل..

أجابها وهو يعبس بعينه بنوم:

_أه والله نفسي أنام وطولت في السهرة...
ثم قال بسخرية:

_مش عايزة تعرفي كنت سهران مع مين كمان؟..

رفعت حاجبها بعصبية:

_ويهمني أعرف ليه؟..

إقترب ليقف على الدرج الذي يعلوها ليستند على الدريزين
ليردد بمكر:

_أصل الكلام دا بيبقى بداية الملحمة اللي بتكون في خناقات

أي زوج وزوجة وأنا حقيقي مش متعود على دا...

جحظت عينيها بصدمة، فغمز بعينه ليستكمل كلماته:

_وممكن لإنني البطل الخارق اللي إنقذك من الموت تكون

علامة لبداية الوفاق رأسين في الحلال ولا أيه؟..

جذبت الأوراق بقوة لتشد على كلماتها:

_أنت وقح...

أجابها بسعادة:

(I Know _أنا أعلم)

وتركته وصعدت للأعلى بخطوات سريعة فتابعها ببسمة هادئة

وعقل شارد بكلماته تجاه أول لقاء وما يخص الزواج!..

كانت تتدعي فقدان الوعي لفترات طويلة قد تجعلها بهروب

إضطراري من مواجهتها القاسية مع أخيها وأبيها، ولكنه

كشفها فرفع عنها الغطاء ليصرخ بها بغضب لا مثيل له:

__أنا عارف إنك فوقتي فسبيك من الهبل دا وقومي كلميني..
قال كلماته الأخيرة بعدما جذبها لتقف امامه بقوة أمتها فقالت

بخوف:

"__يامن" أنا معملتش حاجة أنا آ...

قطعها بحدة:

__أنتِ أيه؟! .. لسه بتدوري على كدبة تداري بيها فضحتك
السودة! ، أنا كنت عارف إنك في يوم هتوطي رأسنا

بالوحد...

وشدد من ضغطه على ذراعيها فحاولت ان تجذبه بالقوة منه
ولكن لم تتمكن، ولج أبيها للداخل ليقف أمامها، فقالت بصوتٍ
مرتجف وقد بدت ملامحها بأخذ اللون الأصفر:

__بابا أنا والله آ....

صفعة قوية هوت على وجهها بقوة جعلتها تحتضن وجهها
بخوفٍ مما ستلاقاه، جذبها "عباس" من شعرها بالقوة
ليسألها بهدوءٍ مخيف خلف لهجة صوته المرعبة:

__هتقولي مين اللي عمل كدا ولا أقتلك مكانك هنا..

تعلم جيداً تلك الحالة المخيفة التي تتمكن منه فأسرعت

بالحديث:

"__سليم.."

ضيق معالم وجهه بذهولٍ فسألها بصدمة:

"_سليم زيدان...!!!"

أشارت له برأسها عدة مرات، ذُهل "يامن" فقال بغضب:

_كدابةٍ مستحيل "سليم" يعمل كذا..!

ثم تطلع لوالده ليردد من جديد:

_الحيوانة دي عايزة تلفقها لسليم طول عمرها وعينها عليه
وأنا كنت بكذب نفسي..

كاد بأن يصفعها مجدداً ليجعلها تخبره الحقيقة ولكن أتى
الخادم ليخبره بوصول آخر شخص قد يتوقعه "سليم زيدان"،
ليثبت له بأن ما قيل هو الحقيقة، ولكن بشعاعٍ آخر هام وهو
الوقوع مع آخر عائلة يتمنى الوقوف بوجوههم...!!

فتح "رحيم" باب غرفته، فتعجب حينما رأى الضوء يغمرها،
فتش بعينه بالمكان بأستغراب تحول لذهول حينما رآها تقف
بمنتصف غرفته وعلى ما يبدو أنها بانتظاره...!

تبأطت خطواته وكأنه يحاول إيقاف قدميه عن الحركة، فوقف
أمامها يتطلع لها بصمتٍ وتراقب لما ستقول أو لوجودها هنا
بهذا الوقت، كانت تضع عينيها أرضاً وتترقب دخوله لغرفته
فقد إنتظرت طويلاً حتى صعد، رفعت عينيها إليه ليرى بذاته

دموعها، خمن "رحيم" بعد معرفته بالأسطوانة التي نقلت ما حدث فتوقع بأنها ستخبره بكرهها الشديد إليه وبحاجتك للإبتعاد عن القصر لخوفها الشديد منه، ولكن مهلاً تقف أمام دون خوف إذن ما الأمر...!

بدى حائر فتطلع لها بأهتمامٍ، بدت تجاهد للحديث وكأنها تحاول أخراج ما يسكن بداخلها فقالت بدموع رفقتها بالحديث الغير مرتب وكأنها لا تعرف له بداية:

لما شوفت الفيديو دا، حسيت إحساس غريب أوي..
والتقطت أنفاسها بصوتٍ مسموع لتشير له على قلبها:
حسيت أني قلبي هيقف من الخوف عليك، إتمنيت إنك تخرج وقلبك لسه بينبض، حسيت إن روعي كانت محبوسة جوا قفص من حديد وببتمنى أن سجانها هو اللي يحررها مش حد تاني....

وبدمعات تتلأأ بعينيها إستكملت حديثها:
خوفت إتحرم منك مرتين حتى لو كنت بحاول إتقبلك بأسمك الغريب وطباعك المختلفة بس في أمل ان "فريد" جواك...
وبكت بإنكسار ضمد جروح قلبها فحاولت ان توضح له ما مرت به فأشارت على قلبها مجدداً بأصابعها:
دا مهداش غير لما شافك واقف قدامه...

إمتزجت أحلامه الجميلة مع واقعه التعيس؟...!!!
هل هي ذاتها "شجن" خاصته؟!، ياليت أعدائه يروؤه بتلك
الحالة وهو يقف مكتوف الأيدي أمامها!، يا ليتهم يروا "رحيم
زيدان" بهيبته يقف أمامها لا يملك حرافية بالغرام للتعامل
معه، وكأنه أسير بجان العشق لإنثى واحدة...!
ود لو إقترب منها، ود لو ضمها ل صدره ولكنه يخشى أن يفقد
كل ما فعله وتقدمت هي به، رفع يديه ليقربها من وجهها
ليزيح دمعاتها بأطراف أصابعه، إنحنت برأسها على كفة يديه
لتغلق عينيها بقوة جعلته يجذبها لأحضانه دون تردد،
إحتضنها وساكنة هي بين ذراعيه..!
إحتضنها وتقبلت ذلك، بل تشدد من إحتضانه...!!
قلبه يدق بسرعة كبيرة كادت بأن تمزق أضلاعه، ختام تلك
الليلة جعلته يعيش ألف ليلة بليلة واحدة، لم يطمع بها جسدياً
لا بل أراد حبها فقط، أراد أن تحتضنه وتشدد من ضغط يدها
على يديه وها هي تستلم لآمان أحضانه وتعترف بأن بقلبها
له شيئاً...!
ربما حان الوقت..!

الفصل السابع

هبط مسرعاً للأسفل وعينيه تتأجج بنيرانٍ من جحيم، حاول قدر الإمكان التحكم بذاته فهو يعلم جيداً مع من علقت ابنته، عائلة "زيدان" من المخاطر التي قد تواجهه وخاصة "رحيم زيدان"، جبر على أن يتعامل بهدوءٍ رغم الألم الثائر بأعماق قلبه، وقف أمامه صامت لقليلٍ من الوقت قطعه بكلماتٍ موجزة:

_ آخر حاجة توقعتها إني أكون هادي في موقف زي دا...
خلع "سليم" نظاراته السوداء ليرمقه بنظرة جافة، فتساءل ببرود:

_ وأيه المتوقع بالنسباك!...
جز على أسنانه بعصبية بالغة، فخرج صوته المكبوت بصعوبة:

_ أنت واقف في بيتي بعد اللي عملته في بنتي بمنتهى البرود..

لاحت على وجهه بسمة تهكمية فقال بلهجة ساخرة:

__ياريتك ربيتها تربية تستحق إنفعالك دا...
إلتهمة الغضب كالوحش ذو الأنياب، فرغ صوتة الحاد:
__بنتي محترمة غصب عنك وعن التخين...
"عباس" يا "صفوان" متنساش أنت بتتكلم مع مين...
صراخه كمم الأفواه فأبتلع "عباس" كلماته برهبة بدت على
معالمه، أشار "سليم" بيديه بوجومٍ شديد:
__بكرا تجهز اوراق الجواز هوقعها بس بنتك هتفضل في بيتك
متلزمينش....

وتوجه "سليم" للخروج ثم توقف ليتراجع خطوتين للخلف،
ليشير له بأصابعه مسترعياً انتباهه:
__الجواز دا هيكون بينا بس لو حد تالت عرف بيه إعتبر إنك
مشوفتنش...

وخرج من منزله بخطواته الثقيلة، فتباعد صوت سيارته
ومازال الآخر يقف محله معقود اللسان، وراء حديثه رسالة
غامضة لم يتمكن "عباس" من فهمها أما "يامن" الذي يقف
اعلى الدرج تيقن بأن ما يطوف بعقله هو الصائب، فهو يعلم
جيداً بأنه من المحال ان يفعل أمراً كذلك، حتى وإن لم يكن
على رابطة صداقة به ولكنه يعلم ما يعلمه الكثير عن "سليم
زيدان"، كور يديه بغضبٍ شديد حتى أبيضت لونها من فرط

قوته، فتوجه لغرفتها بغضبٍ يتمرّد على ملامح وجهه
المتعصب، فتح الباب على مصرعيه ليجذبها من خصلات
شعرها بقوة أمتها، فقال ونظراته تطوف عينيها بنظرة
مقرزة:

__ عملتي أيه يخلي "سليم زيدان" ينجبر يتجوزك...!
حاولت أن تحرر اصابعه الملتفة حول شعرها بتأويها
مؤلمة، فصرخت بألم:
__ سيبنّي أنا معملتش حاجة...
أجابها "يامن" ساخراً:

__ يا سلام هو اللي واقع في سحر عيونك صح...!
إدعت حزنها الشديد وعبثت بعيناها لتجبر الدموع على
الهبوط، فسعت لجعل الإنكسار يعتلي معالم وجهها الشيطاني:
__ أنت تقصد أيه يا "يامن"، أنت واقف تتهمني بتهم بشعة
بدل ما تروح تجيبه من رقبتة وتربيّه على اللي عمله فيا...
بدت نظراته ساكنة قليلاً، فظنت بأن خدعتها تسرى
كالمطلوب، فأسترسلت حديثها بقهراً مصطنع:
__ أنا فعلاً كنت معجبة جداً بسليم بس أكيد مش هسمح لنفسني
إني أتعدى حدودي معاه، صدقني اللي حصل كان غصب
عني...

رفع حاجبيه باستنكار فباغتها بسؤالٍ ساخر:

__ومقولتيش ليه لما إتعرضتي لكل دا..

ردت بإرتباكٍ قد بدى بحبات العرق المتصببة على جبينها:
__خوفت..

تشكلت بسمة طفيفة على جانبي شفتيه، فأحنى حتى كان
مقابلها ليردد بهمسٍ خافت:

__هعمل نفسي مصدقك بمزاجي، بس صدقيني يا "هنا" يوم ما
هعرف الحقيقة كاملة من "سليم" أبوك نفسه مش هيقدر
يخلصك..

وتركها وغادر بعدما صفق الباب بقوةٍ أرعبتها وجعلتها تبتلع
ريقها الجاف بصعوبة وهي تتخيل رد فعله بعد معرفة
الحقيقة...!

الخدلان، هو أصعب إحساس قد يتغلب على قلب عاشق، تمنى
أن يغفر له من عشقه حد الموت ذنبٍ لم يقصد فعله، يتمنى
أن تشفع له عشرة الأيام لعلها كانت كفيلة بمعرفة طباعه،
يتمنى ان يمنحه عذراً لما إرتكب ولربما حالته النفسية أجبرته
على فعل ما لا يليق به، نظرات الخدلان كانت تسكن بعينيها
التي تتابع شاشة هاتفها وهي تراه غافل عن مكالماتها،

ترقبت للمرة التي تعدت العشرون أن يجيبها، تريد الحديث،
تريد البوح أو تبرير ما حدث فيما بينهما، غزت الدموع وجه
"نغم"، فوضعت الهاتف جوارها على الكومود بيأس من أن
يكون هناك طريق للعودة فيما بينهما، ظنت بأنها النهاية

لحياة لم تعيشها معه بعد..!

طريقة خافتة على باب غرفتها منحتها أمل كبير لا تعلم سر
مصدره، صوت خطاه الثقيل جعلها تتكمش بجلستها بضيقٍ
لعلمها من القادم؟..

وجدها تجلس جوار ضوء المصباح الضئيل، صرير المقعد
الذي جذبه ليجلس مقابل فراشها كان مزعج للغاية، إستغرق
الصمت لفترة لا بأس بها إلى أن مزقه قائلاً بطالته المهدمة:
_اللي أعرفه إن اللي غلط بيعتذر مش بينفرد بغرفته وعایش
دور المظلوم..

خطفت بطرف عينيها نظرة يملأها التذمر، إبتسم "رحيم" وهو
يتابعها بإستمتاع، نهض عن المقعد ليغلق زر جاكيتة الأسود،
ثم مرر يديه على خصلات شعره وكأنه يمشطها، قائلاً بمكر:
_ممكن تكوني محتاجة لمساعدة وأنا مستعد...

نهضت عن فراشها بإهتمامٍ وقد تسرب شعاع الفرحه لقلبها
المظلم، فقالت بتلقائية دون أن تعي ما تقول:

بجد...!

وضعت يدها على فمها باستحياء وغضب من تلقائيتها
بالحديث الذي أفصح عما يكمن بداخلها، حك طرف أنفه
ببسمة طفيفة تكاد ترسم ليشير لها بعينه:

هستانكي تحت..

وتوجه "رحيم" للأسفل، تاركها تتطلع للفراغ بذهول من
عرضه الغريب بالمساعدة...

شعلة مصباح قلبها إنطفئ لأعوام قضتها بعيداً عنه، وكلما
اضاءه الأمل أتت عاصفة قوية جعلت نوره يهتز بقوة فتارة
تشعر بأنه قد إنطفئ بالفعل وتارة أخرى تشعر بحرقه لهيبه،
أما الآن فأزاحت القيود التي تحجز المصباح بداخله ليتبين لها
بأنه مازال يعمل...!

مازال يضوي، مازال يخبرها بأن معشوق الفؤاد عاد لينير
دنياها، شردت لفترة طويلة وهي ترتب باقة الزهور الحمراء
التي أوصلها الخادم لها منذ قليل، وضعتها بمزهريّة غرفتها،
فكانت تلامس الزهرة بحرص شديد وكأنهت كأس هاش قابل
للإنكسار، شردت لدرجة جعلتها لم تنتبه لمن يستند على باب
غرفتها بجسده الرياضي، يتابعها بزيتونية عيناه المهلكة

وبسمة الفرحة تتشكل على طرفي شفثيه وهو يراها تهتم
بالزهور التي أحضرها خصيصاً إليها، بدت الأمور بينهما
تتحسن عن ذي قبل، مررت يدها برقة على أوراق الزهرة
التي تحتضنها ببسمة هادئة، إنكمشت ملامح وجهها بألم
حينما جرح أصابعها..

"_شجن...!"

صوته إخترق قاعة غرفتها الخاصة، خطواته السريعة الغير
معهودة عنه جعلت نظراتها تتعلق به، إحتضن اصابعها بيديه
ليتفحص جرحها الصغير بنظراتٍ جعلتها تشك بخطورة
جرحها، مازالت تشعر بهيئته الطاغية حينما يطل بمجلسها
الخاص، حتى وإن كانت تستمر بإزاحة الحواجز فيما بينهما،
قربه الشديد جعلها بحالة من الخجل يصعب وصفها، فتراجعت
لتلهو ذاتها بالبحث عن علبة الأسعافات الأولية بدرج
خزانتها، وبالفعل أخرجته لتعقم يدها قائلة بكلماتٍ متوترة:
_أنا كويسة..

تطلع لها "رحيم" بوجهاً جعل تعابير هادئة حتى لا يزرع
الخوف بقلبها من جديد، فوضع يديه بجيوب بنطاله ليمنحها
نظرة دافئة قائلاً بثبات:

_شكل هديتي عجبك..

تطلعت للمزهرية ببسمة رقيقة:

__جداً... ميرسي...

لم يتمكن من حجب تلك البسمة الجميلة التي بدت على ثغره،
فأمعن لفترة بلامح وجهها التي يكسوها اللون الأحمر
فأختتمها بكلماته البسيطة:

__مش عايزة تشوفي "يوسف"؟!..!

ضيقّت "شجن" عينيها باستغراب:

__اكيد بس بتسأل ليه؟..

إقتطع المسافة التي تباعدتها عنه ليجذب اللاصق الطبي الذي
تحاول لصقه مكان جرحها، ليضعه برفق حول أصبعها، تعمق
بنظرة عينيها ومازالت يدها قيد أسر يديه، رفع كفها إليه
ليطبع قبلة صغيرة على أصبعها المجروح ليلحقه بقول:

__إجهزي...

تسارعت دقات قلبها بقوة، لوهلة شعرت بأن البرودة تحتضن
نصف جسدها والحرارة تحتضن النصف الآخر، حمدت الله
بمغادرته الغرفة والا كان ليرى حالة التشثت التي زارتها لتو،
ولكنها تتقبلها بل أحبت ما تختبره ورحبت به ببسمة هادئة ثم
جذبت فستانها لتبدأ بالإستعداد....

خسرت كل شيء، العائلة، المال، السلطة، عفتها، فأصبحت
محطمة، هزمها الحزن وجعلها تعيسة، فكانت تختبئ خلف
نقابها بعدما صارت وصمة عار، الجميع يتحدث عن بطنها
المنتفخة بجنينها الذي يكبر بأحشائها وهي غير متزوجة!
منحها أبيها إختيارين ما بين التخلي عن جنينها أو الإحتفاظ
به ولكن بشرط أن تترك المنزل وتبتعد عنهم كلياً، كان
الأختيار صعب عليها ففضلت "صباح" الإبتعاد، فضلت
الإحتفاظ بجنينها لعله يعوضها عن المعاناة التي لقتها، تعلم
بأنها أخطأت بحق ذاتها حينما فرطت بحب "يامن" ولجأت
لشخصٍ مثل "إياد"، ولكن هناك حقيقة واحدة لا تنكرها بأنها
أحبته، لم تختبر الحب ليامن قط ولكنها شعرت به مع هذا
المدمن اللعين من وجهة نظرها، شيء واحد فقط يجعلها
سعيدة من طريقها المحفور بالشوك الذي إختبرته وهو تقربها
الشديد من ربها، أمنت بأن ما مرت به ما هو الا إختيار
ليدفعها لطريق الله، ليجعلها تعود عن معاصيها المتكررة،
تعيش بغرفة صغيرة فوق أسطح إحدى البنايات تستأجرها
شهرياً بمبلغ بخس ولكنها تجد حتى تدفعه، تؤمن بأن الله لن
يتركها وسيظل لجوارها مهما تعرضت للسوء ولربما طريق
الهداية له كان أول الطريق لذلك....

من مكانٍ لآخر بدون هدف او وجهة معينة، قيادة طويلة بالسيارة جعلته غائب عن الحياة، يرى فقط من أمامه شريط حياته الذي يمر كالطيف فيستحوذ على زجاج السيارة الأمامي فيجبره على رؤية ما يريد، إختنق صدره وضاق تنفسه فأوقف "سليم" السيارة بمنتصف الطريق ثم ثقل رأسه يهوي على المقود من أمامه ليصرخ بصوتٍ مخيف:
_ليه بيحصل معايا كل دا ليه؟!..!

حفر أظافره بخصلات شعره وكأنه يعاقب ذاته على ما يحدث معه، ساعة كاملة والسيارة متوقفة عن العمل وعقله لم يتوقف عن التفكير، تلون عينية بلون الدماء فقاد سيارته التي عملت بسرعة فائقة مصدرة صوتٍ مخيف، ليبدل مساره تجاه شركته رغم أن اليوم أجازة رسمية ولكن لاح شبح بعقله وأخضعه لينفذ ما يجول بخاطره، رفع سماعة الهاتف يطلبها ثم إنتظر قليلاً إلى أن إستمع صوتها فقال قبل أن تبدأ بالحديث:

"_ريم" قابليني في الشركة، حالاً..
سألته بهلع وهي تستمع لصوته المقبض:
_في أيه؟، أنت كويس!..!

تجاهل سؤالها ليشدد على كلماته بصوتٍ أخافها أكثر:

__متأخريش...

وأغلق "سليم" الهاتف ليلقيه على مقعد السيارة من جواره
ثم وضع يديه على فمه بقوةٍ وبداخله إقتناع تام لما سيفعله...

حاول بصعوبة بالغة ان يخلع ذراعيه من القميص المفتوح
أزراره ولكنه لم يتمكن لجرحه العميق، ترك ذراعيه بإستسلام
لتمكنه من خلعه عن جسده وإتداء آخر ولكنه تفاجئ بأصابع
رقيقة تزيح عنه القميص لتظهر لجواره بنظراتها الخجلة
البعيدة عن مشاكستها المعتادة، إبتسم "مراد" بتسلية وهو
يرى إنعكاس صورتها بالمرآة، أصابعها المرتجفة على
جسده، نظراتها الغريبة تجاهه، حركاتها المضحكة وهي
تحاول أن تعاونه على إرتداء القميص دون ملامسته، طرقت
بأصابعها على كتفيه لتجعله يستدير، فأبتسمت بفرحة حينما
نجحت بألبسه إياه، أغلقت زر القميص الأسفل ولكنها وجهت
صعوبة كبيرة بغلق العلوي، بدت بسمته بالسخرية والأخرى
ترمقه بغضب، فجذبت أحد المقاعد من جوارها لتصعد فوقه
بضيقٍ ثم أغلقت الأزرر العلوية لتمسح على كتفيه بغرور:

__كدا تمام...

رفع حاجبيه بسخط:

__طلوعك الكرسي ولا تحرير سينا؟...

لوت "حنين" شفتيها بضيق، فقالت بعصبية:

__أنا غلطانة إني ساعدتك من البداية..

وحاولت الهبوط ولكنها توقفت حينما حاول قصيرته بيديه،

أجبرها على التطلع إليه فأبتسم بمكر وهو يداعبها:

__لو شايقة قربك مني غلطة فأغلطي كل يوم..

تطلعت له بأبتسامة ترسم تلقائياً حينما تتطلع له، إزاحت

المسافات وكادت الأشواق تترنح على وتر الفؤاد؛ ولكن قطع

مجلسهم دلوف الخادم بعد طرقه المتكرر، فقال وعينيه أرضاً

بأحترام:

__والد "حنين" هانم تحت وعازيز يقابل حضرتك..

ضيق عينيه بذهول، فأشار له بهدوء:

__شوفه هيشرب إيه وأنا نازل..

أشار له بخفة ثم غادر لينفذ ما قال، فركت اصابعها بإرتباك

وقد تسلل لها بعض الظنون فقالت بتوتر وهي تراه يصفف

شعره بثباتٍ عجيب:

__جاي أيه؟..

اجابها بإتزان:

لما ننزل هنعرف..

ومد لها يديه فتمسكت به بقوة لتهبط لجواره..

تخطت السيارة الكبيرة أزرق شوارع الحي البسيط بصعوبة بالغة حتى وصلت للمكان المنشود، هبط "رحيم" أولاً، ثم إتبعته "أشجان" و"نغم"، صعد كلاهما للأعلى، فطرق بيديه على الباب الخارجي للمنزل وانتظر حتى فتح الباب ليطل "يوسف" من خلفه، شملته نظراته ثم توقفت عليها بضيق وكأنه لم يود رؤياها، كسر "رحيم" عتاب النظرات بينهما حينما خلع نظراته ليشير له بسخرية:

مش هتقولنا نتفضل ولا أيه؟..

تباعد عن الباب قليلاً ليشير له بيديه، ولجت "شجن" بعدما إحتضنته ثم ولج "رحيم" وتبقت "نغم" بالخارج قليلاً، وقف كلاهما تجاه الآخر لدقائق غامضة قطعها بصوتها

المبحوح:

عامل أيه؟...

تركزت نظراته عليها، وكأنه يتذكر شيئاً معين، فأجابها بعد قليل:

متسولتش من حد ربنا رزقتي بالي يكفيني..

تتصف قلبها بقسوة حينما إستمعت لكلماته التي تعلم مغزاها جيداً، فولج للداخل وتركها مازالت محلها لتلحق به بعد قليل، وقف يوسف بردهة منزله بصدمةٍ بالغة، ففرك عينيه مجدداً ليحاول أن يرى بوضوح، هل تحمل الأريكة "شجن" و"رحيم" معاً...

كان يرى شقيقته تنبذ المكان الذي يجمعهم وها هي الآن تجلس على نفس مقعده!، تابع "رحيم" ردود أفعاله ببسمة خبث، فأشار له بتعحرف:

__قولتلك مهما طريقي طول هكسبها...

إبتسمت بخفة، فجلس "يوسف" على أحد المقاعد ليوزع النظرات فيما بينهما بفرحةٍ فقال:

__بصراحة أنا مكنتش متوقع إنك هتوصل لأي مرحلة بس وأنا شايفكم كدا لمسني الأمل...

إبتسم "رحيم" بثباتٍ، فطرق بيديه بخفة على قدميه: .

__مش ناوي يلمسك حاجة تانية؟..

يعلم من وجودها معه السر خلف زيارته، بدى ثابتٍ للغاية، فنهض ليقطع حديثه عن عمد:

__نسيت أسالكم تشربوا ايه؟..

حزنت "نغم" للغاية لتهربه من الحديث بأمرها، فأشار له

"رحيم:"

"_شاي" بس مش تقيل زي كل مرة عشان كدا "شجن"
و"نغم" هيعملوه..

بادلته البسمة بمحبة ثم لحقت بها للداخل لإعداد أكواب الشاي
الساخن، كانت محاولة ناجحة من "رحيم" لأخلاء الأجواء،
فأقترب ليجلس على المقعد المجاور له ليحاوره بثبات:
"_يوسف" أنا عارف إنك مبتوصلش لحالة الزعل دي الا لما
يكون في سبب كبير، بس صدقتي الحب اللي بينكم دا يستأهل
إنك تديله ألف فرصة، أنت أكثر واحد شوفت بعينك العذاب
اللي مریت بيه وأنت اللي لازم تقدر وتديها أعذار..

إبتسم بألم بادی ببسمته الواجمة فباغته بسؤال موجه:
_وأنا مين يديني عذر يا "رحيم" أنا من أول ما قبلت بالعلاقة
دي وأنا بصلح في أخطائها، زهقت من كتر ما بيدها فرص
وحاسس إنها بتستغل دا كويس...

إعترض على حديثه بضيق:

"_نغم" طبعها عنيد يا "يوسف" فلو إستغلت أي فرصة فدا
عشان تسامحها وتديها فرصة جديدة....

كف عن الحديث وبدى وكأنه يعقل حديثه برأسه، فربت على
قدميه ليشير له بأصبعه مسترعياً إنتباهه:

متسمعش لعقلك يتغلب على قلبك يا يوسف، كلنا بنغلط، إحنا بشر...

خرجت "شجن" للخارج حاملة اطباق من الفاكهة لتقدمها حين الإنتهاء من صنع الشاي، جذب مفاتيح سيارته ثم وضع يديه حول معصمها ليشير لها بيديه بالتحلى بالصمت حتى لا تشعر بهما "نغم" ثم خرج من باب المنزل ليتطلع ليوسف قائلاً قبل إغلاق بابه:
_ صلح أمورك بنفسك..

وأغلق الباب ليغادر بها للسيارة مرة أخرى، ليصعد كلاً منهم للخلف فتطلع لها بنظرة مطولة ثم انفجروا ضاحكين على تسللهم المخجل وكأنهن لصوص متخصصين بسرقة الملابس، أمام السيارة كان يقف حارسه الشخصي "حازم" يخطف النظرات إلي رب عمله بصدمة، لم يصادفه مرة رؤيته يبتسم وهو الآن يضحك بصوته كله، وقف ثابتٍ قدر الإمكان، يتطلع للجانب الآخر كالتعليمات، أخبره "رحيم" بالانتظار لحين هبوط "نغم" فقد صنع لهم جواً خاص للمصالحة قبل الرحيل، صدح هاتفه برسالة نصية فكانت من "مراد" تحوي كلماتٍ مختصرة...

«كلامك صح، هو موجود تحت حالياً..».

اجابه برسالة أخرى:
«دقايق وهكون عندك بس في مشوار لأزم أعمله
الأول...»....

«مشوار أيه دا؟»...

«لما أجي هتعرف...»...

ووضع الهاتف بجيب سرواله ثم تطلع لجواره ليجدها صافنة
بنظراتها للأعلى، رفع عينيه تجاه ما تتطلع إليه فأبتسم هو
الأخر وهو يتأمل الشرف المجاورة لبعضها، ذكريات الطفولة
العتيقة تكمن بهذا المنزل ذو الطوابق المتهالكة، راحة البال
والحب الصافي كان أثمن من مملكة "زيدان" بأكملها ولكن
وجودها لجواره منحه إحساس لا يقدر بثمن...

حملت "نغم" الأبريق لتسكب منه بالأكواب الموضوعة
أمامها، شعرت بأنفاسٍ قريبة منها فأستدارت لتجده يقف
قريباً منها، همست بخفة:

"_يوسف.."

سكون ملامحه جعلتها تقول بتردد:

_يوسف أنا والله مكنت أقصد أقول الكلام دا أنا أسفة آآ...
بترت كلماتها بصدمة جعلتها تبرق به بعدم إستيعاب لما فعله
منذ قليل، إنسحبت دقات قلبها لتعود من جديد حينما إبتعد

عنها، تطلعت له بذهول فقالت بتشتت:

_أيه اللي عملته دا..!

وضع يديه بجيوب جاكيتته الرياضي قائلاً بخبث:

_أممم، يمكن حق الدبش اللي بتقوليه ويمكن إستغلال لأننا
لوحدنا ولإنك مراتي برضو..

وتطلع خلفه بتفحص ليقترّب منها بخبث:

_وممكن إستغل الوضع أكثر من كدا فمفيش قدامك غير حل
واحد تأخدي بالك من كلامك كويس أو إغلطتي براحتك وأنا
موجود..

وقال كلماته الأخيرة بغمزة مأكرة جعلتها تعلق شفيتها بتوتر
فدفعته بعيداً عنها ثم هرعت للأسفل وضحكاته تترنح على
مسماعها، صعدت "نغم" بالخلف جوار "أشجان" بأنفاسٍ
مسموعة، تأملت حالتها بإستغراب فسألتها بذهول:
_أنتِ كويسة؟..

هزت رأسها كثيراً بإرتباك والأخرى مازالت تشك بأنها ليست
بخير وخاصة بأحمرار وجهها، إبتسم "رحيم" بتسلية وهو
يتابعها بمرآة السيارة الأمامية بعدما جلس بالأمام فأشار بيديه
لحازم ليأمره بالتحرك..

إنبطح "ريان" بداخل سيارته حينما هاجمه مجموعة من اللصوص على أحد الطرق، حينما توجه لرؤية أحد اصدقائه بمشفى بعيداً عن المدينة، حطموا زجاج نافذة سيارته بعصا غليظة للغاية (شوم)، ليامروه بالهبوط عنها، جذب هاتفه من جيب بنطاله وأول إسم لمع من أمامه "جان" الصديق الذي تحول إسمه للعداء ومن ثم صداقة من جديد..

المكان كان خالي من حولها، لا يوجد سوى حارسين أمام باب الشركة الخارجي، صعدت "ريم" للأعلى، والخوف ينبض بداخلها، ولجت لمكتبه لتجده مظلم، بحثت عنه بنظراتها المرتبكة، رفعت صوتها بخوف:

"_سليم..!"

شعل ضوء خافت ليظهر من أمامها عدسة مكبرة ثم عرض من أمامها شريط فيديو صادم إليها بكل ما تحمله معاني الكلمات، ظنت ببدء الأمر بأنه فيلم إباحي ولكن إتضح لها معالم وجهه بوضوح، سقط حقيبة يدها أرضاً ومعها سقطت دمعاتها، إنكسر قلبها بصورة موجعة لم يختبر ألمها عاشق قط، لوهلة ظنت بأن قلبها توقف عن الخفق وروحها ذهبت الحياة، تمنّت لو تحرك جسدها المتصلب لتوقف عرض هذا

الشريط الذي ينهي معه عشق فاق الأمد، إنتهى ولكن ياليت
عمرها الذي إنتهى قبل رؤيته، سطع الضوء لترأه يقف
أمامها، يحنل بيديه جهاز التحكم وعينية مسلطة عليها وكأن
ما رآته شخص غيره، أيمتلك عين الجراءة ليتطلع لها؟!!!

تسلل "طلعت" لمخبئه السري بعد عودته من غرفة "نجلاء"،
إعتاد رؤيتها قبل النوم كل ليلة وكأنها المسكن الفعال
لأوجاعه، حاول أن يضئ الضوء ليتوجه لفراشه المؤقت
بجانب الغرفة المطولة، ولكنه وجد لا يعمل، زفر بضيق وهو
يتفحصه، فصدم حينما أضيئ الضوء المجاور للتخت، سحب
نظراته للداخل ليصعق بقوة حينما رأى من يجلس على المقعد
المنصف لردهة قاعته المطولة، واضعاً قدماً فوق الأخرى
بمنتهى الغرور ويحدجه بنظرات ثابتة للغاية، ردد طلعت
بصدمة لا مثيل لها..

"_رحيم.!!!!_"

رفع يديه ليتفحص ساعته ثم قال ببسمة خبث:
_تأخرت...

الفصل الثامن (الجزء الأول)

إنكسار الشيء الملموس يصدر صوتٍ مجلجل فماذا عن
إنكسار الذات وتحطم القلب هل يستمع له أحداً؟...!
إختبرت الموت لدقائق متتالية فلم تكن منصفة بحقها، جلاد
روحها هو بذاته من عشقته بجنونٍ، يقف أمام شاشته ويتطلع
لها بنظراتٍ غريبة جعلت الدماء تتصبب بعروقها كالشلال،
تريد القصاص مما رآته على تلك الشاشة اللعينة، ليثها لم
تنصاع لكلماته وتتبعه لهناء، ليثها كفيفة لم ترى أصعب ما
يقال عنه خيانة بل سهامٍ إخرقت جسدها الهاش، تعصرت
كلماتها عن البوح بما يحدث بداخلها، فقالت بصعوبة بالغة
وهي تجبر لسانها الثقيل على الحركة:

__أيه دا؟....

ظل ثابتٍ كما هو، يستمع إليها بصمتٍ قتلها ببطء فجعلها تكاد
تجن، صرخت "ريم" بكل ما تملكه من قوة به:

__فهمني دا أيه؟...

خرج صوته الصلب، وكأنه لم يقترب شيئاً!

__الحقيقة يا "ريم"...

هزت رأسها بعنفٍ شرس، لتردد بخفوت:

__لأ...مستحيل...

عاد شريط الفيديو الخاص بكاميرات المكتب بعرض الشريط مجدداً، عينيها لم تحتمل التطلع إليها مجدداً، بالرغم من وجود آريكة تخفي أجسادهن ولكن توقع ما يحدث جعل جنونها يتمرد بقوة، فجذبت الحاسوب الصغير الموضوع على سطح مكتبه ثم هوت به على الأرض بقوة وبكائها يكاد يشق القلوب، حطمته بقوة بقدميها وكأن بتلفه ستنتهي تلك الحقيقة البشعة، إنسابت قدميها فجلست أرضاً لتعود بحمله ودفعه أرضاً من جديد لتردد بشهقاتٍ بكائها الحارق:

__لأ، مستحيل تعمل فيا كذا مستحيل تخوني، دا كله كذب....

يحترق فؤاده لوعة، يتمزق قلبه بشراسة تحجر قفصه الصدري، تبكي عينيها بحرقة وإن كان دموعها مرئية لا ترى، تهاجمه كل ذرة بجسده بالتحرك تجاهها فترك لخلاياه التحكم به وكأنه لعبة صغيرة تحركها الأنامل!...

رداء القوة لم يعد يناسبه، إقترب منها لينحني مقابلها قائلاً

ببسمة ألم بدت بعدم تقبله لما رآته:

__أنا كنت في نفس الحالة اللي إنت فيها وأنا بشوف

التسجيلات دي...

ثم تنهد بوجع ليستكمل حديثه:
_ كل اللي أقدر أقول هولاك إني مكنتش واعي، وللأسف مجبور
أتجوزها..

رفعت عينيها الناقمة عليه وعلى سماع صوته لتواجهه بكتلة
شرار يتمثل بأحمرار عينيها:

_ على الأساس إنك كنت مغصوب..!

ثم أشارت بيدها على جهاز التشغيل:

_ اللي شوفته بعيني دا واحد واعي للي بيعمله...

أشار لها بالنفي، فأوقفته بكلماتها الصارخة:

_ أنا كنت شاكة من البداية إن في حاجة بينك وبين البنت دي
ووجودي هنا أكبر دليل...

ضيق عينيه بصدمة لياغتها بسؤال متردد:

_ تقصدي أيه؟..

نهضت عن الأرض لتشير له بغضب لا مثيل له:

_ قصدي إنك عامل كل المسلسل دا عشان يكون في مبرر

لبعدك عني وجوازك منها...

نهض "سليم" ليقف أمامها، يتعمد التعمق بعينيها لعلها ترى
الآمه:

"_ ريم" أنت شايفة حبي ليك بالطريقة دي؟..

بسمة ساخرة تشكلت على جانبي شفتيها رغم الدموع الساكنة
بغرف عيناها:

_أنا حبيبتك وأنت جرححتي، خنت ثقتي فيك، كسرتني مرتين
مرة لما خنتني مع الكلبة دي ومرة ثانية لما صورت كل اللي
حصل وإخترعت عليا المسلسل اللي واقف تكمله عشان يكون
في حجة مقنعة لجوزك منها، وقتلتني لما خلّتي أشوف كل دا
بعيوني...

حاوط ذراعيها بيديه قائلاً بتبرير:

_كل دا مش صحيح يا "ريم" صدقيني أنا آ...

قطعت كلماته بصراخها العالي حينما دفشته بعصبية بالغة
وكأن تيار كهربى مس جسدها:

_متلمسنيش.... خلاص كل اللي بينا إنتهى وبحمد ربنا إني
لسه على البر...

جحظت عينيه صدمة من ردة فعلها الغير متوقعة، فقالت بقوةٍ
عجيبة:

_والوقتي بعد الشو الجميل دا..... طلقتني...

بحث بعينها عن شيء كان يأمل برؤياه ولكنه لم يجد سوى
الخدلان، فقال بثبات:

_طلاق!، إعتبري الحل دا مش موجود في قاموس إختياراتك

يا "ريم..."

خرجت عن سيطرتها لتصرخ بغضبٍ لا مثيل له:
_وأيهِ الاختيارات إني أكون على ذمة خاين زيك وأشوفك
بتتجوز الزبالة دي...!!

ظلت نظراته متركزة عليها بثباتٍ جعلها تتمرّد فأقتربت لتقف
قريباً منه، هامسة بصوتٍ مخيفٍ عن ما يدور بداخلها من
نيران تكاد تحرقها:

_دا بعدك يا "سليم"، هتطلقني برضاك أو غصب عنك
ومتساش أنا مين وأخت مين فبلاش تحط نفسك
بمواجهة "مراد" أو "رحيم..."

إبتسم بسخرية، فرفع حاجبيه بأستتكار:
_الله بقينا بنعترف بيهم أهو، شابو حبيبتي بس للأسف أنا
مبتهددش واللي عندك وعندهم يعملوه، أنت ملكي سواء
قبلتي أو رفضتي....

إشتعلت غضبٍ منه، كيف تتحمل خيانتَه، يقف أمامها
ويخبرها بزواجه بمنتهى البرود ويضيف بأنها ملكه بعد ما
فعله، إستغل شرودها وإقترّب منها بهدوءٍ بدأ يتسرب إليه:
_"ريم" بلاش تظلميني وتدخلينا في طريق هيهد كل حاجة
حلوة بينا، أنا مكنتش واعي صدقيني دي الحقيقة..."

ثم رفع يديه على وجهها بلمسة حنونة تلتمس عودة الحب
فيما بينهما:

_أنا محبتش غيرك، طول عمري وأنا شايفك ليا، خالكِ
جانبي لحد ما نعلي مع بعض...
دفعته يديه بعيداً عنها قائلة بسخط:
_بتحلم...

ثم قالت بعصبية:
_الحب دا كله أتهد في اللحظة اللي الفيديو دا إشتغل، كل اللي
جوايا هو الكره، فياريت تطلقني بمنتهى الهدوء وكل واحد
يروح لحال سبيله...
تملكه الغضب لسماع تلك الكلمة السهلة بالنطق بالنسبة لها
ولكنها تقتله بالبطيء فقال بثبات يعجبه القسوة:
_قولتك مش هطلقك، هتكلمي معايا مفيش إختيارات تانية
ليكي يا "ريم.."

بحثت حولها بنيران تشتعل بعقلها وجسدها وكأنها مجردة من
الفكر، وجدت غايتها فقالت بحقد:
_لا عندي إختيار أخير..

وجذبت جزء من المرأة المكسور أرضاً لترفع معصمها ثم
أغلقت عينيها ومررتها بسرعة كبيرة جعلتها بذهول من عدم

توجعها، فتحت عينيها لتجده يقف أمامها بخوفٍ ويديه تنزف
بغزارة بعد أن أصيب كف يديه وهو يفادي أوردتها، رؤيتها
لدمائه جعلتها تحرر أصابعها من حول قطعة المرأة فسقطت
أرضاً، إحتضنت فمها تكبت شهقاته بصعوبة، تماسكت بذاتها
وربطت على قلبها باللا تقترب منه فجذبت حقيبة يدها
الموضوعة أرضاً ثم هرولت للأسفل...

"_ريم...!"

صرخ بأسمها فلحق بها للأسفل بخطواتٍ سريعة، وجدها تكاد
بالصعود لسيارتها فأمسك معصمها قائلاً بصوتٍ بح بآنين:

_مش هسمحك تبعدني عني فاهمة..

رفعت عينيها المنكسرة إليه بعدما تمكن منها ألم الخيانة
ليجعلها هزيلة فقالت بدموع لحقت بها لتخفف حدة تنفسها:

_إنت مش بعدتني يا "سليم" أنت قتلتني..

حرر أصابعه من حول معصمها وهو يراها بتلك الحالة
البائسة، صعدت لسيارتها لتقودها بسرعة كبيرة وكأنها تهرب
من نظراته التي تتخيلاها تلاحقها، ظل محله بمنتصف الزقاق
يتابع سيارتها بنظرات ألم وهو يتذكر دموعها المنكسرة..!

آخر شخص توقعه يجلس أمامه، عقله توقف بشكلٍ نهائي عن

العمل، بالكاد كسر حالة التصلب المسيطرة على جسده ليقترّب قليلاً منه، نهض "رحيم" عن مقعده ليقترّب منه هو الآخر ببسمة غامضة تحتل ثغره، وضع يديه بجيوب جاكيتيه ليبدأ بقول:

__أكثر حاجة مستغربها إنك متخيل إن "رحيم زيدان" مش هيحس بوجودك بقصره وأنت اللي ليك الفضل بنقطة التحول بقصته...!

إبتسم "طلعت" وقال بمكر:

__كنت عارف إن الموضوع مش هيطول معاك يا "رحيم.."
رفع حاجبيه بسخط:

__موضوعك ولا موضوع "عمران.."

لم يتفاجأ بمعرفته للحقائق المخفية عنه بل إزدادت بسمته تفاخر والصمت حائل على الطرفين وكأن العينين تتحدثان بإشارة خفية...!

رأته يجلس على الأريكة بردهة القصر، ولجواره كان يجلس العم "مصطفى"، لا تعلم لما تمكن منها الخوف وكأنها تشعر بشيئاً ما، تمسكت حنين بيديه وكأنها تستمد القوة المفقودة بداخلها، فربما إعتراها الشك بمعرفة سبب قدوم أبيها، جلست

جوار "مراد" وترقبت بصمتٍ ما سيحدث ويالتها ما إستمعت
لما يقال....

بمكانٍ آخر بعيداً عن مطاف مملكة عائلة "زيدان.."
نفث غيلونه بأنتشاء وهو يتابع المعلومات الجديدة عن عدوه
اللدود، إرتعب الراوي فتوقف عن الحديث حينما وجده
صامتٍ، أشار له بأصبعيه ليسترسل حديثه:
_البنت دي هي نقطة ضعف "رحيم زيدان"، هي الوحيدة اللي
تقدر تجيبه راعع على رجليه وأكيد هيحرر "عمران" بيه
بدون تردد..

إبتسامة عجت بالشرار ولعنة الشيطان تتمكن من عينيه
المخيفة ولكن ربما هناك حلقة مفقودة بعد مصيرها بيد
الجوكر المزعوم، ولكن ماذا لو كانت نقطة تحول بحياة
"شجن"؟!...

الفصل الثامن (الجزء الثاني)

حديث ماكر مسطر بحرافية خلف سطور خبيثة يخفي حديثه الغير مباشر بما يقال، إلتمس "مراد" ما يود قوله منذ بداية حديثه ولكنه فضل الصمت لإستكشافه عن قرب، ختم حديثه بجملة صفت "حنين" بقوة لتجعلها تستوعب ما يقصده:
_ كان لأزم أجيلك لحد هنا عشان أشكرك بنفسي على كل اللي عملته لبنتي، "مصطفى" فعلاً كان معاه حق محدش يقدر يحميها غيرك..

بنظراتٍ واثقة تتعمق بعينه الخبيثة فقال بمكرٍ يفوقه:
_ بتشكرني عشان بحمي مراتي..
إبتسامته الساخرة التي إحتلت ثغره أكدت لـ "حنين" ظنونها وخاصة حينما بادر بقول:
_ أعتقد إن موضوع مراتك والكلام دا معروف آخره، حمايتك لحنين كان رد جميل "لمصطفى" ، ولا ايه؟...!
بدت ملامح الجوكر أكثر ثباتاً وكأنه لم يكن متفاجئاً بحديثه، فسأله مباشرة:
_ أنت عايز تقول أيه؟...

أجابه والدها بصوتٍ قد رفع لهجته قليلاً:
_عايز أقول إن خلاص الشر اللي كنت بتحميها منه إنتهى
يعني أديت مهمتك على أكمل وجه، وجيه الوقت اللي بنتي
ترجع معايا بيتها...

_بنتك...!

كلمة قالتها "حنين" تحملها الذهول برداء ممزق ليوضح ما
يخفي خلفها من معالم مصعوقة لما تستمع إليه، فقالت
بسخرية:

_دلوقتي عرفت إني بنتك وعندي بيت ولازم أرجعله؟...!
كان فين كل دا وأنا بتتقل من مكان لمكان...!
كان فين كل دا وأنا بشوفك مرة كل سنتين وبتكلمني كل سنة
مكالمة تتطمئن فيها إني لسه عايشة...
أجابها بحزم وكأنه يصدق ما يتفوه به:!
_كنت بحميك...

ردت عليه بمجابهة:

_كنت بتحمي نفسك مش بتحميني...
إنك مشيت ملامحه بصدمةٍ من كلماتها، فأسترسلت ما قالتها
ببسمة ألم:

_كنت خايف الأملاك دي تكون سبب موتك فكتبت كل شيء

بأسمي وأنت عارف إني هواجه حقد ولاد أخوك وخطاهم،
كنت بتضمن لنفسك الحياة مقابل إنك تعرضني للخطر وعشان
ترضي ضميرك كنت بتحاول تغطي لي حماية..

ورفعت أصبعها أمام وجهه بدموع أزاحت تحجرهما:
_محاولتش ولو لمرة تستغل منصبك وترميهم بالحبس بأي
تهمة لأنك كنت خايف يحصل جلبة ويعرفوا أيه سر ورا جمع
الثروة العظيمة دي ودلوقتي بعد ما خلاص مبقاش ليك أعداء
جاي تسأل على بنتك وتأخذها كادو بالمرّة فوق إنتصاراتك
المرضية...

تغلب الغضب منه فنهض عن مقعده ليقف أمامها بعصبية
جعلت صوته كالبركان:
_أنت أكيد إتجننتي ودماعك محتاجة تتعدل من أول وجديد..
وجذبها من معصمها بقوة ألماتها، قائلاً بأصرار:
_لينا بيت نتكلم فيه..

قالت بألم وهي تحاول تخليص معصمها:
_أنت هنا في بيتي وماليش غيره...
تصلبت عروق ذراعيه، فرفعت عنها رغماً، وكأن هناك قوة
مغناطسية تجذبه بقوة إستمدته كالهزيل، رفع عينيه بصعوبة
ليجده يقف مقابله يعصر معصمه بقبضة يديه القاتلة، ليدفعها

للخلف فأمسك بها يتفحصها بألم، وقف "مراد" أمامه
ليستطرد بقول:

__ شيطانك مصورك إنك هتدخل بيتي وتعمل كل دا وهسيبك
تخرج معها بمنتهى البساطة...!
حاول أن يستقيم بوقفته متجاهلاً "مصطفى" صديقه الذي
يحاول تفحص يديه:

__ دي بنتي فوق لنفسك ومتنساش إنت بتكلم مين؟
إبتسم ببرود ليقطع المسافة بينهما حتى صارت منعدمة لدرجة
جعلت والدها يبتلع ريقه برعب وهو يرى فارق الطول
والعرض بينهما رغم ذرعه المصاب، خلاف ذلك يعلم جيداً
بسجلات ضخمة كناية الجوكر الموقر، تجاهل رائحة الخوف
التي تتصّبب مع عرق جبينه وقال بكبرياء جعل قلبها يطرب
عشقي وفرحة لشعورها بأنتمائها إليه أخيراً:
__ وحرّم "مراد زيدان" اللي أنت واقف على أرض مملكته
وممكن بأشارة واحدة يمحيك أنت وحرصك من على وش
الأرض ومش بمساعدة حد...
ورفع ذرعه ليكورها بقوة أرهبته ليستكمل حديثه:
__ بدراعه...

جذبه "مصطفى" من كتفيه ليحثه على الخروج معه، إنصاع

له ليس لرغبته بالإنسحاب ولكن لطوفان الخوف الذي نبض
بداخله فور سماع كلمات إبنته المقترنة بالحقيقة ورؤيته
للجانب المظلم من نفوذ "مراد زيدان"، خرج ليتباعد قليلاً ثم
تخفى بشكلٍ كلياً حينما صعد لسيارته، تنفست بحرية وكأن
هناك من كان يحجب عنها الهواء فكيف كانت ستتنفس وهي
تخشى أن تبتعد عنه، تخشى أن يتخلى عنها رغم أنها تعلم
بأنه من المحال أن يتركها، لطالما عاشت بأختيارات صعبة
بين كونه يحبها أم يحافظ على وعده بحمايتها ولكن فور
جعلها زوجة له قولاً وفعلاً صارت على تأكد بأنه يحبها
ويريدها لجواره، سحب نظراته عن باب الخروج ليتجه إليها،
منحته بسملة صغيرة شاحبة ثم إرتمت بأحضانها بانكسار
لمواجهة أبيها بحقيقته فكانت تحرص على عدم التصريح له
أبداً وتعامله بصورة طبيعية لإقناعها بأنها تعامل الله وليس
هو ولكنه الآن يريد أن يدمرها بأبتعادها عن من أحببته
بصدق....

ما زال يقف كلاً منهما أمام الآخر، يلقي كلماتٍ خبيثة والآخر
ليس أقل منه، يعلم قوانين اللعبة ومفاتيحها السرية، إستنزف
غضبه حينما ادعى الدردشة الفضولية وسط حديثهم المطول:

_وجودي مع "عمران" مكنش سجن بمعنى الكلمة، يعني

كانت بتوصلني أخبار عنك وعن أخوك باستمرار..

رفع "رحيم" حاجبيه بسخط، فتساءل ببرود:

_أتمنى أخباري تكون إستحوذت على إعجابك..

يعلم كلاً منهما ما يتعمق بعقل الآخر، جز "طلعت" على
أسنانه بغضبٍ كبته حينما وقف أمامه ليخرج حديثه الموزون
فهو لا يريد نشب الصراع فيما بينهما ولكن يريد البوح عما
يضيق ب صدره:

_لا عجبتي وشوفت إن تعاليمي ليك جابت نتيجة الا في
حاجة واحدة..

ضيق عينيه الزيتونية بهالة الغضب التي بدت بالسيطرة
عليه، فأستكمل "طلعت" حديثه:

_حذرتك ألف مرة ما تدخلش البنت اللي كانت السبب في
دمارك حياتك، وأنت عملت أيه؟....

أبيضت يديه أثر قبضته القوية المتكورة، يقسم بداخله إنه لو
لم يكن والده لحرص على قتله بيديه، جز على أسنانه بعصبية
بالغة فخرج صوته المتعصب:

_متكلمش عنها..

قطعه بحدة وبلهجة مختنقة:

لا هجيب، افكر كويس أنا قولتلك أنا قولتلك أيه أول ما
خرجتك من الزفت السجن دا وجابتك هنا، قولتلك إنسى حياتك
اللي عشتها قبل كدا وأبدأ حياتك بالطريقة اللي تليق بأبن
"طلعت زيدان" ، بس أنت لحد النهاردة زي مانت بتحاول
تبرز شخصية "رحيم زيدان" الوجه الخارجي، البنت دي
طول ما هي في حياتك هتبقى ضعفك اللي محدش قدر يمسه
عليك طول السنين دي كلها، وزى ما كانت السبب في دخولك
السجن قبل كدا هتكون السبب في نهايتك وآ..
بترت كلماته حينما هوى "رحيم" بكلمة قوية بزجاج المرأة
من أمامه ليحذره بعنف:

قولتلك متجيش سيرتها على لسانك...
خشى أن يفقد المسافات فيما بينهما، فالتقط أنفاسه بهدوء ثم
قال:

أعمل اللي انت عايزه بس المهم ترجع العيلة دي زي ما
كانت وياريت محدش يعرف إني عايش..
أكيد هعمل اللي أنا عايزه مش إختياري ليك، ثانياً العيلة
اللي انت متعرفش معناها دي ميهمهاش إنك عايش ولا ميت
لأنك نجحت في كل مخططاتك يا باشا..
تفوه بالكلمات الساخرة وهو يتوجه للخروج من الدرج السري

أسفل القصر، تعلقت نظرات "طلعت" بالفراغ لتصبح ملامحه
مهمومة للغاية، شعر بحركة غريبة بأحد الأركان، فتوجه
للباب السري المستقيم تجاه الحائط الأخير ليجد والدته السيدة
"عظيمة" تقف جوار الخادم الحامل للطعام، إتكأت على
عصاها الذهبية حتى جلست على أحد المقاعد، تعابير وجهها
جعلته يفطن سماعها لما حدث بينه وبين "رحيم"، فقال
بشكوى:

__سمعتي بيكلمني إزاي! ، وأنا اللي متوقع إنه هيفرح إني
لسه عايش..

رسمت بسمه خافته على وجه السيدة الوقورة ذو الكلمات
المختصرة والظهور بالعائلة القليل فقالت بحكمة:

__عارف ليه يا "طلعت" أنا بقضي أغلب وقتي بره مصر؟..
أجابها بهدوء:

__أكيد عشان تزوري المقابر، مهو بعد وفاة بابا ودفنه
بأيطاليا أنت بتقضي أغلب وقتك هناك عشان تكوني جابنه..
أجابته ببسمه ساخرة مؤلمة:

__أنا محبتوش وهو حي عشان أكون أجنبه وهو ميت..
إنزوت عينيه بذهول من حديثها، فأستطردت حديثها بنفس
تلك البسمه:

السبب اللي بيخليني أبعد يا ابني إني عشت في البيت دا
وشوفت بعيوني كرهكم لأبوكم وتحكمه فيكم، وبعد ما مات
شوفت بعيونكم فرحة لحرية إتحرمت منها لسنين عشان كدا
مكنتش بحاول أقيدكم وبالذات احفادي ففضلت أكون بعيدة
وأسيبهم يعيشوا الحياة اللي هما اختاروها..

ثم نهضت عن المقعد لتشير له بعصاها قبل رحيلها:
_ أنت بدل ما تفرح بحريتك دي قلبت نسخة منه ورجعت
تتحكم زيه بالضبط وبعد كدا "رحيم" اللي أنت صنعتة بأيديك...
وتركتة مصعوقاً من كلماتها الصافعة لروحه وغادرت، فربما
بأعادته للماضي يسترجع شيئاً فقدّه بذاته...

بمعاونته تمكن من الهرب من محاصرة قطاع الطرق، قاد
سيارته خلف سيارة "جان" وكأنه يتبع دربه دون أي وجهة
منه، توقفت أمام نهر النيل ثم هبط منها فأوقف "ريان"
سيارته هو الآخر ثم هبط ليستند كلاً منهما على سيارته،
الصباح كان على المشارف، وشروق الشمس بدى بخطوطه
الذهبية، حالة الصمت بينهما كمت الأفواه، ما بين تأنيب
ضمير تجاه رؤيته يعاني وكبته لشيء يسعده وما بين
الانتظار للتأكد من ندمه تجاه ما حدث، فبدى بالحديث قائلاً:

كنت فاكِر إنك هتشتت والحوارات دي بس شايفك بأَس كدا
وعايز تضيع فرصة الشماتة..

لاحت على وجه "جان" بسمة وجع ليستدير إليه برأسه:
شماتة فيك أنت...!!

هز رأسه بتأكيد فقال الآخر بقهر:
أنا عقلي مفهوش مكان للتفكير بشماتة ليك أو فرحة ليا كل
اللي بيحاوطني ذكريات وصور لموت "خالد"، ذكريات بتنغز
قلبي..

ثم اشار له بإختناق:
أوقات بحس إني مش قادر أتنفس وأوقات تانية بخاف
أموت وأنا شايل ذنب كبير كدا، كان نفسي يسامحني أو على
الأقل أبرله...

رفع يديه على كتفيه ليزيح رابطة لسانه، قائلاً بثبات:
سامحك..

رنت كلماته على مسمعها كالمياه التي زارت قرية تغلبها
القحط لسنوات، فأعتدل بوقفته ليتطلع له بعينين غائرتين
بالدموع، هز "ريان" كتفيه ببسمة هادئة:

كان نفسك تعرف "خالد" قالي أيه قبل ما يموت والوقتي
عرفت...

شُلَّ لسانه عن الحديث، وعجزت قدميه عن الحركة وكأنه لا
يستوعب ما يقال، مرت الدقائق وما زال يقف محله إلى أن
تحركت قدميه تجاه سيارته بدموع فأوقفه "ريان" بأستغراب:
_ على فين؟..

أجابه بعينين تدمعان:

_ مشوار لازم أعمله وأوعدك إنك زي ما أنت فرحتي دلوقتي
أنا كمان هكون سبب فرحتك قريب..

وتركه وصعد لسيارته ليغادر سريعاً لمخزنه السري الذي
يضع به "إياد"، يشعر بالسعادة ونبعها حكمة غريبة ولدت
بداخله، حينما مد يديه لمعاونة شخص منكسر أتى من رمم
روحه الممزقة وضمد فؤاده المكسور، وصل "جان" بعد نصف
ساعة قضاها بالطريق وقد بدأت الشمس بأستلام عرشها
الصباحي، ولج للداخل بعد أن ترك سيارته بالخارج لرجاله،
ليقشعر جسده فرحة حينما رأى "إياد" خاشع على سجادة
الصلاة، نعم يبدو جسده هزيل بعض الشيء، ذقنه نامية
للغاية، هيئته توحى بشدة بلائه بمحاربة هذا السم القاتل
ولكنه بالنهاية يتحول لإنسان!!

إنسان يملك الحق بعيش الحياة التي سلبت منه، دمعت عين
"جان" كانت كاسر ليوم يقضيه بفتح أبواب مغلقة من أمامه

ليجعله يتقين بأن الله عز وجل يقف لجواره، يريد به بطريق عبادته، يريد به بالتوبة، يدفعه بالقدوم لبابه، يريه من آياته تفاصيل تشكل بواقعه، إنتهى "إياد" من صلاته، فنهض يللم سجداته بحرصٍ وكأنها شيئاً ثمين، وضعها على حافة المقعد المتهاالك ثم إستدار ليجد "جان" مقابله، تعجب للغاية حينما إحتضنه "جان" بقوة وحماس ليردد بكلماتٍ غير منتظمة:

"_خالد" سامحني يا "إياد"، أنا كنت مغفل لما خبيت عنه كل حاجه بس الحمد لله "ريان" قالي إنه كان مسامحني كل دا بسببك وبسبب وقفتي جانبك..

رسم على ثغره بسمه واهنة، ثم قال بضعفٍ:

_ربنا يريح بالك..

ثم تحرك للفراش بخطواتٍ ثقيلة فيبدو أنه لم يتعافى كلياً بعد، إرتشف حبة من المسكن الموضوع جواره ثم تمدد قليلاً، فباغته بسؤال:

_ليه مش شايفك فرحان بتحسنتك؟...

أجابه بإنكسار:

_أنت ساعدتني أتغير وإتغيرت فعلاً بس فين الحياة اللي

هواجهها!!، أنا خلاص إنتهيت وأخذت اللي ليا..

جلس "جان" جواره ليردد بأبتسامة عذباء:

__إستقبالك لحياة جديدة بتبدأ من نفسك الأول وبعدين من اللي
حوالك، لبسك، طريقتك، صحابك اللي وصلوك لهنأ، ودا
ميمنعش إنك تحاول تصلح في ماضيك على قد ما تقدر عشان
تقدر تعيش بدون تأنيب ضمير..

حديثه عن الماضي دفعه جذرياً بذكریات مرتبطة بتلك الفتاة،
"صباح" ، لا يعلم ما الذي حدث معها أو أي معلومة صغيرة
عنها منذ دخوله لهذا المكان، أشار له بلهفة:

__أنت ممكن تساعدني في حاجة؟..

أجابه "جان" بمصداقية:

__أكيد..

رنين هاتفه المزعج جعله مرغم على رفعه، يعلم بأنها هي
ويعلم أيضاً بأستخدامها لعدة أرقام مختلفة حتى لا يغلق
الهاتف بوجهها، رفع "سليم" هاتفه بغضبٍ شديد ليصرخ
بغنف:

__لسه عايزة أیه؟!..

أتاه صوت "هنا" المدعي للدموع والحزن الزائف:

__عايزاك يا "سليم"، عايزة اتكلم معاك في موضوع مهم..
ضغط على رأسه بقوة وهو يلکم مقود سيارته التي تصف

اسفل نافذة غرفة "ريم":

__مفیش كلام هیجمعنا ازید من توقيع علی ورقة وبعد کدا کل
واحد یروح لحاله..
أجابته برقة مصطنعة:

__مش هینفع لأنی حامل ودا الی كنت عایزة أقولهلوك..
جف حلقه من فرط صدمته الکبيرة ومع ذلك حاول إستجماع
کافة قواه للحديث:

__وحقیقة حملك مش هتغیر حاجة فیاریت توفري مجهودك
العظیم...

وأغلق هاتفه لینحني برأسه علی مقود السیارة بأستسلام
للکوارث الی احاطت به، ولكنه تفاجئ بطرقات خفیفة علی
نافذة سيارته، رفع رأسه لیجده یقف أمامه لیشير له بیديه
بحدة:

__إنزل، عایزك..

زفر بضیق فما كان ینقصه مواجھته بذاك الوقت الذی
یستضعفه، وأی مواجھة ستكون أصعب من مواجھة. "رحیم
زیدان"؟!!!

الفصل التاسع

غرفة مكتبه الغريبة تنتثر شكوك بالنفوس التي تحيط بحوائطها، ألوانها القاتمة ومحتوياتها الجلدية تجعل الجسد يرتجف وكأنه يقف بخضام الموت البارد!، ورغم ذلك كان يقف هذا التعيس غير عابئ بأحاسيس تخلق بوجوده بمكانٍ مثل هذا، ترقبه "رحيم" بنظراتٍ مثلجة، تحتبس محتواها بداخل كتلة الجليد المتشكلة بزيتونية عيناه المتصلبة، طرق بقلمه على سطح مكتبه لعله يعيد إنتباهه إليه، إرتمى "سليم" على المقعد المقابل له، وكأن سماعه لتلك الطرقات حركت الريموت الكنترول المتحكم به، فهمس بأرهاب:
" _رحيم" أرجوك أنا مش قادر أتكلم في حاجة...
حرك مقعده المتحرك بحركة دائرية وهو يعبث بقلمه الباهظ، ففتح باب مكتبه لينتشر الصوت الراغب بوجوده بذات الوقت بالتحديد بالمكان:

_أنت اللي عملت في نفسك كدا يا "سليم.."
إستدار تجاه الباب فوجد "مراد"، يذلف للداخل ببطءٍ يتناسب مع حركة كتفيه المصاب، ليقف من أمامه، مرور يديه بقوة

على جبينه وكأنه يحاول تخفيف ألم رأسه المؤلم من فرط تفكيره الذي لا يتوقف فقال:

وأيه اللي كان المفروض يتعمل؟...

تملك الغضب "مراد" وهو يراه ينكر خطأه المرتكب، فصاح بنبرته الخشنة الثائرة:

_أي حل بعيد إنك تتجوز البنت دي على أختي...!

أحنى رأسه أرضاً بتعبٍ شديد:

"_مراد" انت مش فاهم حاجة..._

رد عليه بعصبية بالغة:

فهمني أنت مدام أنا مش فاهم...

نهض عن محله ليزفر بضيق:

أنا بجد راجع تعبان ومش قادر اقف عن إذنك..

كاد بمغادرة الغرفة ولكنه توقف حينما ازدادت لهجة "مراد" حدة:

"_سليم" اخر قرار تفكر فيه هو جوازك من البنت دي، مش هسمحك تتجوز على أختي لاي سبب من الأسباب ولو مصر على رأيك يبقى تطلقها وحالاً..._

إشتدت الاجواء بينهما، ومنطقة الهدوء تكمن بمجلس "رحيم زيدان" الذي يتابع حديثهم بصمتٍ قاتل، بسمته الجانبية كانت

أشد خطورة من سكونه العجيب، تجاهل "سليم" حديثه وصعد
للأعلى بخطواتٍ سريعة، فليس بالحالة المناسبة لنقاش
موضوع هكذا معه، جلس "مراد" على أحد المقاعد المقابلة
لمكتب "رحيم"، فأعتدل الأخير بجلسته ليترك القلم عن يديه
موجهاً حديثه المهتم إليه:

__ إرتحت لما طلعت الكلمتين اللي جواك؟...

أجابه بغيظ بدى بتذبذب أسنانه ببعضهم البعض:

__ أنت مشفتش حالة "ريم" عشان كدا بتتكلم بالبرود دا..
أجابه ببسمة هادئة:

__ بس شايف حالة "سليم" وعارف هو بيفكر إزاي؟..
أشار له بوجهه بعدم إهتمام:

__ مش هتفرق كثير..

تجاهل "رحيم" كلماته البائسة ثم قال متسائلاً:

__ عملت أيه مع والد "حنين"؟..

أجابه ببسمة ساخرة وهو يتفقد ساعة يديه التي أنارت
بإشارة حمراء عرف مكنونها:

__ لحد دلوقتي مجرد تهديد لكن لو أخذ اي خطوة مش هيلاقى
غير ردة الفعل...

رفع حاجبيه بسخرية وهو يجيبه:

معتقدش بعد الكلام اللي قولته يتجراً ويعمل حاجة..
حاول تحريك ذراعيه المصاب قليلاً لعله يشعر ببعض
الإرتياح، قائلاً بخشونة تخفي ألمه أثر تحريك يديه:
ولو عمل يبقى هو الجاني على نفسه، أنا عارف من الأول
ثروته دي وراها أيه؟!..!

تابعه "رحيم" جيداً وهو يعيد فرد ذراعيه المتحجر بتماسك
كبير بالسيطرة على معالم وجهه، فاستطرد "مراد" بسؤالٍ
متعجب:

بس مقولتليش أيه سبب تبديل مكان "عمران" المتكرر دا..
صرير مقعده أصدر صوتٍ مزعج وهو يدفعه للخلف ليقترّب
من النافذة، يتفحص الحرس من الخارج:
شاكك أن في حد وراه وبيساعده وبحاول أعرف هو مين
بس "حازم" موصلش لحاجة مهمة..
ضيق عينيه بأستغراب، فباغته بسؤالٍ آخر يرفرف براية
الذهول:

حد زي مين!..!

إستدار رأسه تجاهه ليجيب بهدوء:

مش عارف بس عندي شك كبير إنه تبع شغلنا والا مكنش
هيعرف عن المهمة اللي طلعتها كدا، دي معلومات سرية

ومش أي حد يعرفها..

إستحوذ على تفكير الآخر كلماته، فهمس بشروء:

__ وهو نفسه الشخص اللي حطنا بمهمة واحدة عشان يحقق هدفه، نخلص على بعض ويخلاله الجو أكيد الشخص دا مركز كبير مش أي حد..

أشار له "رحيم" ببسمة خبيثة:

__ قائمة الأعداء بتتكاثر مش بتقل..

إبتسامة مأكرة طافت وجه الجوكر الوسيم ليحييه بلا مبالاة:

__ وفيها أيه أحنا مورناش حاجة...

فتحت باب غرفة المكتب لتحذجه بنظراتٍ نارية، فأشار له

"رحيم" بعينه تجاهها، متعمداً بث السخرية بحديثه:

__ وراك الأهم..

استدار تجاه ما يشير ليجد نظراتها لا تنذر بالخير، ولجت للداخل بغضبها الطفولي، لتقترب من مقعده ومن ثم رفعت معصم يديه تجاه وجهه حتى كادت يديه بأقحام بؤبؤ عينيه، لتستمر بالحديث المتكرر بصورة مفاجئة وهي تعيد الضغط

على زر الإرسال بساعة يدها:

__ إشارة دي ولا مش إشارة؟!..

بتتور ولا مبتتورش؟!..!

شغالة ولا واقفة؟!..

كاد بالحديث فأوقفته "حنين" بحديثها المتواصل:

شغالة، والبيه قالي أنا جانبك يا حبيبتي مش هسيبك ثانية يا حبيبتي، ريحي يا حبيبتي، وأطلبني اللي تحبيه يا حبيبتي بس متحركيش، وأول ما أطلب كوبية مية فلسع...

فلسع...!!!

كلمة متطفلة ردها "رحيم زيدان" بصدمة، وهو يتابع حوارها الشبه جنوني، تحركت رؤسهم تجاه صوته، فرفع يديه بصورة مضحكة قائلاً:

أسف على المقاطعة كملني كملني..

عادت للتطلع إليه من جديد قائلة بضيق، وكأنها كانت تستريح قليلاً بالفاصل الصغير التابع لـ "رحيم:"

_قولتلي هعملك عصير التوت المفضل عندي كل ما هتفتحي التلاجة هتلاقي من يوم ما إتخط السم مشفتش كوبية واحدة حتى يا شيخ دا أنا واحدة إتصدمت في أبوها الحيلة مفكرتش تعملي كوبية تبل المرار اللي كشفته عن الراجل دا وآآ... بترت كلماتها وإحتبست أنفاسها حينما كمم "مراد" فمها ليصرخ بوجهها بصدمة:

_هو لسه في وآ، أنا كمان شوية وهيجيلي تصلب في

الشرابين...

ثم قال بعصية:

وبعدين دي دخلة...!

أشاحت يده بعيداً ثم قالت بعصية:

__أمال أدخلك إزاي في وقت متأخر زي دا وأنت سايب بيتك
ومراتك ونازل أقعد مع عدوك اللي في أيام بقى أخوك
وصاحبك وربنا يستر بعد اللي شوفته معتقدش إنه هيعدي
بلاويك السوداء بالساهل كدا وشكلك هتحصل ابن عمي
وهتأرمل أنا..

عبس "رحيم" بعينه بذهول:

__هتأ أيه؟!..

__إتنقلت الوجوه إليه من جديد فقال بمكر:

__أسف مرة ثانية..

وجذب جاكيتة الموضوع على مقعد مكتبه الرئيسي ليشير له
ببسمة ساخرة:

__هسيبك بقى تحل مشاكلك الجميلة دي وأشوفك

بكرا..تصبحوا على خير..

منحه بسمة مغتظة من بروده العجيب ثم عاد للتطلع
لـ"حنين" من جديد، ممرراً يديه على خصلات شعره بأنز عاج

من حديثها المتكرر، فجذب معصمها بغضب:

__بسسس إفصيلي شوية..

إستكأنت وكأئها تتصنع الخوف من صوته المرتفع، فعاد

ليكرر حديثه بضيق وهو يرقم لها على أصابع:

__حياتك كلها عبارة عن رغي، وقتك كله ضايع بدون عمل
هادف، مفيش في حياتك شيء مفيد بتعمليه، تقدري تقوليلي
على حاجة إيجابية بتعملها في حياتك؟...__

إبتلعت ريقها بأرتباك وهي تعيد تفكيرها بينها وبين ذاتها
فقالت بحزن مصطنع:

__هو أنت ليه حياتك كلها بتحسبها بالوقت، أكلك بالوقت،
نومك بالوقت، رياضة بالوقت، حتى الكلام يا جدع بالوقت
أمال هفضفض لمين..

رفع حاجبيه الأيسر بسخط:

__جدع..!!

فرك جبينه مروراً بأرنفة أنفه، ليكبت غضبه، فأشار لها بيديه
وعينيه مغلقة:

__تعالى يا "حنين" ، تعالى يا حبيبتي..

أسرعت لذراعه المفرد ببسمة ثقة:

__كنت عارفة إنك هتعتذر عن صوتك المرتفع للغاية..

ود لو إقتلع عنق تلك القصيرة التي ستفتك بعقله.. كنزه
الوحيد والذي يضمن له الهيبة، رآته صامت فأقترحت ببسمة
رقيقة:

_أيه رأيك نروح المطبخ وتعملي عصير التوت والنعناع
الفرش كنوع من المصالحة وأنا بعمل نفسي مسمحاك
وبتراضى بأقل حاجة..
إبتسم رغماً عنه فتلك الفتاة تسيطر على خلايا قلبه النابض
بعشقها، وبالفعل توجه معها للمطبخ بوقت متأخر هكذا،
ليعاونها على صنع المشروب المفضل إليهم ثم صعدوا
لجناحهم...

خلع "رحيم" بذلته ليرتدي ملابس أكثر راحة إليه، ثم خرج
لشرفته ليستنشق هواء توقيت الفجرية المحبب إليه، وقف
بزواية مائلة لتتركز عينيه على باب شرفتها الزجاجي، إقتبس
النظرات إليه فوجد الحركة ساكنة بالداخل، حاول منع قلبه من
منحه بأقتراحات مجنونة ولكنه إنتصر بالأخير فأتابعه ليقف
أمام شرفتها ومن ثم تسلل للداخل، ليجدها غافلة على
الفراش، شعرها الأسود يحيط الوسادة من حولها، نظرات
تعمقت بالتطلع لملامح وجهها ببسمة مذبذبة بحب لا مثيل له،

تشعر به وبوجوده فأدعت النوم وكأن قربه منها وإحساس
أمانه شيئاً محبب إليها، غلقت يده يديها وعينيها تتطلع
لوجهها الذي بات على يقين بأستيقاظها وخاصة بحمرة
الخجل المتوردة عليه، تقبلها لقربه كان سعادة كبيرة له، لا
يعلم كم من الوقت ظل يتأملها ولكن نهايته بطبع قبلة صغيرة
على أصابع يدها ثم غادر لغرفته، لتشرق البسمة على وجهها
وعينيها تتطلع لموضوع قبلته بأبتسامة ترسم على ثغرها...

ظلت "نغم" لجوارها، فكلاً منهما تحتاج للأخرى عن أي وقت
مر به من قبل، دموع إنكسارها جعلت "نغم" تأن بصمتٍ،
حاولت أن تعرف ما الذي يبكيها بوقتٍ هكذا ولكنها رفضت
الحديث وإستكفت بأن تغفل على قدميها والأخرى تمسد عليها
بحنانٍ بالغ...

خرجت الشمس من مطافها لتحتل منصبها الرفيع، تسالت
أشعتها لتزعج تلك الفتاة المشاكسة التي بدأت بفتح عينيها ثم
جذبت نظاراتها أولاً لترتيديها لتتمكن من الرؤية بشكل واضح،
واقفت "سما" تعدل من فستانها الجميل، المخالف تماماً
لنوعية ما ترتدي، فكانت تبدو مختلفة كلياً عن السابق،

تطلعت لذاتها بالمرآة بنظرة مطول، مذهولة بجمال ما إنتقت
لإرتدائه، نعم هواه القلب ويريده إلي مسكنه لذا تريد أن ترى
ذاتها جميلة حتى يراها بعينيها، ورغم تأنقها الا أنها لم تترك
نظاراتها أبداً....

رائحة البيض المخفوق بالسمن مع قطع السدق الطازج عبت
أرجاء القصر وإقتحمت اسوار قلبه لتعلن تمرد إعتياده على
الخضروات الصحية ليتبع حاسة الشم لديه وهو يهبط من
أعلى الدرج الداخلي، وجد والدته تحمل الأطباق وتضعها على
سفرة المنزل وتتابعها أجمل حلم تمناه يوم لتمنحه بسمة
جعلت قلبه يقفز من بين ضلوعه، أشارت له "نجلاء" بيدها:
_فطارك يا حبيبي...

بادلها البسمة بأشارة بسيطة من رأسها، فجذب الشوكة
والسكين الصغير وكاد بتقطيع البيض ولكنه توقف وهو يوزع
نظراته بين "شجن" خاصته ووالدته، ليتركها ويجذب قطع
الخبز الذي قسمه لرقائق صغيرة ليبدأ بتناول طعامه،
سعادة "نجلاء" كانت تغمر قلبها وهي ترى ابنها يعود تدريجياً
إلى ما إعتاد ان يكون عليه، رأت نظراتهم المتعلقة ببعضهم
البعض فأنسحبت للمطبخ بهدف إعداد كوب اللبن الساخن

إليه، فراغ القاعة من حولها جعلها تشعر برهبة وجوده
فكادت بملاحقتها ولكنها توقفت على لمسته الرجولية المحاطة
بكف يدها، تطلعت له بفم مفتوح فهمس ببسمة هادئة:
_تسلم إيدك..

إنكمشت ملامحها بذهول من تعرفه على طعامها رغم أن
"نجلاء" من حملت الطعام، إرتبكت أحرفها فبترت عن
الخروج، إستطرد حديثه ببسمة مأكرة:
_طلبك هيتحقق قريب يا عروسة..

لم تفهم مقصده ببدء الأمر ولكنها تذكرت طلبها لحفل زفاف
بسيط أمام المكان الذي جمع طفولتهم، إختلطت النظرات فيما
بينهما لدقائق مطولة، لم تواجه بهم الخوف قط، وجد مبتغاه
فشعر بالإرتياح لما سيقدم على فعله..

إخترق صوت "يوسف" القاعة وهو يدفع يد الحارس بعيداً
عنه ليصيح بعصبية مفرطة:

_قولتلك نزل إيدك بعيد عني بدل ما أقتطعها لك...

إنتبه له "رحيم"، فأشار للحارس بالإنصراف ثم تابع تناول
طعامه قائلاً دون النظر إليه:

_إقعد...

إقترب منه بغضب ليرفع صوته بضيق:

__قولتك مليون مرة بطل تجبني هنا بالطريقة البايخة دي أنا
مش شغال عندك..
أجابه ببرودٍ مستفز:
__فطرت؟..
__

كور يوسف يديه بغضب وأشجان تكبت ضحكاتهما على مظهره
المضحك، لتستحوذ على نظرات "رحيم" الشبه متمرده على
طباعه الغامضة، إقتربت منه لتربت على كتفيه بفرحة:
__والله كنت حاسه إني هشوفك النهاردة يا يوسف..
رمقها بحدة ليعلق:

__فرحانه على أيه؟!..
رفعه لنبرة صوته المازحة والغير قاصد للجدية بالمرّة جعلت
"رحيم" يثور بضيق:
__عندك، كلمها بأحترام..
لوى ثغره بسخرية:

__دي أختي حضرتك وأنا حر بتعاملي معاها..
ضغط على كلماته ببسمة باردة:
__مش في وجودي يا خفيف..
زفر "يوسف" بنفاذ صبر:

__الهم طولك يا روح أنت جاييني على الصبح ومسيبني

شغلي عشان نتكلم في الهيافة دي!!

أجابه وهو يستكمل تناول طعامه:

__ أنت هنا عشان تتجوز اما عن الطريقة اللي جبتك بيها فأنا

عارف كويس إنك مستحيل هتسبب شغلك وتيجي..

اعاد ما قال بسخرية:

__ أت... أيه معلشي مسمعتش كويس..

جذب كوب المياه ليرتشفه على مهلاً مشيراً لها بلطف ليترك

مساحة خاصة بالحديث الشبابي فيما بينهما:

__ ممكن لو مش هتقل عليكي تعملي قهوة..

إكتفت بأيماءة رأسها البسيطة بتفهم، فغادرت من أمام عينيه

وهو بتابعها بأهتمام كسره بسؤاله ذو اللهجة الثابتة:

__ هو أنا بعرض عليك عروسة!، بقولك هلمك بفرح وزفة

ونلم جو فيلم القبلات المسروقة دا..

صمت قليلاً ثم قال بحدية:

__ أيوا يا "رحيم" بس أنت عارف إني لسه مش جاهز، ولسه

قدامي فترة على ما أشتري شقة أو على الأقل أجدد شقتي..

قال وهو يلوك الطعام بفمه:

__ شقتك جاهزة ومفاتها مع الحارس اللي مستنيك بره..

سكن الغضب ملامح وجهه ليبدو ابشع مما قبل، فنهض عن

مقعده ليحده بنظرة نارية:

قولتك أنا م...

بتر حديثه قبل أن يستكملة:

_هتلاقي مع نفس الحارس وصل أمانة بتمناها هتوقعه

وهتدفع بالطريقة اللي تحبها..

صمت "يوسف" بعد سماعه الجزء الأخير فاعاد التفكير
لدقائق، ليقاطعه الآخر دون سماع إجابته فقال وهو يجفف
يديه بالمناديل الورقية:

_الفرح بعد أسبوع من دلوقتي جهز نفسك..

وتركه وتوجه لمكتبه ليستدير بتذكر:

_أه على فكرة في عريس هيكون معاك بنفس اليوم..

سأله بذهول:

_مين؟!..

غمز بعينه بمكر:

_واقف قدامك..

واستكمل طريقه لمكتبه بخطواته الواثقة، أما "يوسف" فغادر

للسيارة التي تنتظره وهو يسب ويلعن هذا الـ "رحيم زيدان"

الذي لا يعرف سقط عليه من أي وادي جحيم، حملت كوب

القهوة الساخن ثم طرقت على باب مكتبه وحينما إستمعت

لصوته العذب ولجت للداخل بخطواتها المرتبكة لشعورها
بنظراته المسلطة تجاهها وهي تقترب من مكتبه، وضعتها
بعيداً عنه ثم كادت بالخروج فقال:
_في حاجة حبيب أوريها لك..

استدارت بتوتر، فمنحها بسملة هادئة لينهض عن مقعده ثم
أدار جسدها تجاه الباب الجانبي، ليفتحه على مصراعيه لترى
مشجب كبير يحتل منتصف الغرفة، مغطاة بقطعة قماش
سوداء كبيرة، تملكها الفضول لرؤية ماذا يحمل بأسفله فقطعه
"رحيم" حينما حرر قماشه ليسقط أرضاً لتتضح معالم الجمال
من أمامها، بفستان أبيض مطرز بفصوص من الألماظ يسلب
القلب ويخطف الأنفاس، يضيق من أعلى الصدر ويهبط
بأتساع رهيب وكأنه مخصص لسندريلا الزمان وليس لفتاة
عادية، عقد لسانها عن الحديث ولكن ملامحها تأثرت بجمال
ما رأت فسألت بتلعثم:

_دا ليا؟..

أجابها بأبتسامة ترسم تليقائياً لرؤية فرحتها:
_أي حاجة عيونك هتيجي عليها ملكك..
إبتسمت بخجل ثم عادت للتطلع له من جديد، فأشار بعينه
تجاه الفستان:

__أيه رأيك تجربيه..
هزت رأسها بحماس:
__أكيد..

إبتسم بهدوئه وهو يحرره من على المشجب ليشير بأصابعه
للخادمة التي عاونتها على حمله لتدلف للغرفة المختصة
بمكتبه لترتيديه...

عيناها المتورمة جعلتها تشعر بصداغ يكاد يفتك برأسها،
تجاهلت رسائله، مكالمته، كل شيء خاص به، إعتزلت ذاتها
ورأت إنه حبس رحيم عن ما لفته بحقيقته البشعة، أتت
الخادمة لتخبرها بأن هناك فتاة تريد رؤيتها وتصمم على ذلك
بشدة، إنتباها فضول لمعرفة من القادم لرؤيتها، فهبطت
للقاعة الخارجية لرؤية من تلك الفتاة، كان "سليم" بطريقه
إلى غرفتها فرأها تهبط للأسفل فأسرع باتباعها، تحولت
ملاحم "ريم" الزابلة لغضب مصحوب بإنكسار حاولت جاهدة
إخفائه ولكنها لم تستطيع وخاصة حينما نهضت من تجلس
على الأريكة لتقف من أمام عينيها بمنتهى البرود فقالت
بغضب:

__أنت ليك عين تيجي لحد هنا وتقفى قدامي!!

تغذجت "هنا" بوقفها لتستميل غضبها قدر ما استطاعت ثم
طافتها بنظرة متفحصة ليخرج صوتها السام:
صعبتى عليا فجيت أفهمك الحقيقة كاملة..

رمقتها "ريم" بنظرة ساخطة، فردت عليها بأستكار:
_حقيقتك القدرة ولا حقيقة اللي عملتية عشان تستدرجى
"سليم" إنه يتجوزك!_

تعالى ضحكاتهما اللعينة، لتستقيم بوقفها فجأة بصورة مخيفة
ثم مسدت على بطنها بشكل مبالغ به، قائلة بتفاخر:
_لا يا حلوة حقيقة حملي هي اللي خلت "سليم" عايز
يتجوزنى وهيموت عليا.._

لم تعد المفاجآت تثير حافظة تعجبها، عليها أن تستقبل الأكثر
من خيانتة، هو جرحها وإستباح إنكسارها، فلم يفرق كثير إذا
أخفى عليها امر حملها، بدت ملامحها ساكنة ولكن ليت صوت
بكاء قلبها يسمع!_

أنتِ بتعملى أيه هنا؟!
إلتفت كلتاهما تجاه الصوت، فما كان سوى "سليم" يقف على
أعلى الدرج ويتطلع لها بنظرات كالشرار، لم يكن ظهوره
مخمن بحسبانها، تلبكت بوقفها بأرتباك لتجيبه ببسمة
مصطنعة:

كنت جاية عشان أشوفك مش بترد على الفون ليه، بصراحة
قلقت أوي عليك..

قالت كلماتها الأخيرة ونظراتها مركزة على "ريم" التي تنازع
لتحمل ما يحدث من أمام عينيها، جذبها بغضبٍ لتسحب
نظراتها عنها ليصرخ بها بجنون متجاهلاً امر حملها اللعين:
_وتقلقي عليا بتاع أيه قولتلك اللي بينا ورقة أقولك ايه تاني
عشان تحسي...!

قم حدجها بنظرة مقززة:

_أنا عمري ما شوفت بنت رخيصة زيك..

كادت بأجابته ولكن صوته بتر الأقاويل:

_أخرجي حالا من هنا والا وقسماً بالله ما هتعرفي تخرجي
على رجليكي ولا هيهمني اللي في بطنك..

إرتعبت من تهديده الصريح فطافت ريم بنظرة اخيرة ووضعت
يدها على بطنها بصورة مقززة وكأنها تمنحها مقارنة سريعة
أو تذكرها بخيانتة لها، خرجت بعدما حطمت آخر غرف قلبها
المتألم، لتتكسر تلك الهاشة لشظايا مؤلمة، أستغل وجودها
امامه فمئذ الأمس وهو يحاول التواصل معها، فقال بلهفة:

"_ريم" أنا آآ...

_مش عايزة أسمع صوووتك...

قالتها بصراخٍ باكي، بقهراً عزف أوتار الآنين ألوان، دموع
فحسب تخرج ما بداخلها من ألم، تربع الوجع بعينيه فأفترب
منها خطوة إضافية قائلاً برجاء:

"_ريم" عشان خاطري إديلي فرصة أشرحلك..
إبتسامة ساخطة رسمت على شفتيها لتجيبه بيأس:
_طلقتي يا "سليم".."

وإستكملت خطواتها المترنحة تجاه الدرج ولكن إرتخي
جسدها إستسلاماً لمعاناته، لترتطم بالأرض بقوة خلعت قلبه،
ليهرع إليها صارخاً بصوته كله:

"_ريــــــــــــــــم.."

توجه لغرفتها بعدما بعثت له برسالة تحثه على ذلك،
ولج "جان" ليجدها تجلس على أحد المقاعد القريبة من باب
الغرفة، فأسرع ليقف امامها، واضعاً يديه على وجهها بقلق:
_في أيه يا حبيبتي وأييه الحاجة المهمة اللي عايزاني فيها..
إنتقلت نظرات "سلمى" المرتبكة لشخص يقف من خلفه،
فأستدار "جان" ليجد والدته تقف من أمامه، حن لوهلة ولكنه
ارتدى قناع الضيق ليرفع صوته بغضب لزوجته:
_فهميني بتعمل أيه هنا؟!..!

شعور الإنتشاء مسيطر عليها، إحساسها بأنها ربحت معركة كانت شبه مستحيلة بالنسبة لها جعلها تتبخر بأبتساماتها المتلاحقة، قادت سيارته وهي لا ترى الطريق من أمامها، ترى فقط نوابع إنتصاراتها العظيمة، التي حققتها ضد "ريم" المنافسة القوية لقلب "سليم زيدان" التي تمنته يوماً بشغف، لدرجة جعلتها كالعمياء تقترف كل ما تفعله مناسباً، بغير إهتمام لما تقترفه من ذنبٍ فاحش او جريمة إنسانية بحقها كأنثى خلقت للحياء والخجل منبعها!!..

تملكها الغرور وظنت بأن ما بأحشائها هو الكارت الرابع لدخول مملكة "سليم زيدان"، رجفة باردة إحتضانتها ليسري ألم قوي بأنحاء جسدها وكأن هناك من يبتلعها ببراد من الثلج فأذا بالدماء تنساب من جسدها بأكمله حينما تفادت بسيارتها الإصطدام بشاحنة ضخمة فأصطدمت السيارة بسيارة أخرى تحمل أسياخ الحديد بصندوقها الخلفي، لترتطم بمقدمة السيارة به فيخترق جسدها بعضهم لترى مصيرها الآن برمة عينيها بعدما اعدت لذاتها خطة رائعة فرأت تدبير الخالق الذي تناسته تماماً وأصبح مراسها شاطيء واحد ماذا ستلاقاه حينما تقابله؟!!..

ماذا ستفعل جراء ما إرتكبت وملاك الموت يرفرف بجناحيه
على عتبة حياتها اللعينة؟!!
ماذا ستفعل؟!!!....

هناك لا ينفع سوى ما فعلته بصالح أعمالها وتاريخها محفل
بالذنوب والظلم وآخرهم ظلم "ريم..."
ربما نهاية لكل ظالم أثم ولكل شيطان رجيم...

الفصل العاشر

خرجت من خلف الستار، كالفراشة ذات الأجنحة البيضاء،
المحلقة بسماءٍ تنيرها الشمس ويغيبها قمر الليل الكحيل،
تغرد بحيائها على نغمة الخجل الموصود، أصابعها تفرك
بعضها بارتباكٍ يصاحبها أينما خطت خطوة تجاه، تراقبه
بطرف عينيها، كان يجلس على مقعد مكتبه، يترقب خروجها
بفستاتها الأبيض، صوت دقات قدميها كان يطرب قلبه بهسيسٍ
خافت، يحفزه على رفع عينيه تجاهها، حياة أم حيوات
أضافتها طالتها لعمره، التطلع لها كساقى النبذ الذي يشتاق
لتناول جرعة بسيطة مما يحمله، جف حلقه وهو يتأملها
بعينين تتعمقان بكل تفاصيلها، نهض "رحيم" عن مكتبه
واقترب منها بخطواتٍ فقدت رونق الثقة المعهود، تراجعت
خطوة للخلف وهي تراه يقترب ليقف قريباً منها، حركات يدها
المتوترة جذبت إنتباهه، رفع يديه الخشنة ليحتويها بين كف
يديه، وجد ذاته ينجذب إليها رغماً عنه، طبع قبلة صغيرة
على جبينها ليختمها بقول:

__كنت دائماً بتخيلك بالأبيض...

ثم إقترب أكثر ليهمس بصوته الذكوري :

__طلعتي أجمل من الصورة اللي في خيالي، أنت أجمل من
روحي نفسها ...

إبتسمت بخفة على مزحته الأخيرة، فاستطرد كلماته بنظراتٍ
خبیثة :

__فكرة إنك تقيسي الفستان وحشة ونهايتها مش مضمونة ..

علمت مغزى رسالته الغامضة، فعلى الفور هرولت للأعلى
بعدما حملت اطراف الفستان الكبير، يحيط بها كالحورية،
صعدت الدرج ومازال يفترش مساحة كبيرة فتوجهت لغرفة
"حنين"، لعلها تعاونها بخلعه ...

عاد ليكرر كلماته بصوتٍ أعلى من ذي قبل ليعيده على
مسمعها :

__ساكتة ليه إتكلمي ...!

تحرر عقدة لسان "مايسة" فقالت والدموع تلمع بعينيها :

__أنا اللي جيت عشان أشوفك، أنت مش بتترد على مكالماتي
حتى ..

قال وعينيه مازالت مثبتة على "سلمى":

__ولا هرد وياريت ترجعي قصر ك يا" مايسة" هانم ..

تساقطت دمعاتها قهراً على معاملته الجافة تعلم بأنها إرتكبت
جريمة لا يغتفر؛ ولكنها كانت تظنه الأفضل له، زواجه من فتاة
من الطبقة المخملية، تليق بمركز عائلته، كانت تخشى أن
يكون نسب تلك الفتاة حرج له بأخبار الصحف والمجلات التي
ستسجل كل شاردة وواردة خاصة به وبعائلة "زيدان"، إحتل
قلبها غصة مؤلمة وهي تراه يتجنب التطلع إليها، سحبت
الخيبة والخذلان بخطوات خروجها من الغرفة، توقفت محلها
بصدمة حينما إخترق مسمعها آخر صوتٍ تتوقع منه المدفاعة
عنها وما كانت سوى "سلمى" التي قالت بحزنٍ على حالها :

__مينفعش تعاقبها بالطريقة دي يا "جان" مهما كان فهي
بالآخر والدتك ..

أجابها بحدّة وقد إحتلت عيناه حمرة الغضب :

والدي اللي أنت بتتكلمي عنها دي كانا عايزة تدمرلي
مستقبلي، كانت عايزة تقتلني بالحيا، كانت هتبعذك عني وهي
شايفة أد أيه أنا إتعذبت من غيرك !..

سحبت نظراتها للأسفل بحزنٍ ثم تطلعت له، لتجاهد بقول :
__بلاش نتكلم في اللي فات ..

ثم ازدردت ريقها بصعوبةٍ، لتستكمل:

__عشان خاطري تسامحها يا "جان"، لو أنت فعلاً بتحبني ...
رسمت بسمه ساخرة على وجهه، ليستدير تجاه والدته،
مشيراً بيديه تجاهها :

__هي دي اللي أنت بتكرهها وعايزة تخرجيها بره حياتي !
...هي نفسها اللي واقفه وبتدافع عنك رغم كل اللي عملتيه
معاها ...

تملك "مايسة" الخزي فحتى هي تعجبت من دفاعها
المستميت عنها، أزاح "جان" عينيه عنها، ليتطلع لمن تقف
أمامه تترجاه بنظراتها أن يسامحها ويربت على جرح قلبها،
حينما استدار عاد الأمل ليتحطم بداخلها من جديد، فكادت
"مايسة" بالخروج ولكنها توقفت هذه المرة على معصمه

التمسك بها، استدارت تجاهه بصدمة تتمثل بدمعات خافتة،
ازاح دمعاتها ثم قبل يدها ليحتضنها بدمعة عزيزة لمعت بعيناه
دون ان تتساقط، إحتضنته "مايسة" ببكاء حارق وكأنها كانت
تستبعد عودته، راقبتهم "سلمى" ببسمة فرح تحولت لدهشة
حينما تركته لتتقدم منها فأحتضنتها هي الأخرى لتعتذر لها
عما فعلته بحقها ...

فتحت عينيها تدريجياً، لتبدو الصورة مشواشة من أمامها، ثم
بدأت بالوضوح، لتراه يجلس على مقعد قريب من فراش
غرفته، يده محتضنة لكف يدها ويده الأخرى تلامس وجهها
الذي يتصبب عرقاً من فرط تعبها، حالة من السكون سيطرت
عليها، فتأملته بصمت بالغ، مرور يديه على وجهها برفق
ليخرج عن صمته قائلاً :

_ليه بتعاقبيني على ذنب مرتكبتوش يا "ريم"؟ ...

ثم تنهد بألم ليستكمل ما قاله:

_أنا واثق إنك مستحيل تصدقي إني أعمل كذا طب ليه
بتعذبيني وبتعذبي نفسك ..!

تطلعت لشفتيه المتحركة بكلماتٍ لم تصل مسماعها إليها،
رائحته التي تغمر فراشه جعلتها تختبر شعورها المعتاد
بغفلتها على صدره، رمشت بعينيها كثيراً وهو يتابع حديثه،
لتغلقهما مرة واحدة لتستسلم لنومٍ حرمت منه ليومٍ كامل،
وكأنها تريد ليلة وداع بداخل أحضانه، إنزوى حاجبيه في
تعجبٍ حينما راها غافلة بأرهاقٍ، تدفن رأسها داخل وسادته
الحاملة لرائحة البرفنيوم الخاص به ...

عاونتها "حنين" على خلعها، فمررت يدها عليه بفرحة، قائلة
بلهفة عارمة :

_ ذوقه تحفة بصراحة، مبرووك عليكِ يا روعي ...

بادلتها "شجن" نفس البسمة ثم قالت بخفوتٍ :

_ الله يبارك فيكِ يا حنون ويكملك على خير يارب ..

رسمت بسمة ساحرة على ثغرها وهي تأمن على حديثها :

_ يارب يا حبيبتي ...

ثم سألتها بمكر وهي تجذبها للمقعد المقابل لها:

المهم بقى تعالى وإحكيلى إزاي علاقتك إنتِ و"رحيم"
إتطورت كده ..!

لحقتها ببسمة هادئة لتبدأ كلاً منهن بالبوح عما يحفظ
بالقلب ...

على فراش الموت تحتضر بأنفاسها الأخيرة، الأطباء يعلمون
بأنها مسألة دقائق ثم ستصعد روحها لخالقها، وجود "يامن"
لجوارها كان بناء على رغبتها الأخيرة، بصعوبة بالغة حركت
شفتيها الجافة لتبدأ بقص ما حدث بهسيسٍ منخفض يكاد
يكون مسموع، كان ينحني برأسه قليلاً لسماع ما تقول ..
الصدمة، الغضب، الشفقة، أحاسيس متضاربة سيطرت عليه
وهو يستمع لها، كانت "هنا" تشعر بأقتراب دقائقها الأخيرة
فهمست بصوتها المتقطع جوار أذنه :

خليهم يسامحوني يا "يامن"، أنا غلطت وكنت فاكرة نفسي
كسبت بس خسرت نفسي وحياتي للأسف ..

ثم قالت وعينيها الباكية تتركز بأحد أركان الغرفة، إنسابت
دمعتها التي غسلتها كالثج على وجهها، فتعلقا نظراتها على
ركن فارغ من الغرفة، لتهمس له بدموع :

__خيفة، خيفة أقابله يا "يامن"، خيفة أواجهه وأنا كلي
ذنوب ...

تحررت الدمعة العالقة بأهدابه وهو يرى شقيقته العنيدة على
مفترق الطريق، بعلم بأنه من المحال أن تتجو بحياتها، شهقة
مخيفة خرجت من فمها، فتمرد جسدها بشراسة، وإنقبض
صدرها بالهواء، سريعاً تمسك "يامن" بذراعيها ليردد بدموع
باهظة :

__رددي الشهادة يا "هنا ..».."

حاولت الإنصياع إليه، فلم تتمكن من الحديث فقرأ عليها
الشهادة بدمعة إختزلت آنين قلبه، لتردد بصوت خافت للغاية
وشهقة موجعة تسحب انفاسها تدريجياً:

__أشهد..... أن..... لا..... إله..... الا..... الله.....
وأشهد...أن..... محمداً..... رسول..... الله ...

وإرتخى جسدها بين ذراع أخيها الذي إحتضنها بدموع
إختلطت على ذقنه النبات، ضمها ل صدره لأول مرة فكانت
تختار طريق بعدها عنه كل البعد والآن حينما عرفت الطريق
الصائب إلتقطها الموت ...

إتبع المكان المحدد على هاتفها حتى وصلت إليه، وقفت
أمام باب المقهى تعدل من حجابها بإرتباك أمام المرأة
المطولة، تتفحص فستانها ولفة حجابها الملتف بحرافية،
وضعت يدها بتلقائية على عينيها وهي تتفحص النظارات التي
لم ترتديهم اليوم بأحساسٍ النقص دونها، ولجت "سما" للداخل
لتبحث عنه بنظراتها التي تطوف بالمكان بأكمله حتى إستقرت
عليه، رفعت طرف فستانها وهي تقترب منه بخجل، كاد فمه
أن يصل للأرض من شدة صدمته بها وبجمالها الغير متوقع
بالمرة، قال بتلقائية دون إنتقاء الكلمات:

_معقول إنتِ "بسيوني" كفة...!!

تلاشت بسمتها ليحل الضيق على ملامحها فاستدارت للرحيل
ولكنه تمسك بمعصمها بضحكة عاليه:

_بهزر معاك..

ثم جذب المقعد ليشير لها بهيام:

_إتفضلي..

عدلت من فستانها لتجلس عليه قائلة برقة:

_ميرسي..

جلس على المقعد المقابل لها، يتأمل عينيها بفضول، أنهاه
بكلماته الموجزة:

_النضارة الكوبية مدارية كل الجمال دا...!

إبتسمت "سما" بخجل، فدث "آدم" يديه بجيب سرواله
ليخرج منها علبة حمراء قطفية، قدمها لها ففتحتها بلهفة
فشلت بأخفائها، فتسائلت بفضول:

_دا أيه؟..!

لمعت حدقتيها بأعجاب وهي تتأمل السلسال الصغير ذو الذوق
الراقي، تناولته منه ببسمة واسعة لتشير له بطفولية:

_دا ليا؟..

إبتسم بمكر وهو يتفحص مقاعد الطاولة بسخرية:

_هو في بنت جميلة معايا غيرك!..

سيطر على وجهها حمرة خجل زرعت الإثارة بداخله، فتلك الفتاة المشاكسة رغم ما تمتلكه من لسانٍ سليط إلا أن أقل كلمة تخجلها، وضع الطعام أمامهم فجذب السكين ثم شرع بتناول طعامه ونظراته لم تنخفض عنها، دقائق قلبها كادت بأن تقفز محلها من فرط سعادتها بتقاربهم بالفترة الأخيرة، شعرت وكأنها تبدأ حياتها معه من جديد، قرب الملعقة من فمها بترددٍ فالتقطت ما قدمه ببسمةٍ صغيرة جعلته يشرد عن الملعقة الفارغة القريبة من وجهها!!

"_آدم.."

صوتٍ أتى من خلفهم، لفتاة على ما يبدو أمريكية الجنسية، إقتربت منه بأبتسامة واسعة فوقف امامها ليردد بدهشة:

"_مرلين...!"

كادت بإحتضانه ولكنه أوقفها حينما إكتفى بسلام اليد فقط، فقالت بأستغراب متناسية إحراجها لها :

_كنت بمصر إذا !، لقد ظننتك سافرت لبريطانيا للعمل مثلما أخبرتني آخر مرة ...

أجابها بثبات:

نعم ولكني هنا الآن، هذا كل شيء...

هزت رأسها بذهولٍ من تغيره، فطافت بعينيها الطاولة لتسأله
بغمزة وقحة من عينيها:

فتاة عربية؟، اختلف ذوقك قليلاً...

ثم رفعت أصبعها ببسمة ساخرة:

أنت لا تهدر وقتك بأي دولة عزيزي..

رد عليها بصوته الذكوري الخشن:

ربما كنت سابقاً ولكن من تجلس أمامك ليست كأي فتاة
عادية، هي زوجتي...

إندهشت كثيراً وخاصة بخبر زواجه، فتسائلت بعدم إستيعاب:

لا أصدق، هل تزوجت حقاً أم هذه مجرد دعاية!..

ثم ألقت نظرة إستقراز على حجابها لتضيف:

بربك يا رجل لا تخبرني بأنها من إخترت!

أجابها ببسمة ثقة :

الرجل الشرقي لا يتزوج فتاة مباحة للجميع "مرلين"...

وتركها تشتعل بنيران حرقها ثم جلس ليستكمل طعامه ببرود
جعلها تنسحب من أمامهم بغضب، سيطر الضيق على عينيه
الرومادية، فالسهرة المرتبة التي أعدها لها أتت تلك الحمقاء
ونزعتهن، رفع عينيه تجاهها ليبدأ بالتبرير ولكنه تفاجئ بها،
تتناول طعامها بهدوء وكأن لم يكن، فتسائل باستغراب:

__ مش هتسأليني مين دي؟!!!

تركت الملعقة من يدها ثم إستندت بوجهها على معصم يدها
قائلة:

__ بص يا "آدم" أنا مش هعاتبك في أي حاجة كانت من
ماضيك، كل اللي فات ميهمنيش اللي يهمني من أول ما أنا
دخلت حياتك، يعني لو حصل في يوم شيء زي دا صدقني
هتكون خسرتني ..

وضع يديه على يدها ببسمة طاغية ، ليجيبها بعشقٍ تربع
على أحرف كلماته :

__ عمري ما أفكر في يوم أعمل حاجة تزعلك، أنتِ البنت
النضيفة اللي دخلت حياتي يا "سما" ومستحيل ههد العلاقة
اللي ما صدقت إن يكون ليها جدران ...

سحبت يدها بخجلٍ من بين يديه، فعلت الموسيقى الهادئة
بالمكان، فأشار لها بغمزة من رومادية عينيه :

_نرقص؟ ..

تفحصت المكان بنظراتٍ خجلة لتجيبه بتوتر :

_لما يكون في بيت يجمعنا ..

شعت نظراته بوميض من الحب تجاه تلك الفتاة، إرتبكت
للعاية من طريقة تطلعه إليها فأنشغلت عمداً بتناولها للطعام
حتى تهرب من نظراته ...

خاض الكثير من المعارك الدامية ليتفادي الأوراق المتناثرة
بكل إتجاه، حتى وجدها تجلس بمنتصف قاعدة من الكتب
والأوراق بالحديقة، تجذب أحداهم وتدون ملاحظة ثم تلقيها
بغضبٍ حينما تجد النتائج غير متطابقة، زفرت "منة" بنفاذ
صبر فكورت الكتاب ثم ألقت به بضيقٍ ليصفع وجهه فنهضت
عن محلها لتهمس بخوف:

"_فارس...!!"

إلتقط الكتاب بصدمةٍ ليشير لها بدهشة:

__أيه دا؟!..

أجابته وهي تقرض أظافرها من شدة الخوف:

__عندي إختبار بكرا فكنت بذاكر..

أشار لها بالكتاب بسخرية:

__دي مذاكرة!!!...دا إحنا كنا ملايكة بقى...

ثم تطلع لصفقة الورق التي تغطي الحديقة بأكملها ليضيف
بأستهزاء:

__وبعدين أيه كل دا!!!...أنتِ هتحرري الأمم المتحدة ولا
أيه؟!..

أجابته بحزنٍ وهي تعدل من نظارات القراءة على عينيها:

__إتريق، إتريق وفي مستقبل بيضيع هنا..

تفادى الكتب الفاصلة بينهما ليشير لها بغضب:

__مستقبل أيه اللي بيضيع لا وحياة امك إنجزي في سنتك
السودة دي خلينا نتجوز، مش ناقصة أخوك يلقياها حجة
ويقعدنا سنة جانبه..

كبتت ضحكاتهما بصعوبةٍ، فقالت ببراءة مصطنعة:

__وأنا يعني ذنبي أيه، حاولت ومفيش أمل..

رفع حاجبيه بسخطٍ :

__أمل !، هو أنتِ هتشيلي مترين رمل !!..

ثم أزاح الكتب من حوارهِ ليجلس أرضاً مشيراً لها بضيقٍ:
__هاتي اللي واقف عليكِ اساعدك بيه خالينا ننجز من الفيلم
الهندي الأبيض وأسود دا..

صفقت بيدها بحماسٍ لتجذب الكتاب وأحد الأوراق وجلست
جواره، جذب القلم وأخذ يتفحص المسألة المعقدة للدقائق ثم
وضع الحل على الورقة بعدة خطوات لنتهي بالنتائج الصحيح
فأبتسم بغرور وهو يقدم لها الورقة:

__خدي إتحت..

تناولت منه الورقة لتتفحص الخطوات ثم ألقته بوجهه قائلة
بغضب:

__هو حد قالك إن المس مديلي واجب وهطله، دا إختبار يا بابا
وأنا محتاجة أفهم حلتها إزاي..

لوي فمه بتهكم ليجذب الورقة من جديد، قائلاً بضيقٍ:

_طيب ركزي معايا أبوس أيدك بدل ما نتجمد هنا في التلج..

إبتسمت بأنتصار وإقتربت لتتظر بالورقة من أمامه، شرد بها قليلاً ثم قال بغضب:

_بقولك ركزي في الورقة مش معايا الله يكرمك..

قالت وهي تعدل من نظاراتها:

_مركزة والله إتفضل..

شرح عليها تفاصيل مع فعله لحلها فقالت بخبث بعدما إنتهى من الحديث :

_لا مش فاهمه حاجة عيد..

جذب النظارة التي ترتديها بغضب:

_وهتفهمي إزاي طول ما إنت لبسه نضارة بسيوني كفة دي..

رفعت أصبعها بوجهه بتحذير:

_متغلطش في أختي يا "فارس" أحسنلك..

ضيق عينيه بسخرية:

_ولو غلطت تاني هتعملي أيه يعني..

إنطفئ غضبها بفحيح خبيث فقالت وهي تجمع كتبها:
_ولا حاجة مش هروح الإختبار بكرا وأعيد السنة وأنت بقى
خالك متعلق كدا لا طایل سما ولا أرض..
لحق بها سريعاً ليحك رأسه بتفكير:
_لا وعلى أيه الطيب أحسن...

إبتسمت بغرور ووضعت الكتب على يديه لتصعد للأعلى
بتعجرف والآخر يلحق بها بأبتسامة مكبوتة لما تفعله..

تراقبها "مروان" لفترة لا بأس بها، وجدها تعمل على
الحاسوب الخاص بها طوال الفترات الماضية، توجهت "يارا"
للمطبخ لتعد كوب من القهوة الساخن لعله يعاونها على
إستعادة نشاطها ومحاربة النوم الذي يهاجمها، إستغل
إنسحابها وتوجه للحاسوب فتحه ليجد من أمامه تصميم
خارجي لعيادة بشكل إحترفي، وإسم الملف الخارجي يضم احد
أحلامها، لم يتردد بأرسال الملف لرسائله الخاصة ثم حذفها
على الفور وصعد لغرفته ببسمة سعادة لكونه سيحقق لها
أمنية صغيرة بالنسبة له..

إنهارة قدميه على أقرب مقعد بمقاعد الإنتظار، أفارقت شقيقته الحياة دون أي سابق إنذار، رآها بالصباح وهي ذهاباً من المنزل على قدميها وبعد ذلك أتاه مكالمة المشفى على خبر صادم والآن خبراً إنترع أحشائه وكاد بأن يصيبه بمقتل، مر "يامن" بأصعب الدقائق التي إختبرت حياته البائسة، حديثها وإعترافها بما فعلته هز كيانه وجعله بموقف لا يحسد عليه ما بين الغضب والشفقة على حالها، جلس كالمتصنم لا يعلم ما الذي عليه فعله لإخراج شقيقته ودفنها، كان يرى الناس تلتف من حوله وكأنه بعالم منعزل، ضغطة قوية على كتفيه منحتة قوة غريبة المصدر رفع عينيه ليجده يقف امامه فردد بصوتٍ منهزم:

"_جان..!"

بكاء الرضيع يصدح بالغرفة الصغيرة بنهاية سطح أحد المنازل الصغيرة، دموعها تختلط مع صوت بكائه الهزيل، فتحملت على ذاتها ونهضت تتفحص علبة الحليب الأخيرة على أمل كاذب بأن تجد بعض من البودرة التي ستخلطها

بالمياه الدافئة لأجل صغيرها الذي يبلغ من العمر خمسة عشر يوماً، خاب أملها حينما وجدته فارغ والمال الذي بحوزتها لا يكفي لشراء الطعام لها أو حتى للصغير الجائع، بكت "صباح" بأنكسار وهي تمر بأصعب ظروفٍ قد مرت عليها، ربما تلك التجربة التي جعلت منها شخصٍ آخر، بكاء الصغير ينزع قلبها من قفصه الصدري، فتوصلت لحلٍ مهتد حينما خلطت المياه ببواقي ما علق بالعلبة لعله يسد جوعه، طرقات خافتة على الباب قطعت ما تفعله، إرتدت حجابها لتفتح الباب فأذا بصدمةٍ أزابت الدموع من عينيها فرحاً...

الفصل الحادي عشر

اللغة على الطبقة الراقية، المعتاد عنها الإنشغال بالعمل طوال الوقت حتى يصبح المال هو الهدف الأسمى بالحياة، فقد ابنته بلحظات، فشعر بأن الذكريات التي تجمعها معها تعد على اليد، عاش حياته محامياً بارعاً، يخوض الكثير من المعارك بحرصاً شديداً للانتصار، حتى لو لجئ لطرق غير مشروعة، رأى "عباس" جسد ابنته محمولاً على السرير المتحرك، مغطى كلياً بملاءة بيضاء تخفي جسدها بأكمله إجبارياً في حين أنه كان يتركها ترتدي ما تريد، مازال لا يستوعب ما حدث في رمح البصر ما بين حادث ووفاة، أما "يامن" فكان يجلس بحسرة على المقعد القريب من غرفة العناية المركزة، جسده الثقيل متخشب على سطحه القاسي، يتطلع للفراغ بصمت قاتل، صفحات الحياة تتقلب أمامه سريعاً، لم يكن يوماً ضعيف كتلك اللحظة، فحتى حرافية التصرف بوقت كهذا فقدته، ترك زمام الأمور لـ "جان" الذي أنهى إجراءات الدفن وما يلزمها، فلطالما أنجز والدها الكثير من التصريحات والأوراق الحكومية؛ ولكنه الآن عاجز حتى عن الحديث، رفع "يامن"

نظراته المتحجرة تجاه والده ليرمقه بنظرة قاسية، أفشت
مكنونها من عتاب معتاد، فلطالما كان يخبره بأن تساهله معها
سيفقدها ذاتها مرة، وكانت إجابته ببساطة كونه يترك لهما
الحرية، عانى وهو يحاول أن يفرق له كونه رجل سيتحمل
نتيجة أفعاله وكونها فتاة ستحمل عائلتها نتائج ما تفعله،
عانى وهو يحاول أن يخبره بأنها تتماذى بما تفعله وكان
النهاية هنا... إستلام جثتها...!

بدمعات حارقة إقتربت منه، وكأنها تحارب قدميها الثقيلة على
الإقتراب، تعلم بأن رؤيته مكسور أصعب ما قد تراه عينيها؛
ولكنها تود مساندته فهي زوجته قبل أي شيء، وقفت
"فاطمة" أمامه لتناديه بصوتها الباكي:

"_يامن...!"

إخترق صوتها قاعة حزنه المغلقة على ذاته، ليمنحه نسمة
هواء عليلة تنعش أنفاسه المقطوعة، تطلع له بنظرة تكبت
الدموع قدر المستطاع، تخلي عن هذا المقعد القاسي ووقف
مقابلها، يتأملها بصمت قطع بهسيس صوته المذبوح:

"_هنا" ماتت يا "فاطمة..."

تدفقت دمعة ساخنة من عينيها وهي تراه يحارب جموده، يود
البكاء، ربما يغار على دمعاته كونه رجل صلب، تحركت

أصابعها الباردة لتلامس يديه قائلة بصوتٍ متقطع:

__لسه محتاجاك تقف جانبها يا "يامن"__

فهم مقصدها، فأشار بالرفض وهو يقول بقهر:

__مش هقدر__

ضغطت بأصابعها على يديه لتمنحه القوة، لترد عليه بتصميم:

__هتقدر، متسبش حد غريب يدفنها__

يا الله، سماع تلك الكلمات أهلكته كلياً، حطمت رماق قلبه، وما

تبقى من روحه، أغلق عينيه بقوة أفصحت المجال عن تلك

العبرة الخائقة، لتهون ما يلاقاه من ألم ينبش ب صدره، ويذبح

فؤاده، تحرك بآلية تامة ليؤدي آخر واجب تجاهها كما حثته

زوجته، تحرك وبداخله حزن يود لو إنتهى بذبة صدرية

تفتك بروحه وتخفف من حدة وجع الفراق...

حينما يتعلق الأمر بك تستطيع المجازفة ورفض ما يتفضل به

أحداً عليك؛ ولكن حينما يتعلق الأمر بفلذة كبدك تقبل ما قد

ترفضه يوماً ما، لأجل إحتياجاته، لسد جوعه، أنت مجبر على

ذلك، أفتر عن وجهها بسملة فاترة حينما رأت أكياس بيضاء

تحتوي علب الحليب البوادر، وبعض من متعلقات الرضيع

كالحفاض والملابس وغيرهم من الزيوت، والكثير من

الأطعمة المختلفة، حملت "صباح" الأغراض بدمعة سرت على
وجهها بتأثرٍ وهي تسرع لصغيرها الباكي، لتعد له الحليب، لا
تعلم من الذي أتى بكل هذا لعنة منزلها؛ ولكنها مشيئة الله
عز وجل لرضيع يتلوى جوعاً....

حبس "إياد" أنفاسه وهو يتخبئ خلف الحائط المجاور للدرج،
يئن بصمتٍ وهو يستمع لصوت بكائه، يود لو إحتفظ بصورته
بحدقتيه عينية؛ ولكنه ليس قادر على المواجهة، يشعر بأنه
ما زال ضعيف بحاجة للوقت، حبس جماح أوجاعه وهبط
الدرج المتهالك ليرتدي نظارته القاتمة، أملاً بإخفاء السواد
الذي يحتل أسفل عينيه، ثم صعد للسيارة التي تنتظره
بالأسفل، ليشير بأصبعه للسائق فأطلق على الفور...

فرد ذراعيه بتكاسل وهو يقاوم النوم المستحوذ عليه، سحب
الغطاء عنه ثم نهض يبحث عن الطرف الصناعي لساقه
المبتور، وجده مائل على الخزانة جواره مثلما وضعه، وقف
على قدمه، ليتحرك ببطءٍ شديد ويديه تعبث بوجهه بكسل،
وقف "ريان" ليحاول تثبيت الطرف على ركبتيه؛ ولكن إنزلق
من يديه أرضاً، كاد بأن ينحني ليجذبه تجاهه، ففتح باب
الغرفة فوقفت من امامه وهي تناديه بلهفة مشيرة بعينيها

على الحاسوب الذي تحمله:
"ريان" كنت عايزة أوريك ف....

بترت كلماتها بإرتباكٍ، وهي توزع نظراتها بينه وبين الساق الصناعية الموضوعة أرضاً، الموقف يستدعي للتوتر ما بين رافض لوجودها بذاك الوقت وخاصة بأن من اهم الخطوط الحمراء لدى الرجال رؤية المرأة لنقطة ضعف تخصصهم، تحركت "سارة" بترددٍ، فأنحنث لتجلس على الأرض واضعة حاسوبها على الفراش لتجذب الطرف وتلفه جيداً حول ركبتيه ثم ترقبت رد فعله بأنفاسٍ مضطربة، رفع ذقنها بأصابعه، لتجبرها على النهوض، إبتسمت وهي تراه بكامل معالم قوته وثباته الإنفعالي الذي لم يتأثر لمساعدتها له، قربها إليه ثم حمل الحاسوب ليتطلع لما كانت تتحدث عنه، فوجد فستان زفاف من اللون السماوي، الصدر يضم فصوص كبيرة من اللؤلؤ الأبيض، رغم مخالفة ألوانه لفستان الزفاف التقليدي الأبيض الا انه شعر بأنه يناسبها كونها مختلفة بالنسبة له، ترقبت معالم وجهه بصبراً جف حلقها، فران على وجهه بسمه هادئة ليخطف نظراته إليها، متسائلاً بنبرته الرجولية:

عجبك؟..

هزت برأسها كثيراً مؤمنة على كلماته:

جداً...

وضع الحاسوب على الفراش مجدداً ليحتضنها بأبتسامة

أشرقت عن وسامته وهو يهمس بمكر:

اعتبري دي موافقة مسبقة على طلباتك مدام طلب

مشارك...

نبض صوتها بضحكة أحيت قلبه من جديد، فسقط ذراعيها
عن كتفيه وكأنها تلقت خبراً صادم، ابتعد عنها بأستغراب،
فوجدها تتطلع لباب الغرفة فأذا بـ "جان" يقف أمامها، تكتلات
الغضب تجمعت بهالة عينيها وهي تحدجه بنظراتٍ إخرقته
كأعواد الثقاب المشتعلة، جذب "سارة" الحاسوب لتتوجه
للخروج بخطواتٍ سريعة، متعصبة، كادت بقطع باب الغرفة
حينما أوقفها "ريان" قائلاً بصوتٍ آمر:

إستني يا "سارة"...

توقفت محلها بضيق من إيقافه لها بحضور الآخر، استدارت
تطالعه بأهتمامٍ لمعرفة ما يود قوله، إقترب منها ليمنح "جان"
نظرة غامضة ثم ختمها قائلاً:

"خالد" سامح يا "سارة" أنتِ كمان لازم تسامحي وتديله

فرصة...

رفعت عينيها الغائرة بالدمع تجاهه، وكأنها تعاتبه على تجرائه

لطلب العفو لمن كان السبب بموت أخيها، حتى وإن لم يكن حمل السلاح وأطلق الرصاص عليه ولكنه بالنهاية دفعه ليقتل ذاته، لم تكلف ذاتها عناء فمضت بطريقها لغرفتها دون أن تجيبه، تابعتها بنظراته حتى إختفت من أمام عينيه ثم نقل نظراته لصديقه الصامت بحزنٍ غريب، تأمل حالته بنظراتٍ ذهول، شعره الفوضوي، ملابسه الغير مرتبة، وحالة وجهه الحزينة، فسأله على الفور بأستغراب بلهجة صوته:

مالك؟!..

تحرك "جان" تجاه النصف المخصص له من الخزانة، ثم أخرج ملابسه، ليشرع بتبديل ملابسه قائلاً بحزن:

أخت "يامن" توفت النهاردة، وأنا إضطريت اسيبه بالمستشفى، هغير وأرجعله..

تسلل الحزن لوجهه فقال بهمسٍ خافت:

لا حولة ولا قوة الا بالله، ربنا يرحمها ويغفرلها...

ثم فتح خزانته المجاورة له، ليشير له بتصميم:

أنا جاي معاك، ثواني وهكون حاهز..

وتركه وتوجه لحمام الغرفة ليبدل ثيابه، أما "جان" فسلط نظراته للفراغ بشروءٍ، لا يعلم هل يخبر "سليم" بالأمر ام يظل بطي الكتمان، فمنذ أن أخبره "يامن" بما حدث مع

شقيقته و"سليم" وهو يشعر بالصدمة والذهول، حتى أنه أكد
ليامن بأنه من المستحيل أن يفعلها....

فتحت عينيها بأستسلام تام لوجودها بأحضانها، كونه قريب
منها بهذا الحد الخطير رغم ما فعله جعلها تياس من محاولات
رجعه، كان مستلقي جوارها، يتأمل صمتها بسكون عجيب
سيطر عليه هو الآخر، كلاً منهما يتطلع لعين الآخر بشروء
فيما تردده من عتاب صامت، تأمل "سليم" زهرته المحببة
لقلبه ليعاتبها بحزن حتى يستميلها:

__عايزة تبعدي عني يا "ريم.....!"

ثم أكمل كلماته وعينية مسلطة عليها:

__كنت فاكِر إنك مستحيل تشك فيا ولا في أخلاقي..

تحرك فك وجهها الباكي لتجيبه بصوتها الشبه مسموع:

__أنا مش واثقة غير بأني مش هقدر أستحمل وأنا بشوفك

بتنسب إسمك بأسمها، دا الشيء الوحيد اللي مش هقدر

أستوعب أركانه...

إختضن وجهها بيديه ليقرّبها منه قائلاً بألم يخترق نبرته:

__ليه مش قادرة تقتنعي إن غصب عني يا "ريم" ليه مش

قادرة تفهمي إني مش عايز غيرك بس مجبر على كدا...

رسمت بسمة باهته على وجهها لتجيبه بأنكسار:
_ أنت اللي مش قادر تقتنع إني مقدرش أشوف إسمها يتكتب
جنب اسمك....

ألم صوتها نغز خناجر موقته بقلبه الذي يخفق بأضطراب،
عادت لتختبر نفسه من جديد، بترت الكلمات فيما بينهما حينما
إستمعوا لدقاتٍ بدت هادئة على باب غرفته، ففتح بابه ليردد
بأستغراب:
" _جان!"

أنهى "رحيم" السباحة ببراعةٍ، ووقتٍ قياسي، ليصل لحافة
حمام السباحة ورفع " يديه قائلاً بغرور:
_ كدا خلاص أنا كسبت..

صعد "مراد" من أسفل المياه مرة واحدة ليكمل سباحة
بسرعة كبيرة بعد أن غمره بمكر:
_ المنافسة لسه منتهتشة...

إبتسم الأسطورة بخبت ليستمر بالسباحة قبل أن يتمكن الآخر
منه، فصعد "مراد" للأعلى ليشير له ببسمة خبت:
_ قولتلك متجربش تحدي معايا في السباحة بالذات..
ثم أشار له بغرور:

كدا بقى انت معاقب بتتفيذ طلبي اللي هقولهولك بس بعد
الأختبار اللي رتبيله من يوم ما جمعنا الشباب بالبيت دا
وأتمنى محدش يفشل لاني حقيقي إتحانقت...
وجذب المنشفة من الخادم ليجفف صدره وكتفيه بأهتمام، ثم
تساءل مجدداً:

بس أنت مقولتليش يا "رحيم" إنك حددت آ...
بترت كلماته حينما وجد بأنه يحدث ذاته، فسحب نظراته
للمياه برعبٍ جلي ليردد بصدمة:
"رحيم...!!!"
وبلمح البصر كان بعرض المياه ليتفقد من أين أتى سيل
الدماء الذي لوث المسبح بأكمله، وصدمة الأكبر التي أوقفت
دقات قلبه حينما وجده فاقداً للوعي.....!!!!!!

الفصل الثاني عشر

شلت أطرافه وهو يرى المسيح بأكمله عبارة عن بركة من
الدماء، ففي لمح البصر ألقى بجسده بداخل أحضان المياه
بفزع يعتلي ملامح وجهه المتبدل بشعورٍ مختلف يحاوط قلبه
تجاه هذا الرحيم الذي بات شخصٍ عزيزٍ إليه، معزة قلبت
العدو لصديقٍ بقدرةٍ قادر، بحث بالمياه بجنونٍ ليصرخ بلهفة
وهو يسبح هنا وهناك:

"_رحيم.....!"

كبت أنفاسه ليغوص أسفل المياه بحثٍ عنه حتى كاد نفسه
بالإختناق، صعد فوق سطح المياه بشراسةٍ وهو يزيل قطرات
المياه التي تتساقط من خصلات شعره المتمرد على عينيه،
فوجد منشفةً مقدمةً إليه، إتبع دربها ليجده يقف أمامه بثباته
القاتل، يلوح له بذراعيه الحاملة للمنشفة بغمزةٍ مكرٍ:

_معتقدش إنك هتقدر تختبر العيال دي من غيري...
وقذف المنشفة بوجهه ثم جلس على المقعد الطويل مقابل
المسيح الذي يحتوي على وحشٍ "مراد" الثائر، جذب

"رحيم" القهوة المقدمة من الخادم ليرتشفها ببرودٍ وهو يعود
للهجته الساخرة:

_فشلت في إختبار صغير هتعمل ايه مع العصابة اللي جوا
دي...!

ألقي المنشفة بالمسبح وصعد الدرج المعدني المودي لمقعده
ليقف أمامه بنظراتٍ مقبضة، فأحنى ليكون مقابل عينيه،
يرمقه بنظراتٍ شرسة، متحدية من يجلس أمامها بشجاعة
وثقة بقدرات صاحبها القتالية:

_حاول تلعب معايا مرة تانيه وصدقني هنسى فترة المصالحة
الغبية دي وهعتبرك عدوي من أول وجديد....
لاحت على وجه "رحيم" بسمة غامضة، فوضع القهوة عن
يديه ليشير له بثبات:

_وفر طاقتك يا "مراد" هتحتاجها بعدين..
كاد بأن يجيبه ولكن قطع مجلسهم ولوج "حازم" المفاجئ
ليوجه حديثه لرحيم بأحترام:

_الطيارة جاهزة يا باشا وفي إنتظارك...
أوما برأسه بهزة بسيطة ليغادر على الفور، رفع حاجبيه
بدهشة فقال بإستغراب:

_طيارة أيه؟، أنت مسافر؟...

نهض عن مقعده ليقف لمقابلته قائلاً ببسمة وجدها الجوكر
غريبة:

لما بنختار نعيش حياة من أول جديد لازم نستغنى عن
ذكريات الماضي، وللأسف ذكرياتي مكتوبة بحبر عميق
مستحيل تتحذف بسهولة...

ضيق عينيه الزرقاء بذهولٍ مما يقال، فأشار له "رحيم" تجاه
صدره العاري، لتلقط عدسته التشويهاً التي تملأ جسده من
الاعلى، أوماً برأسه بتفهمٍ فقال بأبتسامة مشرقة:

دا الصح يا "رحيم"...

ثم قال وهو المنشفة النظيفة الموضوعة على أحد المقاعد
ليجفف جسده قائلاً بلهفة:

هجي معاك مش هسيبك..

أجابه بنظراته الثابتة وقامته العريضة:

لا إنت هتكون هنا...

إنتصب بوقفته ليجيبه بتمرّد:

أنا مش مجبور أنفذ كلامك قولت هجي فدا قراري وملكش
تتدخل فيه..

أفتر عن وجهه إبتسامة أفصحت عن نواجزه ليجيبه بهدوء:

أنا مش بفرض عليك حاجة، أكيد هحب إنك تكون جانبي

بس القصر محتاجاك أكثر، مني، مينفعش نختفي انا وأنت
مرة واحدة وخاصة أن " سليم " مش فايق لمشاكل حد يكفي
اللي هو فيه..

بهتت تعابير وجهه بغضب:

__ هو اللي عايز يحط نفسه بالمشاكل دي..

أجابه وهو يتوجه للدخول لغرفته الخاصة المجاورة للمسبح:

__مشاكله خلاص إتحت وبدون ما حد يتدخل..

لحق به ففتح الباب الزجاجي الفاصل بين الغرفة التي تعج

متصفها بقاع المياه فتعطي منظر مبدع:

__ تقصد أيه؟..

فتح الخزانة الموضوعة بجانب الغرفة المرتبة بعناية
لإستقبال طارق له، دون اللجوء لجناحه الخاص، إنتقى بذلة
رومادية اللون وضعها على الفراش ثم اغلق الخزانة عليه
ليبدل ثيابه أولاً، فرد على سؤاله بهدوء:

__ بنت "عباس صفوان" إتوفت في حادث النهاردة...

تملكه الذهول، فقال بتأثر:

__ ربنا يرحمها..

فتح باب خزانته وخرج ليستكمل إرتداء ملابسه ثم صف

شعره وإرتدى ساعته الباهظة، ليشير له بساعديه:

خد بالك من الأوضاع هنا وبالذات من "فارس"
و"مروان"..

رمقه بنظرة صلبة ليحييه بلهجة رجولية حادة:
أكيد محدش مش هيخاف على عمره ويرتكب غلطة
بوجودي..

بادله البسمة قائلاً بغموض:
عظيم..

ثم إقترب ليهمس بصوتٍ منخفض بعض الشيء:
_اللي ورا "عمران" هياخد اول خطوة في غياب حد فينا فخد
بالك كويس يا "مراد"، مفيش نملة تدخل المكان هنا من غير
تفتيش خليك صاحي ومستعد، وقبل ما يفكر يعمل حاجة تكون
أنت سابقه بعشر خطوات..

أشار له بثباتٍ فربت الآخر على كتفيه بقوة، كتقدير لثقتَه
الكبيرة به وب عقله الذكي، ثم تابع خطواته تجاه باب الخروج،
فتح "حازم" باب سيارته سريعاً، فرفع "رحيم" عينيه بنظرةٍ
أخيرة على نافذة غرفتها، وكأنه يودعها وداع سري على أمل
التخلص من بقايا الماضي، بعملية تجميلية تخفي آثار العذاب
الذي تلاقاه بالمعتقل اللعين، حرص على أن يتركه كعلامةٍ
مواكدة له حينما يتسلل لقلبه بعض الرحمة ليمحو هفوات

الماضي بظلاله السوداء، تذكره علامات جسده بما تعرض له
فيتحول لما هو عليه..... "رحيم زيدان...."

القدر يقطع جزء كبير من الواقع، فربما يكون قاسياً للبعض
ومنصفاً للبعض الآخر، عدد لا بأس به من الطبقة الراقية،
يقفون حول القبر الصغير الذي لا يتعدى مقاسه المترين،
حملها "يامن" وعينية تنساب بالدمعات التي أفصحت عما
يشعل قلبه الباكي، وداعه الأخير نظرة وهمسة بالرحمة لها،
إنتصب بوقفته بصعوبة بالغة وكف رفيق عمره يشدد من
ضغطه على كتفيه، رفع عينيه بصعوبة تجاه "جان"، فوقف
جواره بصمتٍ يحجر بها آئنه الملتاع، أشخاص يستقيمون
بصفوفهم لتأدية واجب التعاضية، لم يفرق كثيراً بينهما فكان
منحني الظهر، يضع يديه بأيدهم وعينية موضوعة أرضاً،
إنتبهت حواسه الخاملة لأخر صوتٍ توقع حضوره حينما
إنطلق قائلاً:

البقاء لله يا "يامن"، ربنا يصبرك ويرحمها..

رفع عينيه الثقيلة تجاه صاحب هذا الصوت ليشدد على كف
يديه الموضوع بكفه ليردد بحزن:

"_سليم...!!"

نبرته المنكسرة جعلت ملامحه تنكمش بتأثر لما بدت عليه
حالته، خرجت الكلمات متعثرة بحروفها وبها لمحة من
التواصل:

__سامحها يا "سليم"...

هز رأسه بتأكيد وهو يجيبه بتأثر:

__سامحتها من غير ما تطلب، ربنا يغفرلها ويرحمها...

ثم شدد بكف يده اليسري على يديه بشفقة:

__شد حيلك...

إكتفى بأيماءة بسيطة، ممتنة على عطفه بمسامحتها،
مر "سليم" من أمامه ليتطلع للقبر الساكن بصمتٍ مخيف
بنظرة حزن، أين تلك الفتاة التي وقفت تتحداه وتتحدى علاقته
الطيبة التي جمعته بمن عشقها حد الجنون، اليس هناك مجال
لتعلم بأن مثواها بيد خالقها...!

أتى "ريان" من بعده ليؤدي واجبه هو الآخر ثم لحق به
بسيارته المنفردة وتبقى "جان" جوار رفيقه، رافضاً تركه
بتلك الحالة....

ولج الرجل مهرولاً لغرفة رئيسه التي تعلو الطابق المسلح
بأحدث الأسلحة النارية وكأن المبنى على وشك محاربة عدوٍ

شرس، وأي عدوٍ ذلك!، فالمحاصرة من قوات الشرطة أصعب
علاقات العداء، فربما انت متطارد لأخر دولة بالعالم، انهى
الدرج بخطاه السريع، واللهفة تكتسح معالم وجهه الأجرامي
القبيح، كأنه حامل لأكسير الحياة لشخصٍ فارق الحياة، فتح
الباب سريعاً ليندفع بصوته الحماسي:

"رحيم زيدان" سافر ألمانيا بشأن العملية، كذا الدنيا تمام،
نقدر نقتحم المخزن ونخرج "عمران..."
أجابه ذلك الشاب الذي يضع قدماً فوق الأخرى على الطاولة
الموضوعة أسفل قدميه فتسد الرؤية عن وجهه:

و"مراد...!"

أجابه بلا إهتمام:

موجود بس المهم ان "رحيم" مش موجود..

رد عليه بضيقٍ غبي، "مراد" أخطر من "رحيم" الآتين
ألعن من بعض..

تساءل الرجل بخوفٍ من تعصبه الواضح:

هو "عمران" مبقاش يلزمك ولا أيه؟!

قالها هذا الشاب الغاضب، ذو الثلاثين عاماً وهو ينهض عن
مقعده، ليجيبه بعينين رائقتين وكأنه بسهرةٍ محببة لقلبه:

لسه هلعب بيه آخر كارت...

ثم قال ببسمة خبيثة لعلمه بما يكنه هذا الرجل من ولاء تجاه
"عمران" اللعين:

__متقلّش "عمران" هيخرج من مخازن "رحيم زيدان"
وبدون ما حد يتعرضله...
ضيق الرجل عينيه بإستغراب:
__إزاي دا...__

جذب غيلونه ليشعله وهو يتتفت دخانه ليحييه بفحيح خبيث
وبسمة شيطانية:
__إبنه اللي هيخرجه....__

إنطلقت عاصفة قوية للغاية، مزقت السماء لتصطبب أمطاراً
رعدية مزلزلة، تحول وجهه تجاه النافذة المتهاكة ليردد
بوعيدٍ مخيف:

"__رحيم زيدان" ركز في عدواته مع "مراد" ونسى عدوه
الحقيقي...__

وببسمة من عتبة الجحيم استكمل:
__عدو إستغل إنشغاله بعدواته وإنقم منه على البطيء،
ضربة عمره ما هيتوقعها، هتكون نهاية ليه...__
وإلقى غيلونه على الأريكة بنظراتٍ إكتسبت مزيد من الغضب
المزلزل لأرجاء مملكة "رحيم زيدان...!"

شعر بشيءٍ غريب يداهم تفكيره الغريب، فمنذ الفترة الماضية
وهو لا يكاد لا يراه سوى بالصدفة، يعود بوقتٍ متأخرٍ للغاية
ولا يشعر به سزى بالصباح حينما يجدها غافل جواره،
عبث "فارس" بوجهه بإستياء وهو بجاهد شعوره بالصدقة
والمسؤولية تجاهه؛ ولكنه فشل بالتحكم بذاته أكثر من ذلك،
وكأنه كان يود تحقيق أمنية وتحققت بدخول "مروان" ،
فأندفع بالحديث بصورةٍ مضحكةٍ والآخر يتطلع له بصدمة:
_ أنت كنت فين؟ ، وبقالك فترة بترجعلي وش الصبح ليه،
تكونش بتتخانق تاني مع العيال دي من ورايا...!
بسمة واجمة رسمت على ثغره وهو يحاول إستيعاب ما
يحدث، فقطع حديثه بعبارته الساخرة:
_ إهدي على نفسك يا حبيبتي عشان اللي في بطنك....
ثم قال بصوته الخشن:
_ تكونش أنت مراتي وأنا مش واخد بالي...!
تهجمت ملامح وجهه بحدةٍ من كلماته الساخرة، فنهض عن
مقعده وتقدم ليقف أمام عينيهِ، يحك طرف أنفه بسيطرةٍ
عظيمة على أعصابه فشلت حينما جذبه من مقدمة قميصه
ليطرق على كتفيه بغضبٍ:

والنبي يا حبيبي لما تقف تكلمني تقف بإحترامك بدل ما
أعلمك اللي اهلك معلمهوش ليك...

منحه نظرة عابرة، ليزن الأمور فهو بحالة مزاجية جيدة
وليس بحاجة للمشاجرة معه الآن، طافت على وجهه بسمه
خبیثة لإستغلال مساعدته، فطوفه بذراعيه ليجبره على
الجلوس على الأريكة قائلاً ببسمه واسعه:

__هحترمك، ما أنا لازم أحترمك بالأجبار وخاصة في اللي
عايزك فيه..

جلس "فارس" على الأريكة بدهشة من تحوله الملحوظ،
فتساءل باستغراب:

__عايزني في أيه؟..

اجابه ببسمه هيام:

__بصراحة كدا انا بحب وواقع لآخر أنفاسي، وسرقت..
جحظت عين "فارس" بصدمة، فاستطرد "مروان" حديثه
باستغراب:

__ايوه سرقت مش لأجلي لأجل أني أحققها حلمها المكلف دا..

قال كلمته الأخيرة وهو يضع الورقة المطبوعة من أمامه،
فوزع نظراته بينها وبين، ليرد عليه بسؤالٍ ساخر:

__أنت حببت الورقة ولا المشروع؟!!

إنكمش وجهه بغضبٍ، ليلكزه بقوة ب صدره:

_ ما تلم نفسك يا جدع إنت الله..

لكمه "فارس" بضيقٍ من تطاوله فتحول الأمر لهجومى لينقد عليه "مروان" في موجة عاصفة من الشجار ادت لتمزق قميص "فارس" رغماً عنه، فتطلع "فارس" لقميصه بصدمة والآخر يبتلع ريقه بصعوبة من خروج الامر عن سيطرته، صرخ فارس به بصدمة:

_ أنت عارف القميص دا تمنه كام؟!!!

أشار له بإرتباكٍ وهو يبتعد عنه لقراءة ما يجول بعينه الشرسة:

_ لأ، ومش عايز اعرف..

تغلب عليه "فارس" ليصبح اعلاه، فمزق التيشرت الذي يرتديه بغضبٍ مثلما فعل به، في ذلك الوقت طرقت "منة" الباب حاملة دفترها الصغير كعادتها حينما يقف أمامها بعض من المسائل الرياضية المعقدة، ففتحت الباب بعد أول طريقة لتتصنم محلها مما رآته، حتى سقط دفترها أرضاً، نقل "فارس" نظراته تجاهها ورفع مروان رأسه عن حافة الأريكة بصعوبة ليبتلع ريقه قائلاً بتوتر:

_ أوعي تفهمينا غلط....

وأشار بيديه تجاهه:

_دا فارس بس كان آآآ...

بترت كلماته بصدمةٍ حينما هوت أرضاً فاقدة للوعي فتطلع
تجاه "فارس" بنظرةٍ إدعت البراءة قدر المستطاع ولكن
الأخر يصعب إيقافه عما يجول بخاطره!.... فربما سيكون
الخلاص بتدخل الجوكر المزعوم!..

خرجت "حنين" لشرفة القصر بضيقٍ يعصف بملامح وجهها
الرقيق، مازالت الحيرة تتمكن منها، لمحتها "سلمى" فخرجت
لتقف جوارها في محاولاتٍ لطيفة لمعرفة ما يضايقها،
وبالطبع أخفت "حنين" إرتباكها بتغير "أشجان" الملحوظ
وتبادلت أطراف الحديث الهادئ للتعرف عليها فهذه المرة
الأولى التي تتجاذب أطراف الحديث معها....

أما "ريم" فحينما علمت من "فاطمة" وفاة "هنا" حزنت
عليها؛ ولكن حزنها لم يزيح ما تشعر به من ألمٍ إخترق قلبها
ليدعسه بقوةٍ فمن منا لا يرغب كونها أول وآخر من يلامسها
عشق زوجها العاطفي، من منا تقبل بفتاة أخرى حتى وإن
كانت مؤقتةً لليلة واحدة؟!...

إنشغال "جان" مع صديقه منذ الصباح عرقل العمل لآدم الذي توالى العمل بشركاته منذ فترة قصيرة، فعمل اليوم بجد كبير حتى غفل على مكتب "جان" من فرط مجهوده المبذول، لم يعد يشعر بعالمه من فرط تعبته حتى رنين هاتفه أصبح مفقود بالنسبة إليه...

بسيارة "ريان..."

كان يتوجه للعودة للقصر بعد أن أنهى واجبه تجاه "يامن" وعائلته، دق هاتفه لأكثر من مرة من رقم مجهول، تعدد أن يتجاهله ببدء الأمر ظناً من كونه أحداً من الصحافة التي تلاحق عائلتهم بشكل مستمر؛ ولكن مع رنينه المتواصل أجاب عليه ليوقف سيارته بعصبية كادت بانقلابها، ليردد بغضب جامح وهو يستمع للطرف الآخر:

__بتقول أيه يا....####

تألقت بفستانها الأسود الرقيق، وحجابها الأبيض المزوج ببعض الزهور السوداء، ثم هبطت لتتوجه للخروج من القصر بخطوات حريصة للغاية، توقفت محلها بفزع حينما وقف "حازم" من أمامها ليسألها بتهذب وعينية موضوعة أرضاً:

__ على فين يا هانم؟..
إبتلعت "شجن" حلقها الجاف بصعوبة، لتحاول الثبات قدر
المستطاع:

__ بتسأل بصفتك أيه؟!..
أجابه ومازالت عينيه أرضاً:
__ أنا أسف بس دي تعليمات الباشا..
ردت عليه بغضبٍ مخبئ بلهجة ساخرة:
__ وأيـه هي تعليماته؟!..
قال بإحترامٍ، متجاهلاً إستهزائها بالحديث:
__إني مفارقش حضرتك بره القصر، ودا لزيادة الآمان...
بدى الضيق على معالمها بصورة ملحوظة، فقالت بثباتٍ
مصطنع وهي تتوجه لسيارته:
__هروح لـ"يوسف" وبعدين هجيب حاجات خاصة من أي
مول.

أسرع "حازم" ليفتح باب سيارته مؤمناً على حديثها:
__تحت أمرك يا هانم...
صعدت لسيارته بتذمرٍ، فأخرجت هاتفها من حقيبة يدها
لتضغط على لوحة المفاتيح، لتكتب رسالة مختصرة
"نص ساعة وهكون موجوة بالمكان اللي إتفقنا عليه..."

دقائق معدودة ووصل أمام منزل أخيها، ففتح باب السيارة
لتصعد للأعلى بتأففٍ من وجوده، طرقت بابه بطرقاتٍ منتظمة
على عكس الإرتباك الذي يدور بداخلها، فتح "يوسف" الباب
ليردِّ بذهول:

"_أشجان...!"

ولجت للداخل، فجلست على أقرب مقعد بملامح متخشبة
للغاية، أغلق الباب من خلفها ثم جذب أحد المقاعد ليضعه
مقابلها، ليبدأ حديثه متسائلاً باهتمام:

_في حاجة حصلت ولا ايه؟!..!

أجابته بلهجة ثابتة متجمدة:

_لا مفيش، أنا كنت خارجة أجيب حاجات وقولت أجي أظمن
عليك وكويس إنك بخير...

ضيق عينيه بحيرةٍ، فقال بشك:

"_رحيم" زعلك في حاجة..

أفصح وجهها عن بسمة غامضة لتجيبه وهي تحمل حقيبتها:

"_رحيم زيدان" مش شايف غير قوانينه يا "يوسف" لأنه

بالنهاية ميقدرش يكون غير "رحيم زيدان..."

وفتحت باب المنزل لتتوجه للخروج فأوقفها بذهولٍ من

زيارتها الغريبة وكلماتها الأغرب:

_أنا ليه حاسس إن في حاجة فيك متغيرة..

أجابته ببسمةٍ ألم إخرقت وجهها الغامض:

_كلنا لازم نتغير في يوم من الايام يا "يوسف"..

وهبطت للأسفل، لتصعد بالخلف بعد أن إستقبالها "حازم"
بفتح باب السيارة، أغلقت نافذة السيارة لتتهرب من نظرات
أخيها الذي يتابعها من أعلى شرفة منزله، تحرك "حازم"
بسيارته للمكان الذي املته عليه فتوقف أمام أحد المولات
الكبيرة، هبطت "شجن" ثم توجهت للداخل، فكاد بتتابعها
لتشير له بحدة:

_قولتك هجيب حاجات خاصة...

أوما برأسه بتفهم ليشير لها بعينين تنظران للأسفل:

_هكون بانتظار حضرتك هنا..

تابعت طريقها لأحد محلات الملابس الخاصة حتى تهدي
عيناه الذي تراقبها، ثم خرجت من الباب الداخلي للمحل
لتسلك طريقها لأحد المقاهي الداخلية، لتجده يجلس
بانتظارها، وما أن رآها حتى وقف ليستقبلها، إستقبلته ببسمةٍ
مشرقة قائمة بشوقٍ غامض:
_وحشتني أوي.....

الفصل الثالث عشر

خرجت تراتيل الغرام من عينيها بوميضٍ دفن لأعوامٍ، خشية
لمنحه للعاشق الغائب، إبتسامتها الرقيقة وهي تتابع قول
كلماتها البطيئة الشاهدة على ثورة منبع الحب الطفولي،
بادلها من يقف أمامها إبتسامة بسيطة وهي تستقبله بكلماتها
المعبرة عن إشتياقها له، أشار لها بالجلوس على الجانب
الأخر من الطاولة ثنائية المقاعد، فوضعت "شجن" حقيبتها
الصغيرة على الطاولة لتبدأ بالحديث وعينيها تترقب الطريق
بخوفٍ:

"_رحيم" حدد معاد الفرح أنت لازم تتصرف أنا مش هقدر
أستحمل أكثر من كدا...

رفع عنيه الزيتونية تجاهها ليجيبها بهدوءٍ:
_قولتك متقلقيش مش هيحصل طول ما أنا موجود...
أجابته بصوتٍ متألم وهي تحاول وصف معاناتها داخل قصر
"رحيم زيدان":

"_فريد" أنا بموت جوا القصر دا بخاف إنه في أي لحظة

يكشفني...

بسمة زائفة رسمت على وجه الشاب الثلاثيني الذي يجلس أمامها، العدو الشيطاني لرحيم زيدان، حاول قدر الإمكان أن يتصنع الضيق ليبدأ بالحديث المتعصب:

__عايزة تنسحبي وأحنا لسه في نص الطريق.

وتمالك أعصابه ليحاول إستمالتها بحديثه المخادع:

"_شجن"، "رحيم زيدان" دا دمر حياتي، كان هيفرق ما بينا للأبد، هو السبب في كل اللي حصلي من أول ما دخلت السجن لحد ما إتورطت مع الناس اللي أنا شغال معاهم، أنت لازم

تساعديني...

هزت رأسها بخفوت، ثم عادت لتسأله سؤاها المتكرر كلما قابلته:

__بس ليه بيخادعني على إنه "فريد"، هيكسب أيه من كل اللي بيعمله دا...!

بدى التوتر يسيطر على حدقتيه، فحك أنفة أنفه وهو يجيبها بثبات:

__قولتك عايز ينتقم مني ويوجعني...

ثم إستدار حوله ليستكمل حديثه بحذر:

__المهم دلوقتي تركزي في اللي طلبته منك، لازم تدخل

مكتب "رحيم" وتدوري على الفلاشة اللي وصفتهالك، لو
ملقتهاش في ظرف يومين من دلوقتي هيصفوني يا
"شجن.."

سكن الخوف معالم وجهها، فقالت بلامح ناقمة على من
يدعى بزوجه:

_متقلّش هدور بمكتبه ولو لقيت حاجة هديها للطباخ زي ما
إتفقنا، أنا نفذت اللي إنت طلبته مني وبحاول اكون متواجدة
بمطبخ القصر أطول فترة ممكنة عشان محدش يشك في
وجودي...

أبدى بإعجابٍ بديهي على ما قالتة:

_برافو عليكِ..

ثم نهض ليرتدي الكاب الأسود مشيراً لها بهدوء:
_لازم الوقتي ترجعي القصر بس لما تشتري أي حاجة عشان
حارس "رحيم" ميشكش فيكي...

أومأت برأسها بهزة خافتة ثم أسرعت خلفه بلهفة:

_طيب هشوفك تاني أمتي؟!...

أجابها ببسمة ترسم دور العاشق بنجاح:

_هعرفك المكان بنفس الطريقة...

ودعته ببسمتها الصافية في حين الشر ينغمس ملامح الآخر

الذي مضى بطريقه وحينما وجد أول سلة قمامة أزاح
العدسات اللاصقة عن عينيه البنية، ليلقيها بين بقاياها وعلى
وجهه بسمة تعج بشر الشياطين للفتك بعدوه اللدود، دق
هاتفه مجدداً بعد أن ألقى التعليمات لأحد رجاله بإخبار
"ريان" عن أبيه "عمران"، رفع سماعة الهاتف ليضعها
على آذنيه دون أن يتحدث ليستمع للمتصل:
_ كله تمام يا باشا، وابن عمران دلوقتي في الطريق لمخازن
القصر..

أغلق هاتفه ببسمة إنتصار ليضع يديه بجيوب جاكيتيه مطلقاً
صغيراً متلذذ بالأحداث التي تكرم عدائه بشكل غير متوقع،
بسمته مصحوبة بالخبت والدهاء والأفعال الشيطانية التي
يتخذها بالخفاء، على عكس "رحيم زيدان" الذي يحتفظ
بمبادئه حتى مع أعدائه...!!!

فتحت عينيهما ببطء شديد لتتضح لها الرؤيا تدريجياً، صداد
رأسها جعلها تلف معصمها حول موضع ألمها، رأتها يجلس
أمامها ويتطلع لها باهتمام، إعتدلت بجلستها ومازالت معالم
الصدنة تستحوذ عليها كونها تستعيد ما تلف من ذاكرتها
الأخيرة، لتتذكر آخر مشهد رأتها، إقترب منها "فارس" مداعياً

الثبات بعدما ابدل ملابسه لقميص من اللون الأسود يعلوه
جاكيت أسود مفتوح يبرز عضلات جسده المتصلب، فأمسك
بيدها قائلاً باستغراب:

__حبيبتي، أنتِ كويسة؟!..!

بدت مرتبكة قليلاً وهي تحاول إستيعاب ما رآته آخر مرة
فقالت بعدم إتران:

__أيه اللي حصل...!

زفر "فارس" بارتياح فقال بكلماته المتخفية بمكر:

__مش عارف كنتِ جايةً عايزاني وفجأة أغم عليكي...
وإحتضن وجهها بيديه بلهفة:

__قوليلي يا روعي حاسة بأيه وأنا اطلبلك الدكتور فوراً...!

فركت "منة" جبينها بذهولٍ مما يهاجم ذاكرتها، فأخترق
صوت "مروان" القاعة حينما قال وهو يدعي إنشغاله بقراءة
الجريدة:

__ها يا "منة" أحسن دلوقتي ولا لسه في إغماءات تاني في
أوضتنا...!

رمقه "فارس" بنظراتٍ قاتلة فأجابها الآخر بارتباكٍ من إنذار
الخطر جوارها:

__لا خدي راحتك أحنا بنفتحها سبت وخميس لإستقبال الحالات

المتعسرة مش كدا ولا أيه يا "فارس...!"

سيطر على غضبه بصعوبة بالغة، فتحولت نظراته لمنة التي تتطلع لملابس "مروان" باستغراب، فما يجوب ذاكرتها أشكال أخرى لما يرتدونه وعلى ما يبدو كانت ممزقة، زاغت عينيها على الجريدة التي يحملها "مروان" فكان يدعي قراءتها وهي بالإتجاه المعاكس له، هل أصبحت القراءة بمعكوس

الكلمات....!

أيقن من نظراتها بوجود خطبٍ ما فعلم ما الذي تتطلع إليه، حمل الجريدة وتوجه لسلة المهملات قائلاً ببسمة ثقة لعدم الفتك بمخططاتهم السريعة:

__حتى الجرايد مبقاش فيها شيء يبهج النفس بقت كلها عن الجرايم والإغتصاب، شيء مقرز..

وألقى الجريدة بالسلة الشبه ممتلئة، لتلتقط عدستها الملابس الممزقة القابعة بقاعها، تلقائياً نهضت "منة" لتتجه إليها سريعاً، فرفعت الغطاء لتجد الملابس الممزقة بداخلها، جز "فارس" على أسنانه بغضبٍ على هذا المعتوه، ألقت الملابس بوجهه وهي تصرخ بعصبية:

__ممكن تفهمني أيه دا؟!...

تحرك فكيه ناطقاً بضيق:

__هيكون آيه يا "منة"، الحيوان قل ادبه عليا وأنا أخذت حقي

منه أكيد مش هقف أتفرج عليه يعني...!

رددت ما قاله بنبرة مثيرة للشكوك:

__قل أدبه إزاي يعني...!

تدخل "مروان" بالحديث، قائلاً بسخط:

__هيكون إزاي ياختي، متخليش دماغك تروح لبعيد ما قولنلك

إنها كانت خناقة بريئة وحصل فيها سوء تفاهم هنغني هنا

للصبح..

جذبه "فارس" من تلاباب قميصه ليعتصره بين قبضته

بغضب:

__أنت بتعلي صوتك عليها وأنا واقف قدامك...!

أشار له بضيق:

__وانت يعني مش سامعها بتلمح لأيه لا ومع أكثر شخص

بكرهه بالحياة...

لكمه "فارس" بقوة ليتمتم بسخرية:

__وأنا اللي بحبك يعني يا...##

__ممكن تخذوا بعضكم وتنزلوا الصالة الرياضية بدل ما

أنتيكات القصر ورقبتكم تنكسر عادي جداً.

صوت إخترق المشاجرة العنيفة بينهما، ليكمل ذو القامة

الطويلة حديثه الساخر وما زال جسده الرياضي مستند على باب الغرفة بتباهي وغرور، واضعاً كلتا يديه بجيوب بنطاله الرياضي الأسود:

وقفوا ليه كملوا...

ثم إستدار بعينه لمن تقف جوارهما:

شوفي لي "سليم" فين؟...

تحركت "منة" بهدوء لتنفيذ ما قاله "مراد" بينما وقف هو يوزع نظراته فيما بينهما، كاد "فارس" بالحديث قائلاً بضيق:
يا "مراد" الموضوع سوء تآ...

بترت كلماته حينما أشار له بالصمت وعينه مسلطة على "مروان" الذي تحولت نظراته لعداء تجاهه، تحرك بجسده المنتصب ليقف أمامه بنظرات ثابتة، مخيفة، ليبدأ بحديثه ذو الطابع الهادي:

ممك تفهمني أيه اللي بيحصل هنا؟...

أجابه بملامح وجهه الشرس:

_زي ما قالك سوء تفاهم ولا أنت مبتسمعش...!

"_مرواااا.."

نداء تحذير إنطلق على لسان "سليم" الذي ولج للغرفة لتو، غلت نظرات "مراد" بنيران كادت بإحراقه حياً، فقال وعينه

متسلطة عليه:

__متدخلش يا "سليم"... أنا حبيب أشوف نهايته أيه...
اندفعت نظراته بشراسةٍ وكأنه لا يعنيه الجوكر بهيبته
المرعبة، إرتبك "سليم" من المواجهة الغير متزنة بالمرّة،
فحمد الله كثيراً حينما قطع "حازم" مجلسهم قائلاً بصوت
أنفاسه المتقطعة:

__في حاجة حصلت لازم حضرتك تعرفها...
بالكد نقل نظراته المتصلبة تجاه "مروان" ليتطلع لحازم الذي
أشار له بضرورة التطلع على ما يحمله، توجه للخروج ولكنه
توقف فجأة ليشير بعينه لمروان:
__كلامنا منتهاش...

وترك الغرفة فأبتعد عنهم بمسافةٍ معقولة تمكن "حازم" من
الحديث فقال بإرتباك:

"__ريان" بيه عايز يقتحم المخازن وعنده ثقة إن والده
جوا.....

إنكمشت ملامحه بذهولٍ فتوجه سريعاً للمخازن الرئيسية
بالحديقة الخلفية للقصر، ليجد "ريان" يهاجم الحرس بكل ما
اوتى من قوة، يحاول إقتحام المكان بعصبيةٍ شديدة، حاول
أحد الحرس شل حركته فعاونه الآخر حينما دفعه "ريان"

بمهاره للخلف وكاد بالإشتباك مع الآخر ولكن تدخل "مراد"
سريعاً حينما ناده بثبات:

"_ريان.."

إستدار للخلف فتوجه ليقف أمامه قائلاً بغضب فتاك:

_ليه مش مسموح لحد إنه يدخل هنا؟...!

ثم قطع الخطوات القليلة بينه ليعود لسؤاله من جديد بشكلٍ مباشر:

_ولا خايفين أعرف باللي خاطفينه تحت سيطرتك انت
و"رحيم.."

ثم إسترسل حديثه بعصبية بالغة:

_لو فاكرين إني ممكن اسكت تبقوا غلطين دا مهما كان
أبويا، سامعني يا "مراد" مش هسكت...

وكاد بالتوجه لباب المعدني الخاص بالمخزن فأستوقفه
"مراد" بلهجته الهادئة نسبياً:

_مين قالك إننا هنخبي عليك او هننكر وجود "عمران" جوا،
بس مدام عرفت بوجوده يبقى لازم تسمع الحقيقة كاملة قبل
ما عرق الرجولة ينط في دمك كدا...

بدى غير راضي بالمره على اسلوبه الإستهزائي، فوقف
قبالته من جديد، ليجيبه بتحدي سافر:

هو أنت فاكِرْ إني هَقَف وأَسمَعكِ!، أنا هَخرج أبويا وحالاً..
وكاد بفتح الباب فأشار "حازم" لمراد بأن يوقفه ولكن رفض
ذلك وأشار له بأنه سيتوالى الأمر، وبالفعل جذبَه برفق قائلاً
بثباتٍ مازال يتحلى به رغم ملامح وجهه الواجمة:

تعالى معايا يا "ريان"...
حدجه بنظرة متعصبة ولكن أمام إصراره لحق به، لمكانٍ
سري داخل القصر ليصعق بشدة حينما رأى "طلعت زيدان"
يقف أمامه، حياً يرزق...!!

إحترق القلب بلهيب الفراق، وإحترقت الروح بجمرات
إختارها بإرادته ليضعها عائق أمام عشقه النابض، وحينما
أزاحها القدر رفضت السماع إليه أو منحه فرصة الاعتذار،
رفضت حتى رؤيته، إزدادت أوجاع "سليم" ولكنه منحها ألف
عذراً لعله يبقى الأمل باللقاء، نعم يبتلع جمرة من نيران
تحرق ما تقابلها بداخل صدره المتأجج، ولكنه مازال يحاول
التحدث معها لأكثر من مرة، فكانت تقسو على ذاتها قبل أن
تقسو عليه...

تسللت للأسفل بحذرٍ شديد، حتى وصلت لمكتب "رحيم"،

فتحت مقبض الباب ببطء حتى لا يصدر صوت يسمع، ألقت نظرة متفحصة على القاعة الخارجية قبل ان تدلف للداخل فألقت الباب من خلفها، لتقترب من مكتبه المتوسط للغرفة، أضاءت المصباح الجانبي الصغير لتتمكن من الرؤيا، فشرعت برحلة بحثها عن الفلاشة الصغيرة ذو اللون الأزرق كما أخبرها، نبحث عن مفتاح رحلة المجهول الذي سيخوضها الجوكر والأسطورة من جديد، نعم فهناك أرواح مازالت تعاني ولكن إبتلاء من نوع آخر، فهو لاء اللغاء يستهدفون الضعفاء من أطفال ونساء، دليل قد يمس أعضاء المنظمة الدولية مسجل بفلاشة يمتلكها "رحيم زيدان" جعلته منيراً لعدوه الجامح، فحاول قدر الإمكان التسلل لعالمه للحصول على ما وقع بيد الشخص الخاطئ، وربما لعبة القدر من خطفت لحظات خاصة بطفولة هذا الشاب الثلاثيني الممثل للمنظمة بمصر...

تهكمت ملامح وجهها بيأس بعد بحثها بكل مكان بمكتبه، فتحت آخر أدراج خزانته فكادت بأغلاقها ولكنها توقفت حينما لمحت صورة لها حينما كانت بالعاشرة من عمرها، يحتفظ بها بخزانته، رسمت على وجهها بسمة ساخرة لتردد بصوت ساخر:

لو مكنتش سمعت التسجيل اللي مع "فريد" كنت صدقت إنك
هو فعلاً... قدرت تلعب عليا صح يا "رحيم" بس صدقتي زي
ما دخلتني بيتك هكون انا السبب في دماره وموتك انت
شخصياً...

وأغلقت الخزانة بغضب، وعينها ترسم أوهام كاذبة نجح هذا
الشاب اللعين برسمها بمخيلاتها تجاه عشق طفولتها، ربما
تغير بعض الشيء ولكنه مازال هو، مازال يدفن أشباح
الماضي بداخله، ولكن.... ماذا لو وضعت امام إختبار الموت
لترى من سيكون حماها؟!، ترى من سيضع السيف على
رقبته ليفديها بحياته هذا الشاب الذي بدعي بأنه "فريد" أم
"رحيم زيدان" الشيطان الملعون بالنسبة لها....

رمش بعينه ببطء، فبدأ بإستعادة وعية تدريجياً، إلتف حوله
فريق كامل من الأطباء المتخصصون بجراحة التجميل، وقد
بدت المؤشرات الحيوية بإعطاء نتائج طيبة وخاصة حينما
بدى "رحيم" بصحة ممتازة مع إستعادة وعية كلياً بعد
ساعات الجراحة، رفعت الممرضة السرير قليلاً ليتمكن من
الجلوس بشكلٍ مريح كما أرد، بدت تعابير وجهه أكثر
إسترخاءٍ مما أثار الدهشة على بعض الوجوه وخاصة على

وجه الطبيب المباشر لحالته، بدى للجميع شخصية مهمة وخاصة الحرس الذي يتبعه وهاتفه الذي يباشر الحديث به منذ ان إستعاد وعيه، وضع "رحيم" الهاتف لجواره، ثم إستند برأسه قليلاً على الوسادة الموضوعة خلفه، لتزور هي غيمته السوداء فأثارها بعينيها المرسومتان بعضلة قلبه النابض، صوتها الرقيق غمر كيانه كاملاً، يتمنى لو يتمكن من رؤياها ولو لدقيقة كاملة تحمي ببسمتها أوجاع جسده، أخبرها من قبل بأنه مستعد لخوض مئات الحروب ولكن إن بقيت هي لجواره....

قطع شروده طرقات باب الغرفة الخافتة، لتدخل من بعدها الممرضة، حاملة باقة من الزهور البيضاء، فقدمتها له ببسمة عملية ، ليتساءل "رحيم" باستغراب:
_من أرسلها؟..

أشارت له الممرضة بكتفيها:
_لا أعلم، تركها أحدهما أمام الغرفة فأحضرتها إليك..
رفع حاجبيه بدهشة فلا أحد يعلم بأنه سيجري جراحة، حتى "مراد" لا يعلم في أي دولة او مشفى ، أو ما برأسه بهزة بسيطة لها:

_حسناً، إتركها هنا..

وضعتها مثلما أخبرها فلمح "رحيم" ورقة بيضاء تلمع
بالباقية، جذبها ليقرأ محتواها...

«زمان عرضت عليك إنك تنضم لنا وأنت رفضت الوقتي
أوبشن العرض إتقفل، بقيت بره الدائرة وأنت فاهم اللي براها
بيكون مصيره أيه..»....

انتفضت عروقه بقوة، وكأن كلمات الرسالة إسترجعته
للماضي، لعدو عاد ليصافح تحديه من جديد، كور الورقة بين
يديه بشراسة ليردد بلهجته الخشنة، المحفورة بالموت
البطيء:

"_بيبرس.....!"

ورفع الغطاء عنه، ثم ازاح الأجهزة المختوقة لجسده، ليحاول
الوقوف على قدميه متوجهاً لباب الغرفة، فكاد بالسقوط أكثر
من مرة لحاجة جسده للإسترخاء، ولكنه حافظ على إتزان
قامته قدر المستطاع ليشير لرجاله فحاوطه باقل من الثانية
ليأمرهم بصوت يرتجف لها العظام:

_هرجع مصر، وحالاً....

إختلت الموازين لعدو أرعن لم يقدر قوة "رحيم زيدان" جيداً
ولكن حينما سيتعلق الامر بشجن قلبه الدافئ سيختلق عاصفة

جحيمها أجساد من تجراً بالمساس بها، فربما إزدادت متاعبه
بالتصدي له أولاً ومن ثم زعمائه اللعناء.....

الفصل الخامس عشر

إختنق تنفسها بصورة غير طبيعية، سعلت بقوة وهي تحاول التنفس، ففتحت عينيها بإستغراب حينما سادت الأدخنة بالغرفة بأكملها، جحظت عين "سارة" بفرع، لما رآته من مشهد دامي كاد بأن يعصف بعقلها وعينيها التي تتطلع للغرفة التي صارت قطعة من الجحيم بنيرانه المستعارة، الأثاث، الستائر، السجاد، كل شيء مشتعل، حتى طرف الأريكة التي تعتلئها، تراجعت للخلف بزعراً حينما كاد فستانها أن يتلامس بنيران الستائر، فأسرعت بخطواتها تجاه باب الغرفة وهي تكبت أنفاسها بيدها حتى لا تفقد وعيها من فرط الدخان المتصاعد، صرخت بهلع حينما سقطت الخزانة المشتعلة أمام باب الغرفة ليصنع حاجز من أمامها فمن الصعب الوصول للباب، بكت بخوف وهي تتراجع للخلف بصدمة من الموت للذي يحوم بها، موتة بشعة لم تتمناها لأحداً يوم، رددت بصوت مرتفع للغاية وهي تبكي بحرقة:

"ريـان..."

وكأنها تطالب بنجدتها، كأن اسمه تعويذة ستخمد النيران من

حولها، تراجعت للخلف بخطواتها المتعثرة ونظراتها الملتاعة وهي ترى النيران تقترب منها بصورة مفزعة، بكت بضعف وهي تحاول حماية جسدها بعجز تام، صوت تهشم زجاج قوي إخترق مسماعها، فتطلعت للشرفة لتجد أحداً يحطمه بمعصمه!، حاولت رؤية وجهه ولكنها فشلت من فرط الادخنة كل ما أسعدها بأنه يوجد أمل بالنجاة، فخرج صوتها المضطرب وهي تصرخ:

__ حد يساعدني...

تسلق ببراعة لحافة الشرفة بعدما حطم زجاجها، ولج للداخل يبدأ بالبحث بالغرفة الشبه محترقة، فوجد "سارة" تسعل بقوة وهي تحاول أن تتفادى النيران من حولها، ولكن سقطت طرف أحد الستائر المشتعلة لتشعل طرف فستانها، صرخت بخوفٍ وهي تحاول إضطرام النيران فحركت طرف فستانها وهي تصرخ بجنونٍ، إقترب منها "جان" باحثاً عما يمكن إستخدامه ولكنه فشل بإيجاد شيئاً فبدون أي تردد إستخدم يديه ليطفئ النيران البسيطة التي تكاد تتشابك بالثوب بأكمله، خبط بيديه على طرفه، فوجده لا ينطفئ فمزق طرفه الطويل عنها، ثم وقف أمامها لتبدو ملامحه أكثر وضوحاً، رددت بصوتها الخافت وهي تتطلع ليديه المحروقة أثر إطفائه

للنيران الفستان:

"_جان...!"

تفحص الطريق من حولها ثم قال بثباتٍ لمحاولة تهدئتها:
_متخافيش يا "سارة" هخرجك من هنا..

أشارت له ببكاء وعينيها تستغيث، سقط العمود الحامل للستار فكاد بأن يصدماها ولكنه جذبها بقوة، ليتفاده بذراعيه الأيمن، فكبّت صرخة مداوية كادت بأن تنفلت منه ليلقيه بعزمه أرضاً، تفحصت إصابته ببكاءٍ وهي تشعر بأن نهايتهم واشكة وخاصة حينما بدأت النيران تسلل لحمام الغرفة وبالطبع سخان الغرفة سينفجر بأي لحظة، جذبها برفق ليوقفها بمكانٍ لحداً ما آمن، ثم توجه لباب الغرفة فحاول إزاحة الخزانة المشتعلة عن الباب قليلاً، ولكنه لم يتمكن، بسرعة بديهية لقطت عينيه الشرفة التي تسلل منها، سيكون من السهل عليه الخروج للياقته البدنية ولكنها لن تستطيع، ولكن لا وقتٍ حتى للتفكير، لذا جذبها للشرفة مشيراً لها بذراعيه:

"_سارة" مفيش منفذ للخروج غير دا...

تطلعت للمسافة الفاصلة بينها وبين شرفة الغرفة المجاورة بنظراتٍ خوف وهي تتفحص المسافة بينها وبين الأرض لتضع بافتراضاتها لحظة سقوطها من هذا الإرتفاع، أشار لها

"جان" بثقة:

_متخافيش مش هسيبك..

أومأت برأسها بدموع، فدانا منها متسائلاً بجدية:

جاهزة؟...

أشارت له بخفة فحملها بذراعيه ليقربها من حافة الشرفة،
لتثبت اقدامها على طرفيها، فلحق بها هو الآخر ليتمسك بيدها
حتى يعاونها على العبور للجهة الأخرى من الشرفة..._

تحرر مقبض الباب جعل قلبه يخفق بقوة، وكأنه نال وسام
لمنتصف الطريق المقطوع، أبدل وجهته ليصعد للأعلى
سريعاً، ثم ولج للداخل بشوق يجرفه للداخل بخطوات سريعة،
ملتاعة لرؤياها، وجدها تجلس على المقعد تحاول إخفاء
دمعاتها الواضحة على وجهها الشاحب، رؤيتها منكسرة هكذا
حطمه للغاية، كانت تحاول التماسك، ورغم ذلك تتحاشى
التطلع لوجهه، جذب "سليم" المقعد المقابل لها، ليضعه على
مسافة قريبة منها، حينها بات الهروب ليس حل منطقي
لمحاصرات نظراته، الألم الذي نبع بداخله بذاك الوقت كفيلاً
بهزيمة رجولته، فتمنى لو تمكن من البكاء، رفع أصابعه
ليقربها من وجهها ليرفعه عالياً في مقابلة وجهه، بينما دقائق

القلب تهمس بخفوتٍ، إرفعي رأسك للأعلى فأنتِ لم تقترفين
أي جرمٍ، إرفعي رأسك حبيبتي فأنا المخطئُ بحقك وبحق
نفسي، أنا من سمح لكِ أن تخوضي هذه التجربة القاسية،
كنت أمل أن نتشارك الآلام سوياً، ولكني كنت أحمق، فأنا
قوي، صلبٍ أما أنتِ فرقيقة لدرجة أن ما رآته عيناكِ حطم
قلبي قبل أن يصل لحصون قلبك، إرفعي رأسك عالياً فأنا
المذنب البغيض وأنتِ فراشة لا يليق بها الحزن ولا تليق بها
الهموم، قفي على قداميك وتمسكي بقوتك، جادليني بأعلى
صوتٍ تمتلكين وحينها سأغفر لكِ ما ستقولين، مهما فعلتي
فأنا أستحق ذلك ولكن ما أراه أمام عيني يحطمني، فأن لم
يتمكن الإبتلاء من كسر شموخي فروياكِ هكذا أقسم لكِ حطم
فؤادي، إرفعي رأسك بكبرياءٍ فأنتِ محبوببة القلب ومن
ترجتها الروح لتتلبسها بعشقٍ دام منذ أول لقاء، أول نظرة،
حينما كنتِ تخطين أول خطواتك وأنا لجوارك أشدد على يديكِ
الصغيرة، كنت لجوارك منذ الوهلة الأولى، كنت أبتهج لرؤياكِ
ترددين إسمي بطفولية تمكنت من فؤاد جوارحي، كنت صبي
لا يتعدى الست سنواتٍ ولكني أشعر تجاهك بشيءٍ يصعب
وصفه، إرفعي رأسك فإن كنتِ أنا الشوكة التي ستحني رأسك
سأكسرهما لتستكملين طريقك حتى ولو كان من دوني!!!!

أفصحت النظرات عن الكلمات التي عجز اللسان عن قولها،
فطافتها دمة "ريم" الحارقة، منحها بسمه صغيرة، غامضة،
ثم تركها ونهض ليغادر، تمسكت بذراعيه لتبدأ بالحديث بنوبة
من البكاء:

__خليك جانبي..

أغلق عينيه بقوة يستلذ نبذة صوته الذي يطرب روحه، يدها
التي تلامس يديه الصلبة أنعشت قلبه بلمستها التحفيزية
لمشاعره، إستدار تجاهها، ثم إنخفض لينحني على قدميه،
فكان مقابلها، يتأمل ملامح وجهها الباهت، فقالت بعذاب
كلمات تذبجها:

__محتاجة وقت يا "سليم"...

ثم قالت بنبرة باكية:

__محتاجة أنسى اللي شوفته....

إقترب بوجهه منها ليستند بجبينه على جبينها، قائلاً بصوت
لفح وجهها ليستحوذ بتأثيره الرجولي عليها:

__الي شوفتيه شخص مغيب عن الواقع، ميعرفش هو بيعمل
أيه، "سليم" مفيش غير واحدة هي الي بتحرك غريزته، هي
الي قدر إنه في لحظة ضعف منه قدر يتحكم في نفسه
عشانها...

أغلت عينيها بخجلٍ حينما ذكرها بالليلة التي جمعتهم سوياً
من قبل حينما كانت تخشى لقاء "رحيم" بعدما هربت مع
"نغم"، تذكرت كل ما حمل من شغف ورغبة ورغم ذلك لم
يتمكن من كسر فرحتها المستحقة، إمتنع عنها لتزف له
بالأبيض، حقها الطبيعي مثل أي فتاة، إنخفض ليتطلع لشفتيها
المرتجفة بنظرة خفت إليها جوارحه، فمنحها الأذن بإقتباس
القليل من ريقها، غمرها إحساس إفتقده لفترة، وها قد عاد
ليحتضنها من جديد، تلقائياً وضعت يدها لتستند على صدره
لتلامس دقات قلبه المشتعلة بجنون، إحتضن وجهها بيديه
بقوة وكأنه يرفض تهربها الغير مقبول، إبتعد عنها بأنفاسٍ
سرى صوتها برجفة باردة لجسدها، همس بصوته المتقطع:
_حبك، قلبي مفهوش مكان لغيرك.....

إرتسمت بسمة خافتة على شفتيها وهي تسترق النظرات
لعينيه المتيمة بالشغف تجاهها، إبتعد عنها بإستغرابٍ حينما
تسلل إليه صوت صراخ وضجيج مريب، فنهض مسرعاً
ليخرج من غرفتها فإذا بدخانٍ مريب يقابله، سعل بقوة وهو
يشير لها بحزم:

خليك جوا يا "ريم".

ودفعها لغرفتها بالقوة ثم أغلق بابها ليتجه سريعاً لمكانٍ

الناشب به الحريق...

صعد لغرفته بتعبٍ شديد، بعدما إنتهى من امر والده، ورغم سخطه الشديد على ما يفعله إلا إنه قدم له ما إحتاجه من مال وسيارة وغيرهما، مرر "ريان" يديه حول رأسه بحركاتٍ دائرية تخف من حدة الصداع الساكن بها، كاد بتخطي الطابق للأعلى، ولكنه وقف يتأمل أثر الدخان القادم من نهاية الرواق بملامح منكماشة بذهولٍ، تتبع أثرها لينقبض قلبه ويوخز دقاته بخفقٍ مرعب، أسرع بخطواته الشبيهة بالركض لباب غرفتها، فوجد "سليم" يحاول فتح باب الغرفة الذي لا يستجيب إليه، هرع إليه وهو يصرخ بصوتٍ مسموع لمن بالقصر بأكملهم:

"_سارة...."

تطلع له "سليم" وهو يحثه على معاونته بكسر باب الغرفة، فدفع معه بقوته حتى تحركت الخزانة فور قوتهم معاً، لينفتح باب الغرفة على مصراعيه، إندفع "ريان" للداخل بدون تفكير، فإنتبه "سليم" لإشتعال اسلاك سخان حمام الغرفة، فجذبه للخارج بالقوة، صارخاً به:

"_ريانا"، حاسب...."

وجذبه للخارج لتنفجر الغرفة بصوتٍ مدوي خرج على اثره
الجميع من غرفهم، ليجدوا "سليم" منبطح أرضاً ويحاول شل
حركة "ريان" الجنونية الذي يود الإندفاع للداخل وهو يصرخ
بجنون:

"ســـــارة..."

كاد بالدخول للغرفة فقيده "فارس" و"مروان" جيداً وحينما
كاد بالتحرر من قيودهم انضم إليهم "آدم" فقال بتأثر:
_إهدى يا "ريان" مش هتعرف تدخل الاوضة كلها والعة
مفيش امل إن حد عايش...!

غزت كلماته قلبه المهزوم، فسقطت أرضاً بحالة محطمة لمن
حوله، وهو يحاول ان يستوعب هذا الجزء الأخير، تجمعت
حولهم الفتيات فبكت "سلمى" بتأثر لتذكرها طلب "سارة" بأن
تمنحها الغرفة للاحتفال بعيد ميلاد زوجها، تجمهر حولهم
التكتلات البشرية الحاملة لزي باسم "رحيم زيدان"،
يتفحصون ما يحدث وسبب هذا الحريق، جذب "سليم" مطفأة
الحريق ليحاول إخماد النيران المشتعلة ليصرخ بهم ساخراً:
_بتتفرجوا على ايه، طفوا النار بسرعة...

إنصاعوا إليه جميعاً، فتركهم وتوجه لريان الساقط أرضاً
والجميع يحاول التحكم به وكأنه تحول لقوة موقدة وهو

يحاول إختراق النيران لإنقاذها، سعة خافته أتت من خلفهم
لتجذب الإنتباه، تطلعوا جميعاً للخلف فإذا بجان يعاونها على
الحركة وهي تستند على ذراعيه بعينيها الحمراء وأنفاسها
البطيئة، فما أن لفح وجهها الهواء النقي حتى سقطت أرضاً
مغشي عليها، إنتفض قلب "ريان" بنبضٍ منعش لحالته
البائسة، ليقف على قدميه ويسرع ليجذبها إليه، رطم وجهها
بخفة أصابعه وهو يناديها بلهفة:

"_سارة...!"

فتحت عينيها الثقيلة وهي تحاول إلتقاط أتفاسها، فمنحته
نظرة مطولة تطمئه بها عنها، ثم فقدت الوعي بين ذراعيه،
فزعت "سلمى" حينما رأت "جان" يقف أمامها بذراعيه
المحروق ولائحة يديه التي تنزف بغزارة، هرولت إليه لتتفقد
جروحه قائمة بدموع:

"_جان" أنت لازم تروح المستشفى فوراً...

لم يعنيه جرح يديه ولا الحروق التي تؤلمه، رؤيتها تقف على
قداميها بأفضل حال جعل آلامه تخمد ببطء، جذبها لأحضانه
بقوة وهو يزفر براحة كبيرة، اللحظات الضيئلة التي إختبارها
ليدخل الغرفة وظنونه تطارده بأنها بالداخل جعلته يموت ألف
مرة لذا لم يتردد لثانية واحدة بإنقاذ "سارة" فهو يعلم كيف

سيختبر "ريان" إحساس بئس هكذا، شددت "سلمى" من
إحتضانه بإستغرابٍ لما يحدث معه فأخترقت نظراتها بعين
"ريان" الذي عاد للحياة من جديد لتعلم ما الذي أصاب
زوجها، أشار "سليم" لمروان بهدوءٍ:
"مروان"، إطلب دكتور...
أوماً برأسه:
_حاضر...

حمل "ريان"، "سارة" وتوجه لأحد الغرف المجاورة له
فوضعها برفق على الفراش ثم خرج ليجد "جان" يجلس على
الأريكة المجاورو للغرفة، ولجواره كانت تجلس "سلمى"
تحاول بيد مرتحفة ودموع تغزو وجهها أن تضع الكريم
المرطب للحروق على يديه المتأذية بغزارة ولكنها كانت
تراجع بخوفٍ، إقترب منها "ريان" ليمد يديه لها قائلاً:
_هاتي يا "سلمى"...

رفعت عينيها تجاه يديه الممدودة فقدمت له علبة الإسعافات
الأولية بنظراتٍ ممتنة، جلس "ريان" جواره ليضع الكريم على
حروق يديه والآخر يغلق عينية بقوةٍ والألم يختلج صدره،
تأمله بحزنٍ، فقال بإمتنانٍ:

_مفيش كلمة شكر توفي الي عملته، إنقاذك لسارة رجعني

أنا للحياة...

فتح "جان" عينيه ببطء ليجيبه بثبات:

__معملتش كدا عشانك__

إسترعى كلماته إنتباه الجميع إليهم فتطلعوا بإنتباه ليسترسل

حديثه ببسمة هادئة:

__لأول مرة أحس إن ليا عيلة، كنت بعمل كدا لنفسى لاني

حاسي إنها مسؤولة مني...__

ثم تكلع لآدم، فارس، مروان، سليم، الفتيات قائلاً ببسمة

ساخرة:

"__رحيم زيدان" نجح إنه يخلينا عيلة....__

تطلع "فارس" لمروان بنظرة عميقة فبادلته الآخر ببسمة

واسعة بعدما حاوطه بذراعيه لبهمس بخبث:

__من ساعة ما إبتديت تساعدني في العيادة عشان أفاجئها

وأنا حاسس إن كلام "جان" صح....__

لوى "فارس" شفتيه بضيق..:

__لا والله واللي امنلك حماية لما روحت تتخانق مع الكلاب

دول...!__

تطلع "مروان" تجاه "ريان" بخوفٍ ليصيح بغضب:

__ما تروح تسمع اخويا احسن كدا مش سمعك__

زفر "سليم" بغضب:

__إنتوا شايفين إن دا الوقت المناسب لخنقة الأطفال دي...
وضع كلاً منهما عيناه أرضاً بأقتناع، فطوف "آدم" ذراعيه
حول كتفي شقيقه ليسأله ببسمة مغتظة:

__خنقة إيه دي يابو الفوارس، مش كنا عقلنا..
أجابه بتذمر:

__أنا عقلت إنتوا لا، أنا يدوب بساعد بس...
رد عليه بسخرية:

__لا طول عمرك ابن أصول ومفيش إختلاف على كدا...
أخفض "ريان" رأسه بضيق من الصراع المتكرر وإزداد
الأمر سوءاً بإنضمام "آدم" العاقل بعض الشيء، قابله
"جان" ببسمة مشاكسة وكأنه يذكره بالجزء المصان
بالأسرار تجاه مغامراتهم سوياً فربما شباب عائلة "زيدان"
يحملون نفس العرق النابض بالمشاجرات الدائمة...

قيدوه على عمود متهالك بجوارهم بينما وضعوها في مقابله
أرضاً، سلّطت نظراته عليها وهي تتحاشى التطلع إليه، بخزي
بما فعلته بحقه وبحق ذاتها، إرتجف جسدها حينما إستمعت
لصوتِ خطوات تخترق الغرفة المتهالكة لتستقر أمام

"رحيم"، نظراته الثاقبة لم تتأثر بتأناً لمن يقف أمامه، إبتسم
بسخرية وهو يتأمله مقيد، فقال بسخرية:

_تو تو، معقول ينتهي بيك الحال كدا؟!..!

بدت ملامحه أكثر إترانٍ مما جعل "بيبرس" يثور غيظاً فحاول
إستنزافه، حينما تحرك تجاه "شجن" فألقى عليها نظرة
متفحصة قائلاً بإستهزاء:

_بصراحة ان متوقعتش إن حته بت زي دي تجييك على ملى
وشك، كان آخر توقعاتي وأنا بدورك على نقطة ضعف تخليك
تسلملي الفلاشة...

ثم كاد بلامسة وجهها وهو يقول:

"رحيم زيدان" مش بيسيب حقه، يمكن مصمم ينقذك عشان
ينتقم منك بطريقته...

إخترق صوت "رحيم" الشرس الغرفة ليأمره بحدة:

_إيدك لو لمستها هقطعهاك...

إتسعت بسمته بإنتصار، فتركها وتوجه ليقف أمامه قائلاً
بنظرة متفحصة على جسده الذي بات منتصب بعضلاتٍ
إكتسبها بتمارينه المهلكة فقال قاصداً التقليل من شأنه:

_الله يرحم لما كنت بتدارى فيا من المساجين..

لاح على وجه "رحيم" بسمة شبه ساخرة، وهو يجيبه بثقة:

أهو المواقف دي بقى ليها الفضل بتكوين الشخصية اللي
قدامك دي، ولو أنت فعلاً شايف نفسك راجل فكني..
حاول يهينه فأهاناه الآخر بتحدي صريح، حرر قيوده بغضب،
ثم بدأ بتسديد لكمته تجاه "رحيم" الذي قبضها بين معصمه
بقوة، ليناوله لكمة أسقطته أرضاً ومن ثم خنق رقبته بقدميه
معاً ليسدد له ضربات متفرقة لكسر عظام جسده بحرافية
جعلت فريسته يتلوى ألماً، تابعت "شجن" القتال فيما بينهما
بخوفٍ عليه رغم أنه يتقدم ولكنها تخشى عليه من رجال
"بيبرس"، أفرغ "رحيم" ما بداخله من غضبٍ ثائر ليصيح به
بعصبيةٍ بالغة:

كنت فاكِر إن في يوم عقلك هيرجعلك وهتسيب الطريق
الزبالة دا عشان كدا رفضت أسلم الفلاشة لحد بس الظاهر
إني كنت غلطان...

وإزداد من ضغطه على جلد رقبته ليستكمل سبابه:
غلطت ودلوقتي بدفع التمن لما حيوان زيك ميعرفش يعني
أيه رجولة بيستغل مراتي بكل أسرارِي اللي إستأمنتها مع
كلب كنت فاكِر إنه صديق....

وناوله ركلة قاسية أسفل بطنه ليأوه من شدة الألم بينما
يستكمل الاخير تحكمه بمجرى تنفسه قائلاً بغضب:

__الغلطة اللي إرتكبتها دي ملهاش عقاب عندي غير الموت..
كاد "بيبرس" بأخراج السكين من جيب جاكيتيه ليطن "رحيم"
"حتى يتخلص من قبضته، فضرب الأخير يديه أرضاً أكثر
من مرة حتى تحرر السكين من بين قبضته، فجذبه "رحيم"
ليضعه على عنقه ثم كاد بقتله، ولكن تحولت نظراته تجاه
"شجن" الباكية وقد ترددت كلمات "حنين" على مسمعه،
فألقي بالخنجر بعيداً عنه ليوجه كلماته إليها وعينه تتعمق
بنظرات عينية:

__بالنسباك "رحيم زيدان" القتل عنده اسهل شيء في حياته،
مفيش فرصة أحلى من دي إنك تشوفي بعيونك طبيعية
الحيوانات اللي بتعامل معاها، بس انتي صح انا لازم اكون
شيخ جامع وقت ما بمارس مهنتي مع حيوان زي دا..
وألقي الخنجر من يديه، ليحرر بيبرس بإرداته ثم وقف ليشير
لها بعصبية:

__أنا سيبتة يعيش عشان تشوفي بنفسك قذارة الأشكال اللي
زي دي..

اخفضت نظراتها الباكية لبيبرس الذي زحف بقدميه ليفتح
باب الغرفة ويصرخ بالرجاله كالفأر الذي وقع أسير لمصيدة
القط الشرس، وبالفعل تجمعوا حول "رحيم" الذي ضيق

عينية المندفعة بشراسةٍ مخيفة، ليرفع صوته بقوة:
" _مراد.. "

إشارة إنتظرها الجوكر من شريكه وما ان إستمع إليها حتى
غمر الرصاص الحي المكان بأكمله، ليقضي على رجاله
بأكملهم بثواني معدودة وكأنه كان يترابص لهما والدقائق
التي غابها كان لرصد المكان جيداً والتعارف على أماكنهم
حتى يصيبهم بحرافية عالية، جذب "رحيم" "شجن" خلف
احد الحوائط ليحرر قيودها تاركاً المعركة للجوكر المصون
الذي أنهاها بصدرأً رحب...

حرر قيدها وهي تتحاشى التطلع إليه، فوضع يديه برفق على
جرح جبينها، يحاول ان يوقف الدماء المندثرة، فقالت بدموعٍ
وعينها أرضاً:

_أنا آسفة يا "فريد" أنا كنت فاكرة آآ...

بترت كلماتها حينما قال بنظرات عينيه الزيتونية الثاقبة:
" _رحيم" ... "رحيم زيدان" ،، "فريد" مات خلاص، وبفضلك
مبقاش له وجود..

رفعت عينها تجاهه، لتجيبه بشهقاتها الخافتة:

_أنا كنت غبية فعلاً...

وتمسكت بيديه بترددٍ لتستكمل بدموعٍ:

__إديني فرصة أصلح الغلط اللي إرتكبته..
تعمق بعينيها وبلمساتها التي قد كانت تسعده يوماً غير هذا
اليوم، ليجيبها ببسمة ألم:

__أي فرصة يا "شجن"!..فرصة لإنك كنتِ على مشارف
درجات الخيانة ولا لإنك خدعتني وإدنتي أمل ارجع أعيش
وأتغير، ولا لإنك فشلتني بعد كل اللي عملته إنك تتعرفي
على "فريد....!"

وتركها ووقف ليتطلع تجاه "مراد" الواشك على قتل هذا
اللعين فأشار له بحزم:

__لأ عايزه حي، القتل رحمة على اللي هيشوفه على ايدي...
ثم إستدار بجسده تجاهها ليستكمل كلماته الساخرة:
__مبسوط إنك سمحتي لنفسك تسمعي الكلب دا وأنتِ
المفروض على ذمتي..

ثم إقترب ليقف على مقربة منها هامسٍ بسخرية:
__عارفة لو كنت إتاخرت عليكِ كنت هجيبك مين؟!...!
وتأمل عينيها الباكية ليرد على سؤاله بهمسٍ خافت حتى لا
يستمع إليه أحداً:

__من أوضة في اي بيت دعارة..
شهقت بصدمةٍ وهي تحاول إستيعاب ما يقول فهز رأسه

بتأكيد لما إستمعت إليه وبسمة الإستهزاء تعلو ثغره:
_مهو البيه عنده شبكة دعارة دولية، بينقي الستات اللي
تعجبه وبيسفرهم بطريقته، وأنت جاية معاه برضاكي مفيش
أسهل من كدا..

إنفطرت بالبكاء الحارق فعاد ليستكمل حديثه ببسمة ألم:
_كنا في زنزانة واحدة وإعتبرته صديق، يعرف عني كل
كبيرة وصغيرة لحد ما عرفت سره القدر دا مقبلتش أكون
معاه لما عرض عليا إنهم يهربوني معاه من السجن، رفضت
الشغل دا ورفضت مساعدتهم وفضلت أعاني جوا حطان
السجن دا عشان مشفش في عيونك نظرة إستحقار..
ثم إنحنى ليقترّب منها هامس بأذانيها وصوته يلفح وجهها:
_عملت كل دا عشانك..

دموعها تمزق قلبه ولكنه بحاجة للحديث، فعاد ليسترسل ما
قاله:

_وبعد السنين دي كلها ظهر في حياة "رحيم زيدان" لما
مسكتهم متلبسين وهما بيخطفوا البنات الصغيرة ويهربوهم
برا مصر، وطبعاً هددني إنه هيفضح سر "فريد" فأنا كان
ردي عليه ساخر زي ما سمعتي بالجزء اللي سجلهولي...
ثم إبتعد عنها ليغمرها بنظرة أخيرة ختمها بقول:

اعتبريه آخر تبرير مني مع آخر لقاء هيجمعنا...
وتركها "رحيم" وغادر من المكان بأكمله بعدما إمتلأت قوات
الشرطة المكان، فجلست أرضاً تبكي بقهرٍ وهي تتأمله يبتعد
عنها، أشفق "مراد" على حالها، فأشار للشرطي بتوالي
مهامه بالقبض على هذا اللعين ثم توجه ليقف من أمامها،
جذبها من ذراعيها ليعاونها على الوقوف قائلاً بهدوء:

قومي يا "شجن.."

نهضت لتقف امامه قائلة بصوتٍ مرتجف:

أنا غلطت غلطة كبيرة يا "مراد.."

رفض أن يكون قاسياً بحديثه يكفي ما تلاقاه فقال بثبات:

غلطتي بس لسه في فرصة تصلحي غلطك...

أجابته بياس والدموع تبلل وجهها الأحمر:

اعتذرت كثير وهو رافض يسمعي..

أجابها بلهجته الهادئة:

في أخطاء ميغفرهاش الاعتذار يا "شجن...."

وضعت عينيها أرضاً بحرج لمعرفة ما يرميه عليها من كلماتٍ

تحوم لأيجاد معنى غير صريح، حك طرف انفه بثباتٍ وهو

يحاول رسم بسملة لطيفة:

مستانية أيه، روعي وراه. وأعملي أي حاجة عشان تخليه

يسامحك..

هزت رأسها بإقتناع وهي تلاحقه، فأسرعت بخطاها وهي
تبحث وسط حشد السيارات عنه، وجدته يتجه للسيارة
المصفوفة بنهاية صف السيارات ليستقبله حراسه الخاص
بفتح بابها، بعدما إرتدى نظاراته السوداء القاتمة ليحجب آلام
عينيه، كاد بالصعود للداخل ولكنه توقف حينما إستمع
لصوتها المنادي:

"_فريد...!"

استدار للخلف، فخلع نظاراته ليتخشب محله بصدمةٍ حينما
وجدها تسحب السلاح من يد أحد حراسه لتضعه على رأسها
بدموعٍ تنساب ببطء لتقول وعينيها تتعمق بزيتونية عيناه:
_لو مقدرتش تسامحني إزاي هسامح نفسي...!
إنقبض قلبه وهو يتأملها بصدمةٍ وكأن جسده أصيب بشللٍ
جعله عاجز عن الحركة، عاجز حتى عن النطق...!!!

الفصل السادس عشر

راقبته بعيناها الغائرة بالدموع وأصابع يديها المرتجفة تشدد
على السلاح، وهو يحاول الإقتراب منها قائلاً بثباتٍ ويديه
ممدودة إليها:

__دا مش الحل.

هزت رأسها بإنفعالٍ ليتحرك فكيه المرتجف:

__لأ، أنا أستحق الموت...

قال وعينيه تتطلع إليها بألمٍ وقد خضعت لهجته للإنكسار
قليلاً، فلا بأس بأن يهون عن ذاته:

__لسه مصممة توجعيني، كل اللي بتعمله دا بيقتلني، لو أنت
مش قادرة تستوعبي إنت بالنسبالي أيه يبقى على الأقل
سيبني أتنفس...

كلماته حطمت أسوار قلبها العالية، اجتاحت مشاعرها لتعاتبها
بقسوةٍ عما فعلته، وقفته الثابتة، شموخ قامته، تمنحها أمل
خادع بأنه سيتخطى ألمها لقلبه، ولكن عينيه الحزينة تجلدها
بسواطٍ لا مفر منه، تسلل الجوكر من خلفها بخفة، ليسحب

عنها السلاح قائلاً بسخرية غاضبة:

_قولتلك خليه يسامحك بأي طريقة مش تقتلي نفسك...!
رفعت عينيها الباكية تجاه "رحيم" الذي تحرك للسيارة بعد ان
انتشل "مراد" السلاح من يديها، أسرع خلفه بخطواتٍ
شبيهة بالركض قائلة بدموع:

_كان غصب عني....

لم يستمع إليها وأكمل طريقه لسيارته، ففتح السائق بابها
ليستقر بالمقعد الخلفي أمر إياه بالتحرك، ركضت خلفه وهي
تحاول الصراخ ليصل صوتها لمسمعه فقالت ببكاء:

"_رحيم..."

التوت قدميها فأختل توازنها لتسقط ارضاً بقوة خدشت ساقها
ويدها فصرخت بتوجع ولكن ألم قلبها يضاهي عذاب الجسد،
إنتهت لصوت مراد حينما رفعه قائلاً:

"_شجن.."

إشارة عينيه نبهتها تجاه السيارة التي توقفت ليهبط منها
"رحيم" الذي إقترب منها لينحني مقابلها يتفحص جرح يدها،
إستغلت وجوده لجوارها فأحتضنته بتملك وهي تهمس

بصوتها الملتاع:

_أسفة...

أغلق عينيه بقوة وهو يكبح عاطفة مشاعره تجاهها، تحتضنه
بملى إرادتها وهو كالعاجز حتى عن ضمها لصدره، رفعها
عن الأرض ليجملها بين ذراعيه ثم وضعها بسيارته وهي
مازالت تتشبث بجاذبيته حتى لا يتركها ولكن ترى كلمات
الأسف ستمحي أنين القلب..!

صوته الرجولي إقتحم عالمها المظلم، عالم لجأت إليه حينما
غابت عن الوعي، لمسات يديه المشددة على معصمها بقوة
جعلتها تسترد وعيها ببطء شديد، وجدته يجلس جوارها
وينحني تجاهها ليمرر يديه برفق على حجابها المعقود بإحكام
حول رأسها، همست بصوت مضطرب للغاية:

"_ريان...."

أتاها صوته المتلهف وهو يتطلع لها بعينه العاشقة:
_جانبك حبيبتي...

ثم طبع قبلة عميقة على جبينها، قائلاً بامتنان:
_الحمد لله إنك بخير.... أنا قلبي كان هيقف...

تمسكت به ببسمة هادئة رسمتها بالكد وهي تحارب دمعاتها
التي تلمع بعينها، فأى مصيراً مؤلم كانت ستنااله منذ قليل،
طرقات على باب الغرفة جعلت نظراتها المهمة تصوب

تجاهه، ولج "جان" للداخل وإتبعته "سلمى"، فأقترب من

الفراش ليتساءل بحرج:

أحسن دلوقتي؟...

ردت عليه ببسمة صغيرة رسمت على وجهها المجهد:

الحمد لله..

ثم قالت بإمتنانٍ لما بذله لإنقاذها:

شكراً على كل اللي عملته عشان تنقذني من النار...

أجابها "جان" بثباتٍ وقد بدى الحزن يتعمق بنبرات صوته:

مفيش داعي للشكر أنت بالنسبالي زي "فاطمة...."

إرتسمت على وجهها بسمة مشرقة، وكأنها كانت تراجع ذاتها

بقرارٍ ما يخصه ووجدت إنها تمتلك الحق لمنحه الصفح عما

إرتكبه بحق أخيها وخاصة وإنها رأته بعينيها تجاهه الموت

لأجلها، ولج شباب عائلة "زيدان" تباعاً للداخل، فبدأ

"مروان" بالحديث قائلاً:

ألف سلامة عليك يا "سارة"..

أجابته ببسمتها الرقيقة وصوتها المتقطع:

الله يسلمك...

قال "آدم" هو الآخر:

ألف سلامة عليك يا أنسة "سارة"..

شكرته بنفس بسمتها الثابتة، فقال "فارس" هو الآخر:

__حمدلله على سلامتك يا "سارة"...__

أجابته بأبتسامة مشرقة وهي ترى لأول مرة عائلة "زيدان" بمكان واحد يجمعهما وخاصة لأجلها، وقف "سليم" على باب الغرفة يتابع ما يحدث ببسمة صدمة وعدم تصديق، لطالما كانت العائلة متفرقة ليس فقط بالتجمعات ولكن لكلاً منهما عالمه الخاص، فحتى إذا مرض أحدهما لا يعلم الآخر من كثرة المشاغل والطرق المتفرقة المتبعة، وقف "مروان" جوار "فارس" فقال بصوتٍ خافت وهو يتابع نظراته العاشقة تجاه "منة" التي ولجت للتو للإطمئنان على "سارة" بصحبة الفتيات:

__خلي عندك دم، أخوها واقف...__

أخفض نظراته عنها وتتطلع له بغضبٍ، كبت بلهجته الساخرة وقد إرتفع صوته ليكون مسموع من الجميع وعلى رأسهم "يارا" التي ولجت منذ دقائق:

__تعرف تخليك في نفسك ومذكرتك، أنا مش عارف بجد طالب أيه دا اللي سايب الجامعة بتاعته وقاعد يفكر في الارتباط والحب!!، دا أنا وأنا في سنك كنت بذاكر ليل نهار عشان ربنا يسهلها وأعدي للسنة اللي بعدها...__

انتصب بوقفته متناسياً من حوله، ليجيبه بضيق:
_الله يرحم لما كنت بتعدي من بلكونة للتانية والعبد لله شاهد
عليك...

جذبه "فارس" من تلاباب قميصه بعصبية بالغة:
_أنت كنت بترقبني يا حيوان...!
أوما برأسه بتأكيد فأضاف الآخر بشراسة:
_كدا!، طيب شوف مين هيساعدك يا خفيف..
تنازل عن عصبيته ليتمسك بمعصمه ببسنة ترسم بغيظ:
_عيب ياسطا دا أحنا إخوات وستر بعض..
أجابه الآخر بحدة:

_ألعب بعيد يا بابا شطبنا...
جذبه "مروان" بغضب:
_لا بقولك أيه هتتمادي في الكلام نرجع لنقطة الصفر
ونبتديها خناق عادي جداً...
ضيق "فارس" عينيه بتفكير ثم قال بعد دراسة الموقف جيداً:
_وعلى أيه، نرجع أخوات احسن بس قولي إحساسك ايه
وأنت بتحب واحدة أكبر منك...!
رفع صوته بإعتراض جلي:

_بسنة بس والكلام خارج المنهج المخصص ليك مرفوض

إنت ليك تساعدني لحد ما أشقظ المزة....

إنتبه "فارس" لريان الذي يقف خلف "مروان" كالذئب
الشرس الذي يترصد لكل حرفٍ يقال، ليس عند هذا الحد فقط
بل للجميع وخاصة "سليم" الذي منحه نظرة عدائية مصطنعة
تجاه الجزء الأخير المعترف به بالتعدي على غرفة شقيقته،
جذب "ريان" ياقة قميص مروان مردداً بسخرية:
_الله دا أحنا فينا حيل نشقظ مزز تانية أهو لكن نعيد سنة
رابعة مرة رابعة عادي جداً...

إنقبضت ملامحه بخوف، فقال بارتباك:

_هو أنا قولت كدا..!

أشار له "آدم" قائلاً بسخرية:

_دا انت لو عطيتك حبوب شجاعة مش هتقول اللي قولته...
تعاليت ضحكات "جان" بمرح ليؤكد على حديثه وهو يتطلع
تجاه "يارا" الذي تلون وجهها بحمرة الخجل القاتلة لوضوح
مقصد "مروان" بها، تدخلت "سما" بالحديث قائلة بسخرية:

_هو أنت خلّيت ولا بقيت يا عم "مروان" الحمد لله إني
عمري ما أستمّنك على سر والا كان زمانه نازل على قناة

المحور....

رمقها بنظرة غاضبة ليشير لها بمعصمه:

__معتش غير "بسيوني" كفة اللي عنده أسرار....
هو كف سداسي الأبعاد على رقبتة ليجذبه "آدم" ببسمة
عريضة متسائلاً بخفة:

__هو أنا من أول ما رجعت من اميركا إتعرضتلك في حاجة يا
"مروان"؟..

أجابه بثباتٍ وهو يفرك رقبتة بألم:
__لأ...

عاد ليتساعل من جديد:
__ضيقتك بكلمة رغم إنك انت وأخويا زي القط والفار؟...
رد عليه بعد تفكير:
__لأ...

هو على رقبتة بضربة أخرى ليجيبه ببسمة واسعة:
__أمال بتتعدى على مراتي وأنا واقف ليه؟...
أجابه بألم والخبث يسكن بلهجته:
__تصدق بالله لو "رحيم زيدان" مكنش جمعنا الجمعة السوداء
دي كنت نسيت فرق السن بينا عادي جداً ونزلت على قفاك
بأحلى قلم...

تمردت نظراته فعاد "مروان" ليعدل كلماته:
__شوف زعل إزاي وأنا بقوله كنت مش هكون...

حرره "آدم" ببسمة مشاكسة على المرح السائد فيما بينهما ،
بينما راقب "سليم" ما يحدث بعدم تصديق فخرج من الغرفة
ليرفع هاتفه بحماس زف كلماته لمن يستمع إليه:
_نجحت يا "رحيم"، لو سمعت من حد مستحيل كنت هصدق
الا لما أشوف بعيوني....

على الجهة الأخرى، الصمت يسيطر بقوته على معالم وجهه
الخشبي، يتطلع من أمامه بسكون عجيب، أغلق هاتفه فور
سماع ما قاله "سليم" فكان الدافع إليه والمحمس لقراره
المصيري، توقفت سيارته أمام باب القصر الداخلي فحملها
بين ذراعيه ثم صعد للأعلى دون ان ينطق بحرف واحد يهدئ
عاصفة الأسئلة التي تلاحقها بلا توقف، وضعها "رحيم"
بفراشها ثم كاد بالخروج من الغرفة فأسرعت خلفه لتحتضنه
من الخلف قائلة بصوت مبجوح للغاية:

"_فريد...."

أغلق عينيه بضعفٍ تكاد تخرجه من ثباته المصطنع، رفع
يديه ليضعها فوق يدها الممدودة على يديه، ليبعدها برفق
عنه، ثم إستدار ليكون مقابلها، تأملته "شجن" بنظرةٍ عبرت
عما يكبته القلب من مشاعرٍ جرحت بيدها، ففتكت بقلبها قبل
أن تصل لقلبه، تمنى ان تعبر كلماتها عن جزء بسيط يثور

بداخلها فقالت:

_أنا عارفة إن اللي عملته صعب، بس كان غصب عني، أنا فعلاً كنت مرتبكة ومش عارفة آآ....

بترت كلماتها حينما إبتسم ساخراً على جملتها الأخيرة فقال باستهزاء:

_مرتبكة... !

ثم تطلع لها بغضب، فرفع صوته بجنون:

_مرتبكة في إنك تميزي بين "فريد" ولا إنك تخوني ثقة الراجل اللي على ذمته...

ضيق عينيها بصدمة من كلماته، فاستطرد بقسوة:

_ولنفترض إن الكلب دا كان كلامه صح إزاي قبلتي على

نفسك إنك يجمعك علاقة براجل وأنت ست متجوزة...!

تراجعت خطوة للخلف بخجل مما فعلته، فعاد ليستكمل حديثه

من جديد:

_أنت مش بس جرحتيني إنت كسرتيني وهنتي رجولتي قدام

أخويا ورجالتي...

وحدجها بنظرة مميتة:

_متحلميش إنني ممكن أسامحك في يوم من الأيام..

وترك الغرفة دون أن يضيف كلمة أخرى، ليتوجه سريعاً

لجناحه الخاص، أغلق الباب من خلفه لتتهار حصون قوته،
سمح لساقه بالإنسياب ليجلس أرضاً، شدد على خصلات
شعره بقوة وهو يحارب الا تسقط تلك الدمعة المحطمة
لهواجسه، سقط لتزيح عنه قناع البرودة وتؤكد له بأنه يمتلك
قلب ينبض ويتلوى وجعاً مما فعلته، دقائق مرت عليه
كالدهر، يحاول فيهما إستجماع قواه لينهض من جديد، جذب
هاتفه ليطلب رقم محدد فأتاه صوت المتصل بعد ثواني
معدودة، فتحرك فكيه ناطقاً:

أنا خلاص بقيت جاهز...

إستمع قليلاً للمتصل، ليرفع صوته بعض الشيء:
يا فندم أنت عارف كويس أنا أقدر اعمل أيه لوحدى ومن
غير "مراد..."

بدت تعابير وجهه غير راضية بالمرة عما يستمع إليه فقال
على مضض:

زي ما تحب بس ياريت تذكرة السفر والجواز يكونوا
جاهزين لاني هتحرك بعد ساعة..

وأغلق الهاتف، ليتوجه لحمام الغرفة، خلع "رحيم" جاكيتيه ثم
بدأ بتحرير زر قميصه الأبيض الملطخ بالدماء المنسابة من
جروح صدره أثر الجراحة، جز على أسنانه بقوة وهو يحاول

تحمل ما يؤلمه، ازاح الرباط الطبي عن صدره العلوي ثم
جذب المرهم الطبي في محاولة بائسة ليصل لظهره، جذبه
احداهم ليفرد طبقة رقيقة على ظهره برفق، فتطلع للمرأة
باستغراب ليجده "مراد"، تماسك "رحيم" بقوة في مجابهة
الألم والآخر يحاول ان يخفف من ضغط يديه حتى لا يؤلمه،
إبتسم وهو يتساعل بخبث:

__وجودك هنا وبالوقت دا معناها إن اللوا كلمك...
رفع الجوكر عينيه ليتطلع لصورته بالمرآة، معاتباً إياه:
__كان لازم يكلمني عشان أحاول أوقفك عن الجنان دا...
ثم قال بحدة:

__الناس دي ميتهزرش وأنت بتستهون بالموضوع يا "رحيم"
فلو حابب تورط نفسك عشان تهرب من الألم اللي انا شايفه
بعينيك دا فلاسف مفيش مهرب....
وقف في مقابلته ليجيبه بصوت مهزوز للغاية وقد طغت عليه
أحزانه:

__ياريت أقدر أهرب، بس الألم اللي هنا ملوش مخبئ...
وكان يتحدث وهو يشير لموضع قلبه، رفع "مراد" يديه على
كتفيه بحزن:

__الحيوان دا إستغلها وهي ضعيفة مقدرتش تحكم عقلها

فبلاش تقسى عليها لإنك بتقسى على قلبك أنت...
لاحت بسمه شبه ساخرة على وجهه وهو يجيبه:
_الشيطان مبيسمحش يا "مراد"...."

وتركه وخرج لغرفته ليتطلع للفراغ بحزنٍ على كلماته، نعم
فهي تراه شيطانٍ لعين فكيف سيمنحها الغفران وهو محاط
بالهلاك!...

إتابعه للخارج فوجده يبدل ملابسه لبذلة أنيقة من اللون
الأزرق، وجذب حقيبة صغيرة الحجم ليضع بها بعض من
ملابسه، مسح على وجهه بضيقٍ وهو يتابعه بنظراته فرطم
الحقيبة قائلاً بغضب:

_وانا مش هقعد اتفرج عليك وأنت بتقدم نفسك للموت بنفسك
المهمة دي بتاعتي انا وانت وهنكملها مع بعض..
أجابه "رحيم" وهو يتطلع له بهدوء:

_هتكون معايا يا "مراد" بس مش دلوقتي، في حاجات هنا
لازم تكمل، لازم الكل يتقبل حقيقة وجود "طلعت زيدان" ودي
مهمتك اللي هتكمل من غيري....

وتركه ووقف أمام السراحة ليمشط خصلات شعره الطويل
بانتظام، فلحق به "مراد" لينفت عن ضيقه الشديد بقول:
_هو أنت فاكِر إني هفضل هنا لحد ما أخليهم يتقبلوه!...

فرك جبينه بألمٍ ليستقيم بوقفته مقابله، قائلاً بثبات:
_لأ، هتعرفهم الحقيقة وهتختفي عشان تساعدني لاني
مقدرش أشتغل في مهمة زي دي من غيرك يا شريك...
إبتسم "مراد" جراء كلمته المميزة تجاهه، فأحتضنه "رحيم"
بقوةٍ ولأول مرة ليردد بصوتٍ محطمٍ للغاية:
_وجودك بحياتي كعدو أو صديق فرق كثير...
إبتسم "مراد" وهو يربت على كتفيه بمشاكسة:
_عدو معتقدش صديق ممكن..
بسمة خافتة زارت وجهه، فأبتعد عنه وهو يجذب الحقيقة
الصغيرة قائلاً بهدوءٍ وبلهجة مأكرة:
_ "مراد زيدان" عدو مغرور وصديق خبيث...
غمز له بطرف عينيه الزرقاء بمشاكسة:
_ على الرحب والسعة...
سحب الحقيقة ليستدير مقابله قائلاً بتذكار:
_فرح "نغم" و"يوسف" يتعمل في معاده، مش عايز أي
تقصير يا "مراد"...
اجابه بسؤال:
_وأنت؟...!
إتسعت بسمته المخادعة التي تخفي الم كبير:

_ أنا! ، لأ خلاص فوقت من الحلم اللي كنت عايش فيه
ورجعت لرحيم زيدان...
ثم إلتقط الورقة المطوية الموضوعة على الكومود الصغير
قائلاً بنظراتٍ هائمة بها:
_ عشان كدا أخر صفحة هيقلها "رحيم" مش "فريد...."
وزع نظراته بينه وبين الورقة بقلق:
_ ناوي على أيه يا "رحيم..."
أجابه ببسمة صغيرة وهو يرتدي نظارته السوداء متوجهاً
للخروج من الغرفة:
_ هدفن "فريد" وبأيدي...

طرقت "فاطمة" على باب غرفتها، وانتظرت حتى إستمعت
أذن الدخول، فأخبرت "ريم" بأن "يامن" يريد رؤيتها،
تعجبت ببدء الأمر من طلبه الغريب، ولكنها إنصاعت إليها
بالأخير وإتبعته للأسفل، لتجده بانتظارها، الحزن يدمس كافة
ملامح وجهه، يبدو بأنه لم يتخطى وفاتها بعد، جلست مقابله
على الأريكة ولجواره جلست "فاطمة" التي تمسكت بيديه
ببسمة صغيرة، بادلها الإبتسامة بحبٍ ينبع بداخله فمن الوهلة
الأولى لأقصوصة عشقهما وهي لم تفارقه، قالت "ريم"

بحزنٍ وهي تحاول فتح الحديث فيما بينهما:
_البقاء لله يا أستاذ "يامن"، ربنا يرحمها ويصبركم...
أجابها بنبرته الهادئة:

_البقاء والدوام لله...
ثم إعتدل بجلسته ليبدأ بالحديث الهام الذي أتى خصيصاً
لأجله:

_بصي يا آنسة "ريم"، أنا مش هطول عليكِ، أنا جيت
النهاردة عشان اطلب منك إنك تسامحي "هنا" عن كل اللي
عملته فيكي وكمان عشان أكذلك إن "سليم" برئ هي بنفسها
قبل ما تموت أ.....

عفت عنه تلك المهمة البشعة بقول الغير مستحب عن شقيقته
المتوفاه، ولكنه مجبور لعل البوح بالحقيقة يخف من كفة
حسابها، فقطعته قائلة:

_أنا سامحتها من أول ما عرفت إنها ماتت...
سألها "يامن" بفضول، وكأنه يحاول التأكد من مهامه:
_طيب وسليم!!

لمعت الدموع بعينيها رغماً عنها، فأزاحت العالق بأهدابها
قائلة بصوتها الباكي:

_أنا واثقة من البداية إنه مستحيل يخونني بس لحد اللحظة

دي مش قادرة أسامحه أو أتجاوز الموضوع..
وحينما شعرت بإنها على وشك أن تفقد تحكمها بدمعاتها
العزيزة، إستأذنت سريعاً بالأنصراف، لتصعد لغرفتها لعلها
تخرج عما يضيق صدرها...

الظلام يستحوذ على أركان الغرفة بأكملها، مازالت تجلس
أرضاً مثلما تركها، تتطلع للفراغ بدموع تتلأأ بعينيها
المنطفأة، تحرك باب غرفتها لتجده يقف من أمامها، لوعة
الشوق والحنين زينت لها عما يسيطر على تفكيرها، تحملت
"شجن" على ذاتها لتقف على قدميها، إنبعث صوت خطوات
حذاءه بالغرفة بأكملها كالمعتاد، وكأنه عاد ليتألق من جديد
بثباته المرصع بتاج الثقة والغرور، وقف من أمامها ليتعمق
بالتطلع لقسمات وجهها، الدقائق تمر وما زال كما هو، يشعر
وكان الأمر يروق له، رفع يديه تجاهها، ليقدم لها ورقة
مطوية، تناولتها منه بأمل صغير، وهي تتساعل باستغراب:
_دا أيه؟!..!

أجابها بألم وهو يقرأ ملامحها التي تبدلت فور قراءة ما
بداخلها:

_إفراج من زنازة الشيطان....

سقطت الورقة أرضاً بصدمةٍ، وهي تتراجع للخلف بذعرٍ:

__لأ، أنت مستحيل تعمل كذا...!!!

جذب الورقة ليضعها على الطاولة ليرد عليها ببسمة صغيرة:

__لا عملت يا "شجن.."

ثم همس جوار آذنيها ببطءٍ:

__خلاص حررتك من العلاقة اللي كانت جمعنا...

ثم استرسل حديثه:

__إمضي على ورقة الطلاق وهتكوني حرة للأبد...

ثم منحها نظرة عميقة لعينيها عن قرب قائلاً ببسمة ألم:

__آخر مرة اسمي واسمك هيجمعهم ورقة واحدة...

وطبع قبلة عميقة على جبينها محملة بأهات خافتة تمكنت من

سماع صداها جيداً ثم إبتعد على الفور حتى لا تلاحظ دقات

قلبه الصارخة، ليغادر من الغرفة بل من القصر بإكماله بعدما

أزاح دمة خائنة كادت بأن تسقط من زيتونية عيناه ليأمر

السائق بالتحرك سريعاً للمطار، يكبح مشاعره، قلبه، عاطفته،

فكل ما يمتلك بداخله ينبض لأجلها ولكنه وضع نهاية للحب

الأسطوري أو ربما هناك إختباراً خفي ليعلم إن كانت تتوق

للحرية ولكن ماذا أعد القدر لكلاً منهما؟!....!

الفصل السابع عشر

رحلة شاقة مثل التي سيخوضها تحتاج للراحة الجسدية التامة، فبعد إلحاح شديد من اللواء بأن يستريح بأحد الفنادق التي تقع على قرب بسيط من المطار للسفر بالغد، وبالفعل توجه "رحيم" للفندق المنشود لقضاء ليلة واحدة قبل السفر لمهمته المرتبة، إرتخى جسده على الأريكة المفترشة بريش أبيض مريح للغاية، فأستند برأسه على حافتها، اغلق عينيه بقوة وهو يجابه ذاك الجانب من الذكريات الذي يحن إليها فيرسم له طريق مضيء بذكرياتها التي شتت عقله لتتخفى بجحيمه المتعمد لإبتلاع ما يخصها.....

إستندت بذراعيها على باب الحمام بتعب شديد وهي تسارع ثبات دقات قلبها المتوترة، تشعر بأن النيران تشتعل بجوفها، فحاولت الصمود قدر المستطاع حتى لا تسقط أرضاً، أفرغت ما بجوفها وقد أصبح وجهها قائم للغاية من شدة التعب، إغتسلت بصعوبة وهي تحاول تثبيت ساقها حتى لا تسقط بالمرحاض فيتأذى الجنين، هتفت بصوت خافت:

"_مراد...."

على ما يبدو بأنه مازال يقاطعها منذ ما حدث آخر مرة وهو
يكتفي بالتواجد بالجناح، ولكنه يتحاشى البقاء معها بنفس
ذات الغرفة، تمكن منها الدوار بدرجةٍ مخيفة فتطلعت لساعة
يدها المميزة، رفعتها تجاهها لتضغط على الزر الجانبي إليها
لتصدر إشارات لساعة يديه التي لا يستغني عنها على إعتبار
كون الوقت من أهم الكنوز بحياة الجوكر المصون، إلتفت
حوائط المرحاض الأربعة من حولها بصورةٍ مخيفة فرفعت
يدها تعيد خصلات شعرها للخلف بأصابعها المرتجفة، لتجلس
على ركبته حتى إن غابت عن واعيها لا ترتطم بشيءٍ حاد قد
يؤذي جنينها، أتاها صوته الرجولي من خلفها وهو يسرع
بخطاه بعدما تلاقى إشاراتها، فقال وهو يدنو منها:

"_حنين...!"

ثم حملها بين ذراعيه ليخرج بها من هذا المكان المغلق لعل
الهواء المنعش يفيقها، وضعها برفقٍ على الفراش ثم حرر
ستائر النوافذ، ثم إقترب منها ليسألها بقلقٍ:
_أحسن دلوقتي؟..

إكتفت بهز رأسها ومازالت عينيها مغلقة، ويدها تحتضن
جبينها بألمٍ، أمعن التطلع بها بنظرة متفحصة، فتحرك تجاه

براد الغرفة ليخرج مشروبها المفضل الذي يحرص على أن
يعده لها يومياً حتى وإن كان لا يتحدث معها بسبب ما
إرتكبته، سكب منه بأحد الأكواب ثم قربه منها قائلاً بثبات:
إشربي دا وهتبقى كويسة...

جذبت منه دون أن تتطلع له ثم وضعت له جوارها، وجذبت
الغطاء ثم إستلقت بجسدها بأسفله متجاهلة إياه تماماً، رفع
حاجبيه بسخريةٍ إتبعته بالحديث:

_هو مين فينا اللي المفروض يزعل من الثاني بالظبط...!
أغتظت من حديثه الساخر، فأزاحت عن غطاءها لتجيبه
بلهجتها الحزينة:

_أنت مصمم تركبني الغلط....
أجابها بحدةٍ وقد تبدلت ملامحه للغضب:
_لأنك غلطتي يا "حنين"...

تساءلت بسخرية:

_غلطت في أيه؟!!...

رفع صوته المتعصب:

_إنك تعرفي إنها بتقابل راجل غريب وتسكتي معناها إنك
راضية والتصرف المبرر من وجهة نظرك يعني ممكن في يوم
من الأيام ترتكبيه عادي جداً...

صرخت بصوتها المبحوح وقلبها يعلوه صوت الإنكسار:

"_مراد....."

ثم قالت بألمٍ وقد خذلاها هو بكلماته وخذلاتها دمعاتها مرة
أخرى بالسقوط:

_أنا سكت وكان ممكن أسكت عشان دي صحبتي الوحيدة
وإتمنتي على سرها، صحيح انا مكنتش معاها باللي بتعمله
بس حاولت على ما أقدر أقنعها إنها متسمعش كلام الشخص
دا، حاولت وفشلت ودا مش معناه إني هفضح سرها، كون
إنك غلطت فدا مش مبرر إنك تخون الصداقة وتقول سر حد...
ثم تركته ونهضت عن الفراش، لتتجه بصعوبةٍ بالغة تجاه
خزانتها، أخرجت فستان محتشم وحجاب ثم كادت بأن تبدل
قميصها القطني القصير، لحق بها ليسألها بلهجته المتزنة
بالثبات الطاغي:

_على فين؟..

رفعت رأسها تجاهه، لتجيبه ببسمة ساخرة:

_متقلقش مش هقابل واحد بدون علمك...

تمكن منه الغضب لأقصى درجة فجذبها تجاهه بحدة:

"_حنين" أتعدلي أحسنلك..

جذبت ذراعيها بقوةٍ والدموع تسيل فتضعفها رغم القناع

الزائف الذي ترتديه، فقالت بصوتٍ متقطع:
_ هو انت فاكِرْ إني ممكن أقعد معاك ثانية واحدة وأنا بسمع
الكلام المهين دا..._

ثم جذبت الفستان وكادت بالدلوف للحمام فأستدارت تجاهه
فقاطعها قائلاً:

_ وهتروحي فين إن شاء الله..._

أجابته ببسمة ساخرة إكتسحت تعابير وجهها:

_ لسه محددتش هروح فين بس اللي أقدر أطمئك بيه إني
معايا ملايين تأمني أكثر من مكان..._

وولجت لحمام الغرفة لتغلق الغطاء عنه ثم جلست على حافته
لتبكي بقهراً على ما إستمعت إليه منه، حاول التحكم بذاته
فوضع يديه على بابه لينشق قلبه وهو يستمع لدموعها
الخافتة، فتح الباب وإستند بجسده على الحائط، يتأملها
بصمتٍ، أخفت دموعها سريعاً ونهضت لتعنفه بضيق:

_ أنت إزاي تدخل كدا...!

حرر جسده المنتصب بوقفته بشموخ ليقترّب منها وبحركة
سريعة حملها بين ذراعيه ليخرج بها للغرفة، دفعته بيدها
بشراسة وهي تصيح به:

_ نزلني..._

وبالفعل تركها وهو يرفع ذراعيه ببرود وكأنه لا يعنيه ما
قالتة أو فعلته، صرخت به بأندفاع وهي تراه يبتسم ساخراً:
_أنا هخرج من هنا يعني هخرج من هنا...

وكادت بأن تتجه لحمام الغرفة مرة أخرى فلف ذراعيه على
جنيته بتملك، مردداً بهمساً وهو يقربها إليه:
_بس اللي في بطنك مش عايز يسيبني...

ثم همس بخبث:

_أمشي أنتِ وسيبه...

صوته الذي لفح رقبتها جعلها ترتجف، فحاولت دفعه بعيداً
عنها، ولكن كيف ستفعلها!!..

فهي تعلم كلما ثارت وتمردت كلما عاند وحاصرها بتملك،
قربها "مراد" منه وبحركة سريعة كان يقف مقابلها، يتعمق
بنظرات عينيها المعاتبة إليه، طالت النظرات وما زال يبحث
عن غايته بين دفء عينيها الغامرة بالدمع، إقترب منها
ليجفف دمعاتها الثمينة، ثم قربها لصدره قائلاً ببسمته
الهادئة:

_الثقة اللي بينا صعب اي حد يكسرها يا "حنين"، بس كان
لازم قرصة الودن دي عشان تتعلمي من الغلطة اللي
إرتكبتها..

رفعت رأسها إليه وهي تردد بغیظ من تصميمه:

غلطة...!

جلس على طرف الفراش ثم جذبها لتجلس على قدميه ليبدأ

بحديثه الهادئ حتى تفهم ما يلقيه على مسمعها:

أنت كنت عارفة أن تصرف "أشجان" غلط؟....

أومأت برأسها بتأكيد فأسترسل ما يقول:

وحاولتي توقفها بس معرفتيش ومع ذلك سكتي عن اللي

بتعمله، كان ممكن تدخلني حد تالت بالموضوع يحاول يعمل

الي أنت مقدرتيش تعمليه...

قرأ ما تقوله عينيها فقال:

عارف إن الموضوع حساس فدا كان هيعتمد على الشخص

الي هتختاريه زي ماما "نجلاء" مثلاً اكيد كانت هتقدر تقنعها

وتحل الموضوع ومكنش كل دا حصل، كلامي صح ولا لا؟!..!

أنحني رأسها بخجل، فرفع ذقنها برفق تجاهه، لتستقبل

نظراتها بسمة مشرقة، إستند بجبينه على جبينها لتبدأ رحلة

مكره وهو يردد بخبث:

البعد بقى عندك سهل كدا، لأ وردك حاضر معايا ملايين

وهقعد في أي مكان وكلام كبير كدا كأنك متجوزة واحد عادي

وهيسيبك تخرجي كدا بمتتهى البساطة وخاصة بالبنوة

العسل اللي شيلها معاك دي...
تلاشت بسمتها، لتتطلع له بذهول وضيق:
_بنوته ايه أنا عايزة ولد مش بنت...
رفع جاجبيه بسخط:

_أعتبر إنك مش حامدة ربنا ولا مستانية اللي بيعته ولا دا
تأمر كمان...

جابهته بنظرة تحدٍ وهي تصرخ به بغضبٍ حقيقي:
_حمدينه وشكرين فضله، بس اجيب بنت تقاسمني فيك لبييه
ما كفايا البنات اللي بتطلع مرة واحدة في اماكن مش ولا بد
وفي الآخر تصبرني بكلمتين دا بيخدم شغلي وقال أيه
المفروض إني اطمئن على إعتبار إنك متخوضش في العميق
عشان متغضبش ربنا امال البصات ومسكات الأيدين دول
معفو عنهم يعني ولا نظامك أيه؟!...

ضحك بصوته كله وهو يقربها إليه قائلاً بمكر:
_كدا أطمنت إنك بخير ادام رجعتي لسانك الطويل...
إبتسمت بهيام به وبضحكاته فقالت بصوتٍ منخفض:
_أنا هفضل كدا لحد ما تعتزل الشغل دا خالص...

غام بشروءٍ بها وعقله يلمع بالشرار، فماذا لو علمت بمهمته
التالية وبالاخص بالمرسوم إليه، تسلل ضوء القمر الخافت

للغرفة التي طالها الظلام لإستسلام قلوب العشاق بين راحة
الأخر ليرتوي الفؤاد بوصام الشوق والحنان...

أَلَقْتُ حِذَائِهَا أَرْضاً، ثُمَّ رَكَضْتُ عَلَى الْحِشَائِشِ الْخَضِرَاءِ
بِسَعَادَةٍ وَضَحْكَةٍ افْتَكْتُ بِعَقْلِ مَنْ يَلْحَقُ بِهَا بِخَطَاهِ الْمَتَزْنِ،
وَاضِعاً كُلَّتا يَدَيْهِ بِجُيُوبِ جَاكِيتِهِ وَعَيْنِيهِ مَسْلُطَةً عَلَى زَوْجَتِهِ
الرَّقِيقَةِ فَاسْتَدَّ بِقَدَمِيهِ عَلَى السُّورِ الصَّغِيرِ الْمَطْلِ عَلَى
الْمَسْبُوحِ لِيَتَسَاعَلَ بِاسْتِغْرَابٍ:

__مَشْ عَارِفْ لِيهِ فَرَحَانِهِ أَوْي كَدَا؟...__

إِسْتَدَارَتْ "سَلْمَى" تَجَاهَهُ، لَتَجِيبَهُ بِبَسْمَةٍ سَاخِرَةٍ بَعْدَمَا عَقَدَتْ
ذِرَاعَيْهَا حَوْلَ خَصْرِهَا:

__وَمَأْفَرَحْشْ لِيهِ، "سَارَةَ" سَامَحْتِكْ، وَ"رِيَان" وَإِتْضَحْ سَوْءِ
التَّفَاهُمِ الَّلِي كَانَ بَيْنَكُمْ، وَمَامَتِكْ وَابْتَدَتْ عِلَاقَتَكُمْ تَرْجِعُ زِي
الْأَوَّلِ، أَيَهُ الَّلِي هِيْخْلِينِي أَرْعَلْ وَمَشْ أَفْرَحْ؟...__

مَنْحَهَا "جَان" بِسْمَةً جَانِبِيَّةً مَهْلَكَةً، فَرَدَّ عَلَيْهَا بِخَبْثٍ يَتَرَبَّعُ
بِعَيْنِيهِ الَّتِي تَدْعِي الْحُزْنَ الْكَاذِبَ:

__لَسَهُ الْإِهْمُ مِنْ كُلِّ دَا...__

إِرْتَخَتْ مَلَامَحُهَا بِدَهْشَةٍ، فَأَقْتَرَبَتْ مِنْهُ بِجَدِيَّةٍ وَقَدْ تَنَاسَتْ
فَرَحَتَهَا:

لسه أيه؟...

رفع "جان" عينيه ليطوف الحديقة من حوله فما أن تأكد من وجودهم بمفردهما، حتى قربها إليه، فرفعها عن الأرض لتصبح من أمامه، فقال بمكر:

لسه أنت....

قالت ببلاهة وهي تنظر له من هذا القرب الخطير:

أنا أيه....!

رد عليها ببسمة تتعمق بين التطلع لعينيها ورجفة جسدها المحمول بين ذراعيه:

أنت حبيبتي اللي ساكنة قلبي...

وتركها تقف من أمامه ثم إستكمل بغمزة عينيه المشاكسة وهو يمرر يديه على ذراعيها بحركات دائرية مثيرة:

بس لسه مسكنتيش روعي وأظن إني إستنيت بما فيه الكفاية وإتحملت فوق طاقتي...

تراجعت للخلف بصدمة فسألته وهي تبتلع ريقها بإرتباك:

يعني أيه....!

لحقها بخطاها فكادت بالركض لتخليص ذاتها من تلك النظرات التي لا تتذر بالخير، امسك معصمها ثم جذبها لتستند على جذع الشجرة فتطلعت له بتوتر، بسمته المشاكسة جعلت قلبها

يرتجف بلطفٍ محبب إليها، تصنع بأنه يقترب ويقترب ليجعلها

تظن بما اراد ثم إبتسم وهو يصرخ بها بغضب مصطنع:

__ يعني يا هاتم فرحنا الاسبوع الجاي ولازم تحضري نفسك

بدل ما أخونك وأمشي شمال دا احنا بقالنا سنتين تعارف

وسنة خطوبة وخمس سنين جواز قربت أعفن جانبك هنا

يبقى أفضل ليا أتجوز مزة تشوفني ولا لأ....

تحاولت ملامحها الخجولة لطاقة هائلة من الغضب، فلكمته

بصدره بقوةٍ وهي تقول بصوتٍ مرتفع:

__ محدش قالك يا حبيبي تستنى كنت طلقنتي وإتجوزت وأنا

كدا كدا كنت سامعه وشايفة كل حاجة فأكيد كنت هموت

وحكايتنا الجميلة كانت هتنتهي بنهاية جميلة برضو بس ليك

أنت...

بدت ملامحه أكثر جدية وهو يقربها إليه بحزن:

__ قولتلك قبل كدا يا "سلمى" متجيبش سيرة الموت على

لسانك...

أجابته بتوترٍ وهي تتطلع إليه:

__ ما أنت اللي عايز تتجوز وتشوف نفسك...

ثم قالت بمرح لتمازحه:

__ خلاص يا عم حدد براحتك معاد الفرح أنا معنديش مانع مدام

حالتك بقت صعبة كدا أهو احسن من الإنحراف...

رفع حاجبيه بسخرية فقال بخبت:

__حالتي صعبة!.... وإنحراف!!!

اكدت عليه ببسمة ساخرة وهي تؤكد على حديثها ببسمة
ماكرة:

__والله أنا والدي شاكك فيا ومش مصدق أساساً إن في شاب
يقضي السنين دي كلها مع مراته في بيت وأوضة واحدة
وكان بمنتهى الاحترام والأخلاق اللي إنقرضت دي فبيقولي يا
بنتي إعترفي عشان نلحق نلم الموضوع ونعلن جوازكم
قولتله يا حاج أنت مخلف راجل بيعرف يخلي باله من نفسه
كويس وآآ.....

بترت كلماتها بخوفٍ حينما أعلنت نظراته عن طوفان من
الغضب الذي لا يطفئه سوى التهور التي نبشت كلماتها عنه،
حملت طرف فستانها الطويل بطرف أصابعها ثم قالت ببسمة
واسعة:

__لوحلفتك أن الكلام دا من زمان مش هتصدقني صح..
وأنهت كلماتها بالركض للأعلى سريعاً وقلبها يخفق بشدة،
كاد بأن يتبعها ليقترض مما قالت، ولكنك توقف فور سماع
صوتٍ مألوفٍ يخترق آذنيه..

"_جان..."

إستدار للخلف بإستغراب حينما وجد "ريان" يقف من أمامه
ويقترّب منه بملامح غامضة للغاية، فوقف من أمامه بصمتٍ
قَطَعَهُ بكلماته البطيئة:

"_يامن" إتنازل عن القضية اللي رفعها ضد "إياد" من فترة
طويلة..

يعلم ما الذي يحاوط تفكيره فقال بهدوءٍ:
_ودي حاجة تزعلك!..

أجابه بثقة تلحق بنبرة صوته الخشن:

_أنت اللي طلبت منه كدا صح...

إرتبك ولم يعلم بما يجيبه، فعاد "ريان" ليسأله من جديد بشكٍ
إعتلى ملامحه عن إصابة اخيه بالسوء فقال:

"_إياد" فين؟...

إحتفظ بصمته مطولاً، يتطلع له بسكونٍ، يجعل ظنون ما حدث

تستحوذ على "ريان"، فحك طرف انفه وهو يحاول التحكم
بذاته حتى لا يخسر الرابط القوي فيما بينهما، فقال بثبات:

_بص يا "جان" أنا لما طردت أخويا من البيت كان بهدف إنه

يتربى مفرقش معايا إنه يتسجن أو ينام في الشارع لإنه

يستحق بعد اللي كان عمله في "فاطمة" و"يامن" بس اللي

مش هتقبله باي شكل إنك تكون ورا إختفائه...

ثم زفر بصوتٍ مسموعٍ ليتطلع له بضيقٍ:

_خائف اللي بفكر فيه يكون صح....

تخلّى عن صمته قائلاً ببسمة صغيرة، رسمها بصعوبة:

_هو انت فاكّر إني قتال قتلة..!

ثم تركه وتحرك تجاه الحديقة الرئيسية ليرفع يديه ويشير

للحارس الذي اتى بسيارته فصعدها ليشير لريان بيديه:

_إركب... لو عايز تشوف أخوك...

ضيق عينيه بإستغرابٍ، فصعد لجواره ليحرك مقود السيارة

لتنصاع لأوامره بالتحرك تجاه غايته المنشودة.....

رغم برودة الهواء الذي يلامس جسده ولكن مازال يغمر قلبه

لهيب كاد بإحراق صدره بإكملة، كيف لها بذاك البعد

الأجباري، كيف تخبره بأنها تصدقه ومع ذلك تبالغ بإبتعادها

عنه، أشتدت تقلبات الرياح وخاصة بالليل المظلم من فصل

الشتاء، فأغلق "سليم" عينيه عله يشفي جروح قلبه التي لا

تلتئم مهما دواها، عاد ليشتاّق إليها من جديد، فجسدها أمامه

بصورةٍ ظنه خيال، إحتضنته من الخلف لتثبت يدها على

صدره فشعرت بضربات قلبه العنيفة، مالت برأسها لتستند

على ظهره، فتح "سليم" عينيه بصدمةٍ، فكأن لمساتها اعادته
لواقع وجودها، بعد يدها عنه ثم جذبها لتقف أمامه بذهولٍ
يكتسح معالمه، فردد بصوته الوخيم:

"_ريم...!"

رسمت بسمه رقيقة على محياها، فتعلقت برقبتة قائلة بكلماتٍ
مختارة جيداً:

_مش جايلي نوم، أيه رأيك نطلب أكل من برة ونسهر تحت
جانب الدفاية...

أشرقت على وجهه إبتسامة، فقد إستعادها من جديد، جذبها
لأحضانه فخالفت دمعاتها تلك البسمه النابعة من القلب،
شدت من إحتضانه فقال بهمسٍ خافت ومازال لا يصدق إنها
أزالت عقبة الماضي:

_وحشتيني...

أزاحت دموعها الحالقة باهدابها قائلة ببسمه واسعه وهي
تتطلع له:

_وحشتك إزاي وانت كنت جانبي لحظة بلحظة مش
بتفارقني...

إحتضن وجهها بيديه ناطقاً بثورةٍ العشق الفتاك:

_كنت جانبك بس أنتِ اللي مكنتش معايا يا "ريم..."

منحته نظرة عاشقة، ثم قالت ببسمة هادئة وهي تجذب هاتفه
الموضوع على طاولة الشرفة البيضاء:

_طيب إطلب الاكل بقى جعانه الله...

رمقها بنظرة قاتمة مدعي التذمر:

_أه، دا أنتِ جاية طمعانه فيا بقى...!

تعالَتْ ضحكاتُها مشيرة له بتأكيدٍ، فطوفها بذراعيه ببسمة

ساحرة ليطلع قبلة صغيرة على يدها قائلاً بحب:

_هجبك أحلى برجر وهاكلك بنفسي كمان ها أيه تاني؟...

أشارت له بدلال:

_شيلني بقى....

قال من بين ضحكاته العالية:

_لا انتِ عايشة فيلم عاد لينتقم....

وحملها بين ذراعيه ليهبط بها للأسفل، ثم شعل المدفئة

وجلسوا سوياً يتناولان شطائر البرجر الشهي بعدما أتى بها

الحارس....

وضعت الطعام على الطاولة المقابلة إليه، ثم خطفت نظرة

سريعة إليه بطرف عينيها، مازال شاردًا، حزين، ملامحه

منكمشة بقهراً على شقيقته، عاش تحت سقف منزل واحدًا

ولكن كان بينهما ألف حاجز وحاجز، حاول مساعدتها أكثر
من مرة ولكن أبيه كان يتصدى له على الدوام، ظناً بأنه يغار
من شقيقته...!

أفاق "يامن" من بحور شروده على صوت "فاطمة" وهي
تشير له برجاء فيبدو بأنها تتحدث منذ فترة ولم يستمع إليها:
" _يامن" عشان خاطري كل أي حاجة، عمي بيقول إنك
مأكلتش حاجة بقالك كتير...

أجابها ونظراته مسلطة على باب الغرفة المقابل لباب غرفته،
حيث كانت تقبع شقيقته:

_ماليش نفس يا "فاطمة"...

زفرت بضيقٍ من عناده، فتركت الطعام وتوجهت لتجلس
جواره، وضعت يدها على يديه برفق، فتحرك فكيها ناطقاً:
_انت المفروض اللي تقف جانب والدك وتقويه على اللي هو
فيه مش العكس...

إبتسم وهو يردد بألم:

_والدي! ، والدي السبب في اللي إحنا فيه دا، يمكن لو كان
شد على "هنا" او سألها في يوم بتعمل أيه او رجعة منين
مكنش دا حصل من البداية ويمكن مكنتش إتعرضت للموتة
البشعة دي...

إعترضت على حديثه، قائلة بعتاب:

_ كل واحد ربنا بيكتب له حياته من البداية للنهاية، بلاش نكفر
بالله يا حبيبي لازم تفوق لنفسك، اللي تقدر تعمله دلوقتي
صداقة جارية ودعائك المستمر ليها دا اللي هيفرق معاها
صدقتي..._

نقل نظراته عن الفراغ، لتقابل عينيها الغائرة بالدموع،
وجهها المنطفي بحزنٍ عليه، كانت ومازالت جواره، ربما هي
من تعاني أكثر منه، رفع يديه ليضعها على يدها قائلاً:
_ أنتِ عارفة إنك أجمل حاجة في حياتي؟..._
إبتسمت بخفوت، فأزاحت الدمعة العالقة بعينيها قائلة:
_ عارفة..._

إرتسمت على شفثيه بسمة فاترة، فوقف ليشير لها وهو
يتطلع لساعة يديه:

_ الوقت إتاخر، هو صلك..._

جذبت حقيبة يدها فلحق بها للأسفل، فتح باب سيارته ليغمز
لها بعينه فصعدت ببسمة خجل، وبصعوبة بالغة تمكنت من
إقناعه بشراء البيتزا، ليتناولها امام عينيها شرطاً لنزولها
للقصر، وما ان انهاها حتى هبطت مودعة إياه ببسمتها التي
تخطف قلبه دون عودة..._

وقفت تتأمل العمارات العملاقة من حولها بذهول، فأستدارت
تجاهه لتجده يستند على سيارته ويتابعها ببسمة واسعة،
أشارت له بضيق شديد:

_هي فين صديقك المريض دا يا "مروان"؟..

هز قدميه بتسلية وهو يتجاهل سؤالها، سكن الغضب غرف
وجه "يارا"، فصرخت به بعصبية:

"مروان" بكلمك...!

تخلي عن مقدمة السيارة ليقف أمامها، ليخبرها بلهجة صوته
الغامضة وعينه تقابلها:

_ولو فضلتني تنادي بأسمي كثير مش هيكون في "مروان"
أصلاً عشان يرد...

وقلد لهجتها الناعمة ساخراً:

_دا أنا مفقد لرقة إسمي وعهد الله انا تقريباً اخدت أسمعه
من الحيوان اللي إسمه "فارس" وحاسس إنه جالي تلوث
سمعي....

أخفت بسمتها بيدها، ثم رسمت معالم الجدية على وجهها،
فجذبت هاتفها لتهدده بغضب:

_هتقولي جاييني هنا وفي الوقت المتأخر دا ليه والا أتصل

بمراد وأقوله على اللي بيحصل دا...!

لوى فمه بسخط، فأشار لها بضيق:

_أبو الفصلان اللي باللحظة الرومانسية، فرحانة أوي بيه،
عرفنا إنه ابن خالتك ياحتي ومشغلك في مستشفى فايف ستار
مش محتاجة كل شوية تفكريني..._

تعالت ضحكاتهما بعدم تصديق، نعم علمت بأنه يبغض الجوكر
كثيراً ولكن ليس لهذا الحد، فوضعت الهاتف بحقيبتها مجدداً
ثم عادت لتسأله بتهذب:

طيب قولي جايبني هنا ليه...

اجابها بضيق وهو يشير لها بالصعود للطابق الاول، فأرتبكت
للغاية لتسأله بتوتر:

وعايزني اطلع ليه؟!..

زفر بغضب وهو يردد بعصبية:

_استغفر الله العظيم يارب، هو انا جايبك مثلاً أتحرش بيك في
عمارة ملانه سكان وفي الجيزة أنت مجنونة ولا أيه يا بت...!
حملت حقيبتها وواقفت سيارة أجرة، لتلقي على مسمعه:

شوف هتوقف تتكلم مع مين بأسلوبك دا...

أغلق باب السيارة، ثم اشار للسانق بيديه قائلاً بلهجة سعى
لجعلها لطيفة بعض الشيء:

توكل على الله أنت يا ريس...

ثم وقف مقابلها ليجز على أسنانه بغيظ:

يا ستي انا أسف ممكن تتفضلي بقى وتطلعي معايا...

كبتت بسمتها ثم لحقت به للأعلى، اخرج "مروان" المفاتيح من جيب بنطاله، ليدثها بفتحة المفتاح ثم أدارها لتنتفتح تدريجياً، دفع "مروان" الباب بيديه معاً ثم فتح الضوء لتطل من أمامها اللافتة الصغيرة المعلقة امام الباب الحاملة لإسمها مع إضافة مميزة لأخصائية الطب النفسي، نقلت نظراتها المتعلقة باللافتة لحلمها الذي دونته على ورق وحوله هو حقيقة ملموسة، ولجت بخطواتها المرتبكة، وعينيها تتطلع لكل إنشئ بصدمة جعلتها منعزلة عن نظرات "مروان" التي تتابعها بحب، أدمعت عينيها بالدموع وهي ترى أصغر التفاصيل المدونة على ورقها منصوبة أمام عينيها، عيادة كبيرة للغاية بمساحة شاسعة، اللون الابيض المريح للأعصاب يغمر المكان كأنه حليب قد سكب ليعطي رونق أبيض ساحر، نقلت نظراتها للباب المتوسط للحائط المقابل لها، فتقدمت بخطواتها البطيئة للداخل لتجد مكتب كبيراً للغاية، يتوسط الغرفة الشاسعة ليحمل لافتة صغيرة "دكتور يارا"، أمامه مقعدين من اللون الازرق المناسب للون الغرفة الممزوج بين

الأبيض والسمائي الهادئ، لجواره كان يحتل الشزلونج
الطبيبي مساحة كبيرة، أمامه مقعد صغير مخصص للطبيب
المعالج، دمعاتها إنسابت بلا توقف، نعم تمتلك المال الكافي
لإنشاء ما تريد، ولكنها كانت تحتفظ بأحلامها على أوراقٍ
بيضاء لحين الإنتهاء من دراستها فتبدأ تحقيق ما تريد...
عملت كل دا عشان اشوف البسمة على وشك مش الدموع..
صوت "مروان" مزق صفحات السكون المستحوذ عليها،
لتننبه إليه، فقالت بصوتها المتقطع من أثر البكاء:
_ أنت عملت كل دا عشاني؟...

إبتسم بجدية أخفت جانبه المرح، ليجيبها بصوتٍ رجولي:
_ ومستعد أعمل أكثر من كدا عشان أشوفك سعيدة...
ثم إقترب من المكتب، ليفتح أول ادراجة، جاذباً علبة مغلقة
بقماش الدانتل الأحمر، قطع الشريط ليفتح العلبة وهي تراقبه
بدهشة، تحرك تجاهها ثم إنخفض على قداميه ليقرب خاتم
الخطبة الألماسي منها قائلاً بثبات:

_ كنت فاكِر إن الحب يبدأ بنظرة إعجاب، كنت فاكِر إختيار
شريك الحياة يكون بالشكل والإرتياح للمظهر الخارجي، ومع
اول تجربة إكتشفت إن كل دا مش صحيح، القرارات اللي
بنأخذها بشكل سريع بيترتب عليها ندم وعذاب أكبر، أنتِ كنتِ

غير كل دا يا "يارا"، أنتِ اللي قلبي دق بوجودها، أنتِ القرار
اللي فضلت أيام وشهور بقاوم الحب اللي إتولد بقلبي تجاهك،
خوفت ارجع أغلط من جديد، خوفت أسلم قلبي من جديد، أنا
بحبك يا "يارا" بحبك مش من نظرة ولا لقاء، والحب اللي
إتولد بعد فترة دا خالاني اتأكد إنك إختيار بكامل إرادتي،
موافقة تكملني حياتك مع الطالب الجامعي الفاشل...!
دموع سعادتها لما يقال إختلط ببسمة رقيقة على مزحه
المحبيب لها، فأشارت بالموافقة، قائلة بتحذير:
_موافقة بس لما تنجح في سنة رابعة اللي عدتها أربع مرات

دي....

وقف مقابلها ليجيبها بضيق:
_والله انا بتشائم من رقم أربعة دا فاله نحس معايا..
ثم قال ببسمة خبيثة:
_بس مدام زوجتي هتبقى دكتورة يبقى لازم اتخرج وبتقدير
جيد كمان أمان أياه...
هزت رأسها بالنفي قائلة باصرار:
_جيد جداً مش هتنازل....
جز على أسنانه بتذمر:
_اه ليكي حق تمارعي عليا..

وأغلق العلبة ثم توجه للخروج قائلاً بمزح:

__طب مفيش جواز...__

ثم استدار تجاهها ببسمة واسعة، فبادلته الابتسامة قائلة
بإرتباك:

__لما كنت بنازع، شوفت شريط حياتي كله بيمر قدام عنيا،
مشفتش فيه حاجة مهمة او شخص مهم بالنسبالي، يعني
مجرد عيلة بس كرابط مفيش، وفجأة ظهرت أنت عشان
تنفذني وتديني أمل أن حياتي لسه مخلصتش، لما طلعت على
سطح المية وإتنفست عرفت قيمة حياتي، وشك كان مطبوع
في عيوني مقدرتش انسى ملامحك أبداً..__

ثم إبتلعت ريقها بتوترٍ لتستكمل كلماتها ببسمة هادئة:

__أنت مختلف عن أي شخص إتعاملت معاه يا "مروان"،
شخصيتك غريبة، اوقات بحسك شاب طايش وبتحب الهزار
والضحك وأوقات تانية بشوفك أكبر من سنك، راجل
وتصرفاتك مش بتعبر عن الطيبة اللي جواك.....__

حلق بسماءٍ عالية تلمع بلؤلؤ كلماتها الساحرة، لم يستوعب
بأنها تقصده بكلماتها، هي تحبه مثلما يحبها، إختارته من قبل
أن يختارها، وجهها الشبيه بحبات الكرز لأعترافاتها التي
كبتتها بداخلها جعله يخفض نظراته عنها، ف جذب الخاتم من

العلبة وقدمه تجاهها، إقتربت منه ببسمتها الفتاة لتضع
اصابعها داخل الخاتم الذي يحمله فقال بمرح:
_ألف مبروك يا عروستي، لو ممكن شوية شربات بقى نبل
بيه الريق أو أي حاجة..
تعالت ضحكاتهما وهي تبحث من حولها، لتتساعل بدهوة:
_هلاقي الحاجات دي هنا كمان!..

اشار على المطبخ الصغير الموجود بغرفتها لتجده مجهز بكل
المشروبات الممكنة، فاعدت لهما كوبان من القهوة معللة
حبها لها، ثم خرجا على الفور للعودة للقصر بعدما تخطى
أصعب مرحلة من وجهة نظره، ف جذب هاتفه ليرسل برسالة
شكر للفارس الذي عاونه بكل كبيرة وصغيرة..

طرقات خافتة على باب شقته، جعلته يخرج لرؤية من الطارق
بهذا الوقت المتأخر، إبتسم "يوسف" بفرحة يكسوها الدهشة
وهو يردد بإستغراب:
" _ آدم...! "

توقفت سيارة "جان" أمام مخزن شركاته، فهبط ليتبعه
"ريان" بلامح واجمة، مجرد تخيل السوء بأخيه جعله

يتأهب لخلق شجاراً عظيماً، فجعدت ملامحه بشراسةٍ مخيفة
تفتت بصدمةٍ جعلته يتصنم محله وهو يرى أخيه من مكانٍ
محبوب يراه وهو لا يستطيع رؤياه، رآه يؤدي صلاته
بطريقة سليمة ووجهاً مشرقاً لتتخفى ملامح الألمان عن
وجهه نهائياً، صدمة جعلته غير قادر على النطق أو حتى
الحديث، تحررت دمة خافتة من رومادية عينيه لتتساب
بصمتٍ وبدء تصديق لما يحدث أمام عينيه....!

بغرفة "شجن..."

تطلعت لها "نجلاء" بحزنٍ شديد وهي تقرب لقمة الخبز منها
قائلة برجاء:

__ عشان خاطري يا بنتي كليك لقمة دا أنتِ على لحم بطنك
من الصبح..

أشارت لها بوهنٍ، فبكت "نجلاء" بألمٍ عليها، قم إهتدت لفكرةٍ
ربما ستحل الأمر للفضل، فقالت بعزم:

__ هروح اكلم "مراد" وأخليه يوصلني بفريد، أتكلم معاه عن
اللي حصل..

إشرابت بعنقها عن الوسادة بأملٍ نبع بكلماتها فقالت بصوتٍ
واهن للغاية يخرج من شفثيها الجافة:

__بجد..!

زرعت بسمه حزينه على وجهها، فربتت على كتفها بحنو:

__بجد يا حبيبتي..

وتركت الغرفة وتوجهت لجناح الجوكر، إستندت "شجن" على الوسادة بتعب يتغلب عليها، فأنت طرقات الغرفة المتتالية لتستحوذ على إنتباهها ليدلف من بعدها، خطى ثابت كالسيف، تتجه للغرفة ومن ثم للفراش حتى وقف امامها، نظرات الغضب والإستحقار تجوب عينيه الزيتونية، إبتلعت ريقها بإرتباك فقالت بخوف:

__أنت مين؟!..!

اجابها بحنق شديد:

__أنا اللي إنت ضيعتي ابنه مرتين، وبكل بجاجة جاية تهدي كل اللي بينته، أنا اللي مش هسمحك تكوني الشوكة اللي هتكسر "رحيم زيدان" الشخص اللي انا عملته وبنيته من اول وجديد، أنا اللي مستعد ادمرك وأدوس عليكى لو فكرتي ترجعي ابني لنقطة الصفر، أنا "طلعت زيدان" اللي انت مش خطاه في حساباتك لأنه بالنسبة لكل ميت بس بالنسبالك

كابوس.....!

(صراع الشياطين)

الفصل الثامن عشر

(والأول من الجزء الرابع)

أحياناً تفرض عليك الحياة طريقاً مظلم وتجبرك على المضي قدماً، لا يهمها ما ستلاقاه من عواقب وخيمة؛ ولكن يسعها كونك تجازف، جعلتها تجتاز إختباراً قاسي حينما فقدت عشق طفولتها، ثم منحتها أمل كاذب بعودته، فعادت لتنتزعه منها من جديد، فجعلتها مشتتة الذهن، لا تعلم أي من الطريقين الأصح لها، هي تعلم بأن أي طريق ستسلكه سيكون ممتلئ بالأشواك التي قد تجرح جسدها، تعلم بأن الطريق الذي ستختاره ربما سيتنزف روحها، وبعد كل تلك المعاناة مازال هناك جرح جديد وألم أصعب، كلمات "طلعت زيدان" مازالت تتردد بذهنها، أخبرها بطريقة صريحة بأنها غير مرحب بها بمملكته، أخبرها بأن تبتعد عن ابنه فهي الشوكة التي تحني ظهره وتسقط به في بئر الماضي الموجع، تهدجت دمعها وكأنها تواسيها عما تلاقاه بتلك الحياة، تريد الابتعاد عنه وعن مملكته ولكنها بحاجة لأن تراه للمرة الأخيرة، تريده أن